

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء العاشر

السيد جعفر مرتضى العاملي

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنيّاً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إن شاء الله

تعالى.

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء العاشر

السيد جعفر مرتضى العاملي

الفصل السادس: سياسات لاستيعاب أمويين..

١. أبو سفيان

٢. خالد بن سعيد بن العاص

حماس أبي سفيان:

وذكروا: أن أبا سفيان قال لعلي (عليه السلام): ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟! (١) والله: لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجالاً.

فقال علي (عليه السلام): يا أبا سفيان، طالما عادت الإسلام وأهله، فلم تضره بذلك شيئاً، إنا وجدنا أبا بكر لذاك أهلاً (٢).

وفي نص آخر: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله، إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم. يا آل عبد مناف، فيم أبو بكر من أموركم؟! أين المستضعفان؟! أين الأذلان: علي والعباس؟!

وقال: أبا حسن، أبسط يدك حتى أبايعك.

فأبى علي (عليه السلام) عليه.

١ - ستأتي مصادر هذه الرواية.

٢ - تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٤٤٩ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٧٨ وكنز العمال ج ٥ ص ٦٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٣ ص ٤٦٥. وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ والصوارم المهركة ص ٢٨١ والغدير ج ٣ ص ٢٥٤.

فجعل يتمثل بشعر المتلمس:

ولن يقيم على خسفٍ يُراد به إلا الأذلان غير الحيّ والوتدُ
هذا على الخسفِ معكوسٌ برمتِه وذا يشجُ فلا يبكي له أحدُ

قال: فزجره علي (عليه السلام)، وقال: إنك . والله . ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك . والله . طالما
بغيت للإسلام شراً، لا حاجة لنا في نصيحتك^(١).

وجعل أبو سفيان يطوف في أزقة المدينة ويقول:

بني هاشم لا تُطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم ابن مرة أو عديّ
فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن عليّ

فقال عمر لأبي بكر: إن هذا قدم، وهو فاعل شراً. وقد كان (عليه السلام) يستألفه على الإسلام،
فدع له ما بيده من الصدقة.

ففعل. فرضي أبو سفيان، وبايعه^(٢).

١- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٩ وراجع ص ٢١٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٤٤٩ والكامل في التاريخ ج ٢
ص ٣٢٥ و ٣٢٦ والغدير ج ٣ ص ٢٥٣ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٣
ص ٥٤.

٢- الغدير ج ٣ ص ٢٥٤ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٣ ص ٥٧ وعن
العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧١ و (ط أخرى) ج ٢ = ص ٢٤٩ والإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ١٩٠ والفصول المختارة
للشريف المرتضى ص ٢٤٨ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٤٤ ودلائل الصدق ج ٢
ص ٣٩ وقاموس الرجال ج ٥ ص ١١٧.

ونقول:

إننا نكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية:

الأمر في أقل حي من قريش:

إن أول ما يطالعنا في النصوص المتقدمة: وصف أبي سفيان لقوم أبي بكر بأنهم أقل حي من قريش..

ويبدو لنا: أن يد السياسة والعصبيات المذهبية قد تلاعبت في هذا النص، فقد ذكرنا في كتابنا:

الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) أن أبا سفيان قال كما رواه الحاكم وغيره:

(ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة، وأذها ذلة، يعني أبا بكر)^(١).

فحذف هؤلاء كلمة (وأذها ذلة) ليوهموها الناس أن المقصود هو الحديث عن القلة والكثرة العددية..

ومما يؤيد القول بأن قوم أبي بكر كانوا بهذه المثابة، قول عوف بن عطية:

١- راجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٥١ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٧٨ عن ابن عساکر، وأبي أحمد الدهقان. وراجع: النزاع والتخاصم ص ١٩ وكنز العمال ج ٥ ص ٣٨٣ و ٣٨٥.

وأما الألمان بنو عدي وتيم حين تزدحم الأمور
فلا تشهد بهم فتیان حرب ولكن ادن من حلب وعير
إذا رهنوا رماحهم بزیدِ فإن رماح تيم لا تضیر^(١)
حماس أبي سفيان لماذا؟!:

وقد أظهرت هذه الحادثة أبا سفيان في صورة المتحمس لبني هاشم ضد تيم وعدي.. فيثور
سؤال أمام المرء عن سبب هذا الحماس، هل هو تقوى أبي سفيان؟!
أم هو أنفته من أن يتحكم أقل قريش قلة، وأذهم ذلة بالمسلمين، وهو منهم؟!
أم أنه أراد إشعال نار الفتنة؟!
أم هو حبه المفاجئ لعلي (عليه السلام) وبني هاشم؟! أم ماذا؟!
ثم يستوقفنا أيضاً: أنه برغم الجواب القاسي الذي سمعه من علي (عليه السلام) فإنه لم يرتدع، بل
واصل حملته، وجعل يدور في أزقة المدينة، وينشد الأشعار في تحريض بني هاشم على بني تيم
وعدي.

ثم يأتي السؤال الأكبر والأخطر، وهو: أنه بمجرد أن تركوا له ما في يده من أموال بيت المال
رضي، وباع أبا بكر..
ولسنا بحاجة إلى القول: بأن علياً (عليه السلام) كان أخبر بأبي سفيان

١ - طبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨.

من كل أحد، وكانت نظرتَه (ﷺ) هي الصائبة لكبد الحقيقة، كما دلت عليه نهايات تحرك أبي سفيان، الذي كان يسعى للفتنة، حيث تختلّ الأمور، وتفتح له الأبواب لتحقيق ما يرمي إليه، بتوريط من يعضهم ويعاديهم في عدااء مستحكم مع من كانوا أنصار بني هاشم عليه، وعلى غيره من المشركين. فلعله يدرك بذلك بعض تأره، فإن من ليس يؤمن لا يعرف إلا نفسه، وتحسبهم جميعاً، وقلوبهم شتى.

كما أنه يكون هو الفريق الذي يخطب وده جميع الفرقاء، ويقدم له كل منهم الوعود والإمتيازات، لينصره على الفريق الآخر.. فأبو سفيان يبقى هو الرابع، ويكون هو بيضة القبان. ويصبح قادراً على التلاعب بالأمور حسب هواه.

الفشل الذريع لأبي سفيان:

وقد أفشل علي (ﷺ) خطة أبي سفيان، التي كانت تهدف إلى إثارة فتنة هائلة وعظيمة، وذات نتائج مدمرة فلجأ إلى الرضا بفتات ألقاه إليه الفريق الحاكم..

غير أن القضية بالنسبة إلى أبي سفيان وأمثاله من أهل الدنيا كانت أكثر من فتات، فهو يرى أنه حصل في حركته هذه على نتائج يعتبرها في غاية الأهمية.. فإن هذا الفتات الذي حصل عليه قد أعطاه وأعطى غيره من الطامعين، والطامحين إشارة قوية إلى النهج الذي سيسير عليه الحكام معهم في المستقبل.. ودلهم ذلك على أن الحكم سوف لا يتوقف كثيراً ولا يتقيد بحدود وقيود الشريعة، وأن الميزان في ذلك هو مصلحتهم، وحفظ ما

بيدهم، وأن بإمكان أبي سفيان وغيره أن يتعاملوا معهم وفق هذه القاعدة.
ولذا فلا مانع من إعطاء الصدقات التي جعلها الله للفقراء والمساكين لمن يؤيدهم في ملكهم
وسلطانهم.. مهما كانت حاله في الغنى، وفي الإستهتار بأحكام الشرع والدين، وفي غير ذلك من
أحوال..

وهذا الأمر بالذات هو ما يأخذونه على علي (عليه السلام)، ومن معه من بني هاشم وغيرهم،
وينعون عليهم عدم قبولهم به، ويدينون، وصلابتهم في محاربة هذا النهج، ومن يلتزم به..
والشاهد على ذلك: أن علياً (عليه السلام) لم يرض بإعطاء أشراف ورؤساء القبائل شيئاً من المال،
لكي يؤيدوه ضد خصومه، وليتفادى حرب الجمل، قائلاً: (أأمروني أن أطلب النصر بالجور)^(١)،
فكانت حرب الجمل.

١- راجع: نصح البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٦ ونحف العقول ص ١٨٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥
ص ١٠٧ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٩١ و ٩٣ ومصباح البلاغة (مستدرك نصح البلاغة) ج ٢ ص ١٩٩ و ٢٠١
والغارات للثقفى ج ١ ص ٧٥ و ج ٢ ص ٨٢٧ والأمالى للمفيد ص ١٧٦ والأمالى للطوسي ص ١٩٤ ومناقب آل أبي
طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٦٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٣ و ٣٥٥ و ٣٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٤٨ و ج ٣٤
ص ٢٠٨ و ج ٤٠ ص ٣٢١ و ج ٤١ ص ١٠٨ و ١٢٢ و ج ٧٢ ص ٣٥٨ و ج ٧٥ ص ٩٦ و ج ٩٣ ص ١٦٥ و شرح نصح
البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٠٣ و ج ٨ ص ١٠٩ والإمامة والسياسة لابن قتيبة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٣٢.

مفارقة في موقف عمر!!:

واللافت هنا: أن الذي أشار على أبي بكر بإعطاء أموال بيت المال إلى أبي سفيان هو عمر بن الخطاب نفسه، مع أن عمر بن الخطاب هو الذي ألغى ومزق كتاب أبي بكر الذي كتبه لبعض المؤلفين قلوبهم، وقال: (أعز الله الإسلام، وأغنى عنكم، فإن أسلمتم، وإلا فالسيف بيننا وبينكم).

فرجعوا إلى أبي بكر، فقالوا له: أنت الخليفة، أم هو؟!

فقال: بل هو إن شاء الله. وأمضى ما فعله عمر^(١).

وروى الطبري عن حبان بن أبي جبلة، قال: قال عمر وقد أتاه عيينة بن حصن: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ)^(٢). أي ليس اليوم مؤلفة^(٣).

١- راجع: مختصر القدوري في الفقه الحنفي ج ١ ص ١٦٤. وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ٢ ص ٤٥ والنص والاجتهاد للسيد شرف الدين ص ٤٣ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٦٨ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ١٢٢ وغاية المرام ج ٦ ص ٢٥٥ والفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين ص ٨٨ وكنز العمال ج ١ ص ٣١٥ وفقه السنة لسيد سابق ج ١ ص ٣٩٠.

٢- الآية ٢٩ من سورة الكهف.

٣- جامع البيان للطبري (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٢ هـ) ج ٦ ص ٤٠٠ و (ط دار الفكر سنة ١٤١٥ هـ) ج ١٠ ص ٢٠٩ ونصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٤٧٦ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ٢٦٥ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٦٠.

وجدنا أبا بكر أهلاً للخلافة:

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أن علياً (عليه السلام) قال لأبي سفيان: (إنا وجدنا أبا بكر لذاك (أي للخلافة) أهلاً).

غير أننا نقول: إن ذلك غير صحيح، لما يلي:

١ . إن علياً (عليه السلام) كان يرى: أن أبا بكر غاصب لهذا الأمر، مخالف لأمر الله ورسوله فيه. بل هو ناكث لبيعته له (عليه السلام) يوم الغدير ..

والخطبة الشقشقية لعلي (عليه السلام)، وعشرات غيرها يدل على هذا الأمر دلالة صريحة ..

٢ . صرحت المصادر، ومنها صحيح البخاري: بأن علياً (عليه السلام) لم يبايع أبا بكر إلا بعد أن مضت ستة أشهر من وفاة رسول الله (ﷺ)^(١)، وحديث أبي سفيان هذا قد كان قبل هذا التاريخ ..

بل تقدم أن علياً (عليه السلام) لم يبايعهم طائعاً أبداً ..

١ - صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٨٢ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٤ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٢١٨ والصوامر المهرقعة ص ٧١ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٤١٣ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٧٧ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٧٨ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٥٨ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥٧٣ ونصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٣٦٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٦٨ والإكمال في أسماء الرجال ص ١٦٨ .

٣ . إن علياً (عليه السلام) لم يشارك في اختيار أبي بكر، بل اختاره عمر وأبو عبيدة، كما أن سعد بن عبادة وفريقاً كبيراً من الأنصار، وكذلك بنو هاشم وكثير غيرهم لم يروه أهلاً، ولم يبايعه كثير منهم إلا بالإكراه، وقد ذكرنا ذلك في كتابنا هذا، وغيره..
وبذلك كله يظهر: أن الصحيح هنا هو ذلك النص الذي لم يذكر هذه الفقرة، وإنما أضافها في هذه الرواية التي نحن بصدد مناقشتها نصحاء أبي بكر ومحبه..

خالد بن سعيد يترصب ببيعته:

وذكروا أيضاً: أن خالد بن سعيد بن العاص لما قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) تربع ببيعته شهرين. يقول: قد أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم لم يعزني حتى قبضه الله. وقد لقي علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعثمان بن عفان. فقال: يا بني عبد مناف، لقد طبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم؟!!

فأما أبو بكر فلم يحفلها (يحقدھا) عليه. وأما عمر فاضطغنها عليه..

ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام. وكان أول من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع، وقال ما قال؟!
فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وأمر يزيد بن أبي سفيان^(١).

١ - تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٨٧ و ٣٨٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٨٦ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٢٤٩ وأعيان الشيعة ج ٦ ص ٢٩١ وراجع: تاريخ = مدينة دمشق ج ١٦ ص ٧٨ والوفاي بالوفيات للصفدي ج ١٧ ص ١٦٧ والإستيعاب ج ٣ ص ٩٧٦ وغاية المرام ج ٦ ص ١٣٠.

وفي نص آخر: أن خالد بن سعيد قدم من اليمن بعد وفاة النبي (ﷺ) بشهر، وعليه جبة ديباج، فلقي عمر وعلياً (عليه السلام)، فصاح عمر بمن يليه: مزقوا عليه جبته. ألبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور؟! فمزقوا جبته.

فقال خالد: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف، أغلبتم عليها؟!!

فقال علي (عليه السلام): أمغالبة ترى، أم خلافة؟!!

قال: لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم يا بني عبد مناف.

وقال عمر لخالد: فض الله فاك. والله، لا يزال كاذب يخوض فيما قلت، ثم لا يضر إلا نفسه. فأبلغ عمر أبا بكر مقالته.

فلما عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الردة عقد له فيمن عقد. فنهاه عنه عمر، وقال: إنه لمخذول، وإنه لضعيف التروثة. ولقد كذب كذبة لا يفارق الأرض مدلٍ بها، وخائض فيها، فلا يستنصر به.

فلم يحتمل أبو بكر عليه، وجعله رداءً بتيماء. أطاع عمر في بعض أمره، وعصاه في بعض^(١).

١- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٨٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٧٨ وأعيان الشيعة ج ٦ ص ٢٩٢.

وفي نص ثالث: ان عمر بن الخطاب لم يزل يكلم أبا بكر في خالد بن الوليد، وفي خالد بن سعيد. فأبى أن يطيعه في خالد بن الوليد، وقال: لا أشيم سيفاً سله الله على الكفار، وأطاعه في خالد بن سعيد، بعد ما فعل فعلته^(١).

وقالوا: (لعل المقصود بفعلته هو: مواجهة جيش الروم التي انتهت بانكساره، بسبب خطة وضعها أحد قوادهم، كما ذكره الطبري وغيره)^(٢).

لكننا نقول:

ربما يكون الأصح هو أن المقصود بها موقفه المتقدم من بيعة أبي بكر، بعد عودته من اليمن.. وقد قال أبو بكر بعد أن خرج خالد من عنده: (كان عمر وعلي أعلم

١- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٩١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٨٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٣٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٤٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٥ والإصابة ج ٥ ص ٥٦١ والغدير ج ٧ ص ١٥٥ و ١٥٨ والمصنف لابن أبي شيبه ج ٨ ص ٥ والعثمانية للجاحظ ص ٨٦ و ٢٤٨ وفتح البلدان ج ١ ص ١١٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٩ والوافي بالوفيات للصفدي ج ١٣ ص ١٦٢ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٥٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٧٤ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٢٣٩.

٢- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٩١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٨٩.

مني بخالد، ولو أطعتهما فيه اختشيتيه، واتقيته^(١) .
ونقول:

هذه رواية سيف بن عمر المتهم بالدس والكذب ..
ويستوقفنا فيها أمور، نذكر منها:

ألف: استعملني النبي (ﷺ) ثم لم يعزلني:

ماذا يقصد خالد بن سعيد بقوله: استعملني رسول الله (ﷺ) ثم لم يعزلني؟! هل يريد بذلك تقرير رضا رسول الله (ﷺ) عنه، ليصبح قوله مقبولاً لدى الناس، لأنه كان يتوقع الطعن فيه وفي آرائه بمجرد إعلانه معارضته لما جرى؟! أم يقصد: أنه أحق بالخلافة من أولئك الذين عزلهم رسول الله (ﷺ) بعد أن نصبهم، وظهر عجزهم، وعدم أهليتهم، في خير، وفي ذات السلاسل وغيرها؟!.. أم أنه يريد أن يقرر لنفسه الحق في أن يكون من أهل الشورى، الذي يحتاج إلى رأيهم ومواقفهم في إمضاء الأمور الخطيرة والكبيرة.. فهو يعتبر أن ما أمضوه في غيبته، ومن دون مشورته لاغياً وغير ذي قيمة؟!!

أم أنه يريد تأكيد وثاقته، وأمانته بالإستناد إلى فعل رسول الله (ﷺ) ،

١ - تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٩٢ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٩٠ .

تمهيداً للجهر بأن صاحب الحق الحقيقي هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأن على الناس أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يكافحوا بالوسائل المشروعة. لإعادة الحق إلى أهله، ووضع الأمور في نصابها؟!..

ربما يكون هذا الإحتمال الأخير هو الأقرب والأصوب بملاحظة، موقفه اللاحق، حين كان مع الإثني عشر الذين اعترضوا على أبي بكر. كما سيأتي عن قريب إن شاء الله..

ب: متى رجع خالد بن سعيد؟!:

وقد صرحت الرواية المتقدمة: بأن خالد بن سعيد قد رجع من اليمن بعد شهر أو شهرين، فوجد أن أبا بكر هو المتحكم والحاكم.. وربما يكون خبر ما جرى قد بلغه قبل وصوله، فأعلن اعتراضه على النحو الذي مرّ ذكره..

ويؤيد ذلك أن رواية أخرى ستأتي في فصل: (إحتجاجات ومناشدات)، تذكر احتجاج اثني عشر رجلاً من أعلام المهاجرين في المسجد النبوي الشريف كان خالد بن سعيد أول المحتجين على أبي بكر من بين هؤلاء..

وصرحت بأن: هذا الإحتجاج حصل بعد جمع علي (عليه السلام) للقرآن، وبعد أن دار علي (عليه السلام) بفاطمة والحسين (عليه السلام) على أعيان المهاجرين والأنصار يطالبهم بنصرته.. كما أنها صرحت: بأن أولئك الاثني عشر كانوا غائبين حين البيعة لأبي بكر^(١).

١ - الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٩٠.

وإن كنا نعتقد: أن منهم من كان حاضراً.
ولعل مقصود الراوي: هو أن أكثرهم كان غائباً..
ج: بنو عبد مناف .. وبنو تيم:
وقد لوحظ في الرواية: أن خالد بن سعيد، وجه كلامه إلى علي وعثمان على حد سواء،
معتمداً على الحس القبلي من خلال الموازنة بين بني عبد مناف وبني تيم.
ومن الواضح:

١. إن هذا المنطق مرفوض ومدان بنظر الإسلام..
٢. إن هذا المنطق ليس فقط لا يحرك علياً (عليه السلام)، وإنما هو يثيره لمعارضته وإدانتة.
٣. إنه يعطي بني أمية، الذين يمثلهم عثمان . حيث كان الخطاب موجهاً إليه وإلى علي (عليه السلام) الحق في الخلافة والإمامة. وهذا مخالف للنصوص القرآنية والنبوية حول إمامة علي (عليه السلام)، ولم يزل علي (عليه السلام) وبنو هاشم يأبون ما عدا ذلك ويرفضونه، وقيمون الأدلة، ويحشدون الشواهد من القرآن الكريم، ومن كلام سيد المرسلين على خلافه..
٤. إن الروايات الأخرى تؤكد على أن خالداً كان يسعى لإثبات أن الحق لخصوص أمير المؤمنين (عليه السلام)، بالإستناد إلى ما عاينه وسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وهو ينفي أي حق فيه لسواه، سواء

أكان من بني عبد مناف أو من غيرهم.

٥ . إن ذلك كله يشير إلى أن موازنته بين بني عبد مناف وبين تيم كانت لبيان أمر واقعي، وهو: أن بني عبد مناف هم أهل الفضل والسؤدد والكرامة، والإلتزام بالقيم والمبادئ، فلا يعقل صرف الأمر عنهم إلى أناس ليسوا بهذه المثابة.. وهو يتوقع مؤازرة بني ابيه الأمويين للحق الثابت. ولكن بما أن الكلام قد جاء بطريقة توحى بالمنطق القبلي، كان لا بد من اعتراض علي (عليه السلام) لوضع الأمور في نصابها، وبعيداً عن الحدة.. فجاء بصيغة سؤال يكفي للتخلص من مفاعيله توضيح المراد من كلمة غلبكم التي وردت على لسان خالد..

د: أبو بكر لم يحفلها على خالد:

قول الرواية: إن أبا بكر لم يحفلها (أو لم يحقدها) على خالد بن سعيد، لم يظهر وجهه..

أولاً: لأنه لا ينسجم مع ما ذكرته الرواية التي بعدها، فهي تقول:

إن أبا بكر أطاع عمر في بعض الأمر، وعصاه في بعضه؛ حيث صرف خالداً عن وجهه،

وجعله في تيماء، ليكون . حسب زعمهم . رداءً..

ثانياً: إن تولية أبي بكر لخالد بن سعيد، يراد من خلالها تأليف بني أمية، وكسر الحزازة التي

يجدونها في نفوسهم، بعد أن أصبح تيمى أميراً عليهم. وهو ما لم يكونوا يتوقعونه في أيام نفوذ

كلمتهم، وظهور أمرهم في الجاهلية..

ثالثاً: إن عزل خالد بعد نصبه، سيزيد من تعقيد الأمور في هذا الإتجاه، فأبقاه أبو بكر في ظاهر الأمر، ولكنه أفرغه من محتواه حين جعله في تيماء، فارغاً من أي فائدة، فاقداً لدوره الذي يتوقع من مثله..

ثم أرضى سائر الأمويين بتأميمه يزيد بن أبي سفيان مكانه..
وكل ذلك يظهر حنكة أبي بكر، وتعمقه في سياساته وخططه بطابعها الخاص.
ه: خالد.. وجبة الديباج:

وقد زعمت رواية سيف: أن خالداً حين قدم من اليمن بعد وفاة النبي (ﷺ) كان يلبس جبة ديباج.. وأن عمر أمر بتمزيقها عليه. فمُزِّقَت. ونحن نكاد لا نصدِّق ذلك..
فأولاً: إن خالداً لم يكن يلبس الحرير، بعد ما علم من نهي رسول الله (ﷺ) عن لبسه.. ولو فعل ذلك، فلا بد أن يتوقع اعتراض المسلمين عليه في ذلك.. فما الذي يدعوه لوضع نفسه موضع المؤاخذة والمهانة؟!

ثانياً: إن عمر لم يكن هو الحاكم، ولم يكن حكم أبي بكر قد ثبت واستقر بعد، لا سيما مع وجود المعارضين والمعارضين له، والخوف من ازديادهم وتكثرتهم.. ولم يكن ليحتمل أحد من عمر أن يتطفل عليه في أمثال هذه الأمور، بل هو سوف يثار لنفسه، ويبادر إلى رد الإهانة بمثله.
ثالثاً: هل كان الناس يأتمرون بأمر عمر آنئذٍ، حتى إذا صاح بمن يليه من الناس، وأمرهم بالإعتداء على أحد القادة بادروا إلى تنفيذ أمره، ومزقوا

عليه جفته؟! إلا إن كانوا يخشون من أن يستعين مرة أخرى ببني أسلم وسواهم من الأعراب الذين كانوا حول المدينة، وكانوا قد استعانوا بهم في إقامة وتثبيت خلافة أبي بكر. وكانوا جيشاً جراراً ربما يصل عدده إلى الألوف. ولعل قسماً منهم كان لا يزال في المدينة..

و: لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم:

ثم إنه بالرغم من أن علياً (عليه السلام) يوجه سؤاله الإنكاري إلى خالد، فيقول: أمغالبة ترى، أم خلافة؟!.. فإن الرواية تقول:

إن خالداً لم يتراجع عن مفهوم المغالبة، بل أكده بقوله: لا يغالب على هذا الأمر أولى منكم. مع أنه يعلم أن علياً (عليه السلام) لا يتفاعل مع هذا المنطق، بل هو لا يرضى بإثارة الأمور على هذا النحو..

يضاف إلى ذلك: أن الرواية الآتية في فصل: (احتجاجات ومناشدات)، والتي تضمنت احتجاج الإثني عشر صحابياً على أبي بكر تبين: أن خالداً كان يرى أن المعيار في أمر الخلافة هو نص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتقريره أن الحق له دون سواه..

ز: السكوت المحير:

وبعد.. فإن الرواية تذكر: أن عمر بن الخطاب يقول لخالد بن سعيد: (فض الله فاك، والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت، ثم لا يضر إلا نفسه).

ولم تذكر شيئاً عن جواب خالد على هذا الكلام البالغ في جرأته وقسوته.. مع أن طبيعة الأمر تقتضي أن يجيبه خالد ولو برد كلامه عليه في

أدنى الفروض..

فما الذي منع خالداً من الجواب؟! هل هو الخوف من عمر؟! وهذا ما لا نتوقعه من أمثال خالد..

أم الخوف من تهديده المبطن بأن الحكم سوف لا ينفعه بنافعة أو خاف من التهديد بأن يكون الحكم كله ضده، وسوف يتعرض لأضرار بالغة تلحقه كشخص؟!!

ولكن هل يمكن أن نصدق أن من يبادر إلى المعارضة بهذه الشدة والحدة، لا يتوقع أي ضرر ربما يلحق به نتيجة لمعارضته؟! أم ماذا؟!!

أم أنه رأى أنه يقصد بذلك غيره، ممن لا يعنيه أمره؟!!

ح: كذبة خالد:

تذكر الرواية الآنفة الذكر: أن عمر بن الخطاب وصف خالد بن سعيد بأنه يكذب كذبة، لا يفارق الأرض مدل بها، وخائض فيها. فلا يستنصر به.

ونقول:

أولاً: ليس في كلام خالد ما يصح وصفه بالكذب، بل مجرد كلام تحريضي، قائم على قواعد المفاضلة العشائرية، بين بني عبد مناف، وبين قبيلة تيم، وهي قبيلة أبي بكر..

ثانياً: قول عمر عن كذبة خالد: (لا يفارق الأرض مدل بها، وخائض فيها) لم نفهم له معنى. فإن كلمة خالد ليست هي السبب في إثارة موضوع غاصبية أبي بكر للخلافة من صاحبها الشرعي، بل هو موضوع مثار من

اللحظة الأولى .

وقد ارتكبت من أجله الجرائم، وواجه الناس فيه الأهوال، ولحقهم الكثير من الهضم والظلم، سواء بالنسبة لعلي (عليه السلام) نفسه، أو بالنسبة للسيدة الزهراء (عليها السلام)، فضلاً عن آخرين تعرضوا لكثير من الأذى في هذا السبيل..

فإذا كان تداول هذا الموضوع والخوض فيه، وعدم مفارقة الأرض لخائضٍ فيه ليس بسبب موقف خالد بن سعيد، فلماذا يحمّله عمر بن الخطاب مسؤولية ذلك؟!
ثالثاً: إذا كان خالد قد كذب هذه الكذبة الكبيرة، فمن المصلحة أن يستنصر به أبو بكر، لتكون نصرته لأبي بكر من أدلة تكذيبه لنفسه، ويكون ذلك أقوى لحجة أبي بكر، وأولى من استبعاد خالد، وإقصائه عن موقعه..

ط: فعلة خالد بن سعيد:

وقد حاولت روايات سيف: أن تضعف من موقف خالد، بادعاء أنه ارتكب خطأً في مواجهاته مع جيش الروم، ومني بهزيمة نتيجة لذلك.
والذي يثير الإنباه هنا: أن هذا الذي ينسب إلى خالد بن سعيد هو برواية سيف بن عمر، وهو متهم فيما ينقله، فقد أظهرت الوقائع أنه يسعى للطعن في الفئة التي لم تبادر إلى تأييد خلافة أبي بكر وعمر، أو من ظهر منهم تردد في ذلك.. وهذا المورد ليس بعيداً عن هذه الأجواء، إذا أخذ موقف خالد بن سعيد بنظر الاعتبار..

عمرو وطلحة وعلي (عليه السلام):

لما رجع عمرو بن العاص من البحرين، أخبرهم: أن العساكر معسكرة من دبا إلى حيث انتهى إليهم، فتفرقوا، وتحلقوا حلقاتاً. وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو، فمرّ بحلقة، وهم في شيء من الذي سمعوا من عمرو، وفي تلك الحلقة: عثمان، وعلي، وطلحة والزبير، وعبد الرحمان، وسعد، فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟!

فلم يجيبوه، فقال: ما أعلمني بالذي خلوتم عليه، فغضب طلحة، وقال: تالله يا بن الخطاب، لتخبرنا بالغيب!

قال: لا يعلم الغيب إلا الله. ولكن أظن قلتم: ما أخوفنا على قريش من العرب، وأخلقهم ألا يقرؤا بهذا الأمر.

قالوا: صدقت.

قال: فلا تخافوا هذه المنزلة. أنا - والله - منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم. والله، لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلتته في آثاركم، فاتقوا الله فيهم.

ومضى إلى عمرو، فسلم عليه، ثم انصرف إلى أبي بكر^(١).

ونقول:

إننا نرتاب كثيراً في صحة بعض مضامين هذه الرواية، وذلك لما يلي:

١- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٤٤٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٣ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢١١.

أولاً: لماذا يببالغ عمرو بن العاص في إظهار حجم العساكر التي تنهياً لمهاجمة المدينة؟! هل يريد بذلك خدمة أبي بكر من خلال تخويف الفريق الآخر بهذه العساكر، لكي يسلموا لأبي بكر، ويرضوا باغتصابه لأمر الخلافة، الذي جعله الله تعالى لأمير المؤمنين (عليه السلام)؟! أم أنه يريد أن يحرك أبا بكر ليبادر للتفاوض معه، ويقدم له الإمتيازات، ليكون معه وإلى جانبه ضد خصومه؟!!

ثانياً: إننا لم نر أثراً يذكر لهذه العساكر، فأين ذهبت؟! وماذا صنعت؟! وهل وصلت إلى المدينة أم لم تصل؟! ومن هم قادتها؟! وكيف تعامل أبو بكر معهم ومعها؟! ثالثاً: ما هذه المصادفة التي جمعت أهل الشورى في جلسة واحدة، ثم جاءت بعمر بن الخطاب ليصول عليهم، ويقرعههم بمر القول، ويحذرهم، ويعرض بهم باتهامهم في تقواهم لله تبارك وتعالى؟!.. رابعاً: إن هذا الذي ذكره عمر للمتحدثين، من أنهم قد تداولوه في حديثهم ليس من الأسرار التي يتكتم عليها من عمر.. فلماذا يسكتون حين مر بهم عمر؟! وما الذي يمنعهم من إخباره بمضمونه؟!!

أم أن عمر قد سمع ذلك منهم، ثم تظاهر بعدم السماع، ليؤكد لهم عبقريته في استخراج ما في ضمائرهم؟! أم أن الهدف هو إظهار قوة عمر وجرأته حتى على هؤلاء الجماعة الكبار، حتى لو كان علي (عليه السلام) بينهم؟!..

خامساً: كيف اتفق هؤلاء الستة على هذا القول، الذي تكتموا عليه أمام عمر، مع أن أكثرهم كان إلى جانب عمر ومن حزيه، ومن أنصار أبي بكر، ولا سيما عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وكذلك سعد بن أبي وقاص، ثم طلحة..

كما أن الزبير كان قد أنهى معارضته لهم، ور ضي بالبيعة لأبي بكر منذ اليوم الأول، وانتهى الأمر.

سادساً: إذا صح كلام عمر لهم حول تبعية العرب لقريش، وأن قريشاً هي التي يخشى على العرب منها، وليس العكس.. فلماذا كان الأمر على عكس ما قاله عمر؟! ولماذا ارتدت العرب بعد وفاة الرسول؟! ولماذا منعوا (الزكاة) عن أبي بكر؟! ولماذا احتاج أبو بكر إلى حرهم؟! حتى إنهم ليدعون: أنه خرج بنفسه لمحاربة معارضييه من العرب، مع أنه قرشي..

سابعاً: إن هذا النص يريد أن يتوصل إلى اتهام علي (عليه السلام) بالخيانة، وبقلة الدين، وبأنه طامح وطامع، وبأنه يريد أن يورد الناس الهلكات بسبب أطماعه هذه..

لأن سائر أهل الجلسة كانوا موافقين لعمر وأبي بكر فيما فعلاه من اغتصاب الخلافة من أهلها، وفي غير ذلك من أمور..

الفصل السابع: إحتجاجات ... ومناشدات ..

بداية توضيحية:

وقد جرت بين علي (عليه السلام) وأبي بكر احتجاجات كثيرة، لا يمكننا إيرادها بجمعها، وبعضها تضمن أموراً قد لا تناسب لذائقة كثيرين، إما من ناحية استنقاهم ما يتضمن منها معجزة إلهية تقهر عقولهم.. أو من ناحية إظهار تلك الإحتجاجات حقائق لا يتوقعونها، من حيث إنها تتسبب بإسقاط هالة القداسة التي أحاطوا بها أناساً هم أبعد ما يكون عنها..

وقد تضمن الكتاب الشريف (بحار الأنوار) وكثير من كتب الحديث المعتبرة غاية الإعتبار: الكثير الكثير من هذه الأحاديث.. فلا بد من إحالة القارئ إليها، والتعويل عليها لمن أراد التوسع في هذا الموضوع..

أما نحن، فنكتفي هنا بذكر نماذج يسيرة ثم ننصرف . بالرغم عنا . إلى غيرها..

والموارد التي اخترناها وآثرنا أن نعرضها كما هي، ومن دون تصرف أو تعليق سوى بعض ما يقتضيه التوضيح أو التصحيح، هي التالية:

مناشدات علي (عليه السلام) لأبي بكر:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده (عليه السلام) قال: لما كان من أمر أبي بكر، وبيعة الناس له، وفعلهم بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ،

ما كان، لم يزل أبو بكر يظهر له الإنبساط، ويرى منه الإنقباض، فكبر ذلك على أبي بكر، وأحب لقاءه، واستخرج ما عنده، والمعذرة إليه مما اجتمع الناس عليه، وتقليدهم إياه أمر الأمة، وقلة رغبته في ذلك، وزهده فيه. فأتاه في وقت غفلة، وطلب منه الخلوة، وقال له:

والله يا أبا الحسن، ما كان هذا الأمر مواطاة مني، ولا رغبة فيما وقعت فيه، ولا حرصاً عليه، ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأمة، ولا قوة لي بمال، ولا كثرة العشيرة، ولا استيثاراً به دون غيري، فما لك تضرع عليّ ما لم أستحقه منك، وتظهر لي الكراهة فيما صرت إليه، وتنظر إليّ بعين الشنأة لي؟!!

فقال له (عائشة): فما حملك عليه إذ لم ترغب فيه، ولا حرصت عليه، ولا وثقت بنفسك في القيام به؟!!

قال: فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول الله (ﷺ): (إن الله لا يجمع أمتي على ضلال)، فلما رأيت إجماعهم اتبعت قول النبي (ﷺ)، وأحلت^(١) أن يكون إجماعهم على خلاف الهدى من الضلال، فأعطيتهم قود الإجابة، ولو علمت أن أحداً يتخلف لامتنعت!

قال: فقال علي (عائشة): أما ما ذكرت من حديث النبي (ﷺ): (إن الله لا يجمع أمتي على ضلال، أفكنت من الأمة، أم لم أكن؟!!

١ - أي حكمت باستحالة ذلك.

قال: بلى.

قال: وكذلك العصابة الممتنعة عنك، من سلمان، وعمار، وأبي ذر، والمقداد، وابن عبادة ومن

معه من الأنصار؟!!

قال: كل من الأمة.

فقال علي (عليه السلام): فكيف تحتج بحديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأمثال هؤلاء قد تخلفوا عنك، وليس

للأمة فيهم طعن، ولا في صحبة الرسول ونصيحته منهم تقصير؟!!

قال: ما علمت بتخلفهم إلا من بعد إبرام الأمر، وخفت إن قعدت عن الأمر أن يرجع الناس

مرتدين عن الدين، وكان ممارستهم إلى إن أحببتهم أهون مؤنة على الدين، وإبقاءً له من ضرب

الناس بعضهم ببعض، فيرجعون كفاراً، وعلمت أنك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم!

فقال علي (عليه السلام): أجل، ولكن أخبرني عن الذي يستحق هذا الأمر، بما يستحقه؟!!

فقال أبو بكر: بالنصيحة، والوفاء، ودفع المداينة، والمحاباة، وحسن السيرة، وإظهار العدل،

والعلم بالكتاب والسنة، وفصل الخطاب، مع الزهد في الدنيا وقلة الرغبة فيها، وانتصاف المظلوم

من الظالم للقريب والبعيد.. ثم سكت.

فقال علي (عليه السلام): والسابقة والقرابة؟!!

فقال أبو بكر: والسابقة والقرابة.

قال: فقال علي (عليه السلام): أنشدك بالله، يا أبا بكر، أفي نفسك تجد

هذه الخصال، أو في؟!

قال أبو بكر: بل فيك يا أبا الحسن.

قال: فأنشذك بالله، أنا المحيب لرسول الله (ﷺ) قبل ذكران المسلمين، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا صاحب الأذان لأهل الموسم ولجميع الأمة بسورة براءة، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا وقيت رسول الله بنفسي يوم الغار، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، ألي الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكاة الخاتم، أم لك؟!

قال: بل لك.

قال: فأنشذك بالله، أنا المولى لك ولكل مسلم بحديث النبي (ﷺ) يوم الغدير، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، ألي الوزارة من رسول الله (ﷺ) والمثل من هارون وموسى، أم لك؟!

قال: بل لك.

قال: فأنشذك بالله، أبي برز رسول الله (ﷺ) وبأهل بيتي وولدي في مباهلة المشركين من
النصارى، أم بك وبأهلك وولدك؟!

قال: بكم.

قال: فأنشذك بالله، ألي ولأهلي وولدي آية التطهير من الرجس، أم لك ولأهل بيتك؟!

قال: بل لك ولأهل بيتك.

قال: فأنشذك بالله، أنا صاحب دعوة رسول الله (ﷺ) وأهلي وولدي يوم الكساء: اللهم

هؤلاء أهلي، إليك لا إلى النار، أم أنت؟!

قال: بل أنت، وأهلك، وولدك.

قال: فأنشذك بالله، أنا صاحب الآية: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)^(١)،

أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي ردت له الشمس لوقت صلاته فصلاها ثم توارت، أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الفتى الذي نودي من السماء: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا

علي)، أم أنا؟!

١ - الآية ٧ من سورة هل أتى.

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي حباك رسول الله (ﷺ) برايته يوم خير، ففتح الله له، أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي نفست عن رسول الله (ﷺ) وعن المسلمين بقتل عمرو بن

عبد ود، أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي ائتمنتك رسول الله (ﷺ) على رسالته إلى الجن فأجابت، أم

أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: أنشدك بالله، أنا الذي طهره رسول الله (ﷺ) من السفاح من آدم إلى أبيه بقوله

(ﷺ): خرجت أنا وأنت من نكاح لا من سفاح، من آدم إلى عبد المطلب، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا الذي اختارني رسول الله (ﷺ)، وزوجني ابنته فاطمة (عليها السلام)، وقال:

الله زوجك إياها في السماء، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا والد الحسن والحسين سبطيه وريحانتيه إذ يقول:

(هما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما)، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أخوك المزين بجناحين يطير في الجنة مع الملائكة، أم أخي؟!

قال: بل أخوك.

قال: فأنشذك بالله، أنا ضمننت دين رسول الله (ﷺ) وناديت في المواسم بإنجاز مواعيده، أم

أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا الذي دعاه رسول الله (ﷺ) والطير عنده يريد أكله، فقال: (اللهم

ايتني بأحب خلقك إليّ وإليك بعدي، يأكل معي من هذا الطير)، فلم يأته غيري، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا الذي بشرني رسول الله (ﷺ) بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين

على تأويل القرآن، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا الذي دل عليه رسول الله (ﷺ) بعلم القضاء وفصل الخطاب بقوله:

(علي أقضاكم)، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا الذي أمر لي رسول الله (ﷺ)

أصحابه بالسلام علي بالإمرة في حياته، أم أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنا الذي شهدت آخر كلام رسول الله (ﷺ)، ووليت غسله ودفنه، أم

أنت؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي سبقت له القرابة من رسول الله (ﷺ)، أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي حبك الله عز وجل بالدينار عند حاجته إليه، وباعك جبرئيل

(عليه السلام)، وأضفت مُهداً (ﷺ)، فأطعمت ولده، أم أنا؟!

قال: فبكي أبو بكر! وقال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي جعلك رسول الله (ﷺ) على كتفه في طرح صنم الكعبة

وكسره، حتى لو شئت أن أنال أفق السماء لنتها، أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي قال لك رسول الله (ﷺ): أنت صاحب لواي في الدنيا

والآخرة، أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي أمرك رسول الله (ﷺ) بفتح بابه في مسجده عندما أمر بسد أبواب جميع أهل بيته وأصحابه، وأحل لك فيه ما أحله الله له، أم أنا؟!
قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي قدمت بين يدي نجوى رسول الله (ﷺ) صدقة فجاجيته، إذ عاتب الله عز وجل قوماً، فقال: (ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) ^(١)، أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله، أنت الذي قال رسول الله (ﷺ) لفاطمة: زوجتك أول الناس إيماناً، وأرجحهم إسلاماً. في كلام له، أم أنا؟!
قال: بل أنت.

قال: فأنشذك بالله يا أبا بكر، أنت الذي سلمت عليه ملائكة سبع سماوات يوم القليب أم أنا؟!

قال: بل أنت.

قال: .. فلم يزل علي (عليه السلام) يورد مناقبه التي جعل الله عز وجل له ورسوله (ﷺ) دونه، ودون غيره.

ويقول أبو بكر: بل أنت.

١ - الآية ١٣ من سورة المجادلة.

قال: فبهذا وشبهه يستحق القيام بأمور أمة مُحَمَّد (ﷺ)، فما الذي غرك عن الله تعالى وعن رسوله ودينه، وأنت خلوت مما يحتاج أهل دينه.

قال: فبكى أبو بكر وقال: صدقت يا أبا الحسن، أنظرنى قيام يومي، فأدبر ما أنا فيه، وما سمعت منك.

قال: فقال علي (عليه السلام): لك ذلك يا أبا بكر.

فرجع من عنده، وطابت نفسه يومه، ولم يأذن لأحد إلى الليل، وعمر يتردد في الناس لما بلغه من خلوته بعلي (عليه السلام).

فبات في ليلته، فرأى في منامه كأن رسول الله (ﷺ) تمثل له في مجلسه، فقام إليه أبو بكر ليسلم عليه، فولى عنه وجهه، فصار مقابل وجهه، فسلم عليه، فولى وجهه عنه.

فقال أبو بكر: يا رسول الله! أمرت بأمر لم أفعله؟!

فقال رسول الله (ﷺ): أرد عليك السلام وقد عادت من ولاة الله ورسوله؟! رد الحق إلى أهله.

فقلت: من أهله؟!

قال: من عاتبك عليه، علي.

قلت: فقد رددت عليه يا رسول الله، ثم لم يره.

فأصبح وبكر إلى علي (عليه السلام) وقال: ابسط يدك يا أبا الحسن أبايعك، وأخبره بما قد رأى.

قال: فبسط علي يده، فمسح عليها أبو بكر، وبايعه وسلم عليه، وقال له: أخرج إلى مسجد رسول الله (ﷺ)، فأخبر الناس بما رأيت في ليلتي، وما جرى بيني وبينك، وأخرج نفسي من هذا الأمر، وأسلمه إليك؟!!

قال: فقال علي (عليه السلام): نعم.

فخرج من عنده متغيراً لونه، عاتباً نفسه، فصادفه عمر . وهو في طلبه . فقال له: ما لك يا خليفة رسول الله؟!!

فأخبره بما كان، وما رأى، وما جرى بينه وبين علي (عليه السلام).

فقال له عمر: أنشدك بالله يا خليفة رسول الله، والإغترار بسحر بني هاشم، والثقة بهم، فليس هذا بأول سحر منهم..

فما زال به حتى رده عن رأيه، وصرفه عن عزمه، ورغبه فيما هو فيه، في الثبات عليه والقيام به. قال: فأتى علي (عليه السلام) المسجد على الميعاد، فلم ير فيه منهم أحداً، فأحس بشيء منهم، فقعده إلى قبر رسول الله (ﷺ)، قال: فمر به عمر، فقال: يا علي، دون ما تريد خرط القتاد. فعلم (عليه السلام) بالأمر، ورجع إلى بيته.

متى كانت المناشدة:

ويبدو لنا أن هذه القضية قد حدثت قبل وفاة أبي بكر بيسير، بدليل أنه (عليه السلام) ناشده بقوله: فانشدك بالله، أنا ضمننت دين رسول الله (ﷺ) ،

وناديت في المواسم بانجاز مواعيده أم أنت؟!

فقال: بل أنت.

وإنما تصح هذه المناشدة إذا كانت قد مرت أكثر من سنة كان يحضر فيها المواسم لأجل انجاز مواعيد رسول الله (ﷺ) إلا إن المقصود بالمواسم، مواسم الحج، ومواسم العمرة، ومواسم عكاظ ونحو ذلك..

ولدني أبو بكر مرتين:

ورد في الرواية المتقدمة.. استدلال علي (عليه السلام) بآية التطهير على أنه هو الذي ولد من لدن آدم من نكاح دون سفاح دون أبي بكر. وقد اعترف له ابو بكر له بذلك. وهذا ينقض الاستدلال على طهارة أبي بكر برواية بعضهم عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (ولدني أبو بكر مرتين)^(١).

١ - راجع: تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٠٣ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٦ وعمدة الطالب ص ١٧٦ (مطبعة الصدر سنة ١٤١٧ هـ قم) وغاية الاختصار ص ١٠٠ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٦١ (ط سنة ١٣٨١ هـ. المطبعة العلمية قم المقدسة) عن الجنابذي وعن جواهر الكلام لابن وهيب ص ١٣ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٥٥ والصواعق المحرقة ص ٨٤ وأورده السيد الخوئي في مستند العروة كتاب الخمس ج ١ ص ٣١٧ وتنقيح المقال ج ٣ ص ٧٣ وعن الدر المنثور ج ١ ص ٢٤٠ ولم أجده.

ويؤكد ما قلناه من أن الصحيح هو ما ذكره القرطبي من أن أم الإمام الصادق (عليه السلام)، هي بنت القاسم بن محمد بن أبي سمرة، لا ابن أبي بكر^(١). وقد ناقشنا هذا الموضوع في كتابنا مختصر مفيد ج ١ ص ٧١ - ٧٨ فراجع.

اثنا عشر صحابياً يحتجون على أبي بكر:

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): جعلت فداك، هل كان أحد في أصحاب رسول الله (ﷺ) أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه [في] مجلس رسول الله (ﷺ)؟!^(٢)

فقال: نعم، كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي (رضي الله عنه)، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي.

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه م أجمعين).

قال: فلما سعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولنزلنه عن منبر رسول الله (ﷺ).

١ - اخبار الدول (مطبوع بهامش الكامل في التاريخ سنة ١٣٠٢ هـ) ج ١ ص ٢٣٤.

وقال آخرون منهم: والله لعن فعلتم ذلك إذا أعنتم على أنفسكم، فقد قال الله عز وجل:
(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (١).

قالوا: فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) لنستشيره ونستطلع رأيه.
فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بأجمعهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق
به وأولى به من غيرك، لأننا سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (علي مع الحق والحق مع علي، يميل مع
الحق كيف ما مال).

ولقد هممنا أن نصير إليه فننزه عن منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فجئناك نستشيرك ونستطلع رأيك،
فما تأمرنا؟!!

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): وأيم الله، لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملاح في
الزاد، وكالكحل في العين، وأيم الله، لو فعلتم ذلك لأتيموني شاهرين بأسيافكم، مستعدين للحرب
والقتال، وإذاً لأتوني فقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلا بد لي من أدفع القوم عن نفسي، وذلك أن
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوعز إلي قبل وفاته وقال لي:

(يا أبا الحسن، إن الأمة ستغدر بك من بعدي، وتنقض فيك عهدي، وإنك مني بمنزلة هارون
من موسى، وإن الأمة الهادية من بعدي كهارون ومن اتبعه، والأمة الضالة من بعدي كالسامري
ومن اتبعه).

١ - الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إلي إذا كان كذلك؟! فقال: (إذا وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً).

فلما توفي رسول الله (ﷺ) اشتغلت بغسله وتكفينه، والفراغ من شأنه، ثم آليت على نفسي يمينا أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت.

ثم أخذت بيد فاطمة (عليها السلام) وابني الحسن والحسين (عليهم السلام) فدرت على أهل بدر وأهل السابقة، فناشدتهم حقي، ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط: سلمان، وعمار، وأبو ذر، والمقداد (رضي الله عنهم).

ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا علي إلا السكوت لما علموا من وغارة صدور القوم، وبغضهم لله ورسوله، ولأهل بيت نبيه.

فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل، فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم، ليكون ذلك أوكداً للحجة، وأبلغاً للعذر، وأبعد لهم من رسول الله (ﷺ) إذا وردوا عليه.

فسار القوم حتى أحرقوا بمنبر رسول الله (ﷺ)، وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا.

فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا وتقدموا أنتم، فإن الله عز وجل بدأ بكم في الكتاب، إذ قال الله عز وجل: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ (١)

إلى أن تقول الرواية:

فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص، ثم باقي المهاجرين، ثم [من] بعدهم الأنصار (٢).
وروي: أنهم كانوا غُيباً عن وفاة رسول الله (ﷺ)، فقدموا، وقد تولى أبو بكر، وهم يومئذ
أعلام مسجد رسول الله (ﷺ).

١ - فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: اتق الله يا أبا بكر، فقد علمت أن رسول الله
(ﷺ) قال - ونحن محتوشوه يوم بني قريظة، حين فتح الله عز وجل له باب النصر، وقد قتل علي
بن أبي طالب (عليه السلام) يومئذ عدة من صناديد رجالهم، وأولي البأس والنجدة منهم :-
يا معاشر المهاجرين والأنصار، إني موصيكم بوصية فاحفظوها، وموعدكم أمراً فاحفظوه، ألا
إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي، وخليفتي

١ - الآية ١١٧ من سورة التوبة.

٢ - الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٥٧ والخصال للصدوق ص ٥٤٨ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٣
ص ٢٠١ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٠٥ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٢٣ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣ و (ط حجرية) ج ٨ ص ٧٩
وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٧٣ وغاية المرام ج ٢ ص ١٢٣ وج ٣ ص ١٩٦ وج ٦ ص ١١.

فيكم. بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم، واضطرب عليكم أمر دينكم، ووليكم أشراركم. ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمرى، والعالمون لأمر أمتي من بعدي.

اللهم من أطاعهم من أمتي، وحفظ فيهم وصيتي، فاحشرهم في زمري، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي، يدركون به نور الآخرة.

اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي، فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد، فلست من أهل المشورة، ولا ممن يقتدى برأيه.

فقال له خالد: بل اسكت أنت يا بن الخطاب، فإنك تنطق على لسان غيرك، وأيم الله، لقد علمت قريش أنك من الأمها حسباً، وأدناها منصباً، وأخسها قدراً، وأخملها ذكراً، وأقلهم عناءً عن الله ورسوله.

وإنك لجبان في الحروب، [و] بخيل بالمال، لئيم العنصر، ما لك في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر، وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان (إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِيَّيَّ بَرِيءٌ مِنْكَ إِيَّيَّ أَخَافُ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)^(١). فأبلس عمر، وجلس خالد بن سعيد.

١ - الآيتان ١٦ و ١٧ من سورة الحشر.

٢ . ثم قام سلمان الفارسي وقال: (كرديد ونكرديد).

أي فعلتم ولم تفعلوا، وقد كان امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجئ عنقه.

فقال: يا أبا بكر إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه، وإلى من تفرع إذا سئلت عما لا تعلمه، وما عذرك في التقدم على من هو أعلم منك، وأقرب إلى رسول الله (ﷺ)، وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه، ومن قدمه النبي (ﷺ) في حياته، وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله، وتناسيتم وصيته، وأخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحللتهم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد، حذراً من مثل ما أتيموه، وتنبهوا للأمة على عظيم ما اجترتموه من مخالفة أمره.

فعن قليل يصفو لك الأمر، وقد أثقلك الوزر، ونقلت إلى قبرك، وحملت معك ما كسبت يدك.

فلو [أنك] راجعت الحق من قريب، وتلافيت نفسك، وتبت إلى الله من عظيم ما اجترمت، كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد في حفرتك، ويسلمك ذوو نصرتك، فقد سمعت كما سمعنا، ورأيت كما رأينا، فلم يردعك ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده، ولا حظ للدين ولا المسلمين في قيامك به، فالله الله في نفسك، فقد أعذر من أنذر، ولا تكن كمن أدبر واستكبر.

٣ . ثم قام [إليه] أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه)، فقال: يا معشر قريش،

نصبتهم قناعة (قباحة)، وتركتم قرابة، والله لتترتدن جماعة من العرب ولتشكن في هذا الدين، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان، والله لقد صارت لمن غلب، ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها، وليسفكن في طلبها دماء كثيرة . فكان كما قال أبو ذر . .

ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم: أن رسول الله (ﷺ) قال: (الأمر [من] بعدي لعلي بن أبي طالب (عليه السلام))، ثم من بعده لابني [منه] الحسن والحسين، ثم للطاهرين من ذريتي، فأطرحتم قول نبيكم وتناسيتهم ما عهد به إليكم، فأطعتم الدنيا الفانية، ونسيتم الآخرة الباقية، التي لا يهرم شبابها، ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكانها، بالحقير التافه، الفاني الزائل، فكذلك الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها، ونكصت على أعقابها، وغيرت وبدلت، واختلفت، فسأويتموهم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، وعمّا قليل تذوقون وبال أمركم، وتجزون بما قدمت أيديكم . وما الله بظلام للعبيد .

٤ . ثم قام المقداد بن الأسود (رضي الله عنه)، فقال: يا أبا بكر، ارجع عن ظلمك، [ورد الأمر إلى صاحبه]، وتب إلى ربك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك .

فقد علمت ما عقده رسول الله (ﷺ) في عنقك من بيعته، وألزمك من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد وهو مولاه .

ونبه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه، بضمه لكما إلى علم النفاق، ومعدن الشنآن والشقاق، عمرو بن العاص، الذي أنزل الله

على [لسان] نبيه (ﷺ): (إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)^(١)، فلا اختلاف بين أهل العلم أنها نزلت في عمرو، وهو كان أميراً عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله (ﷺ) في غزاة ذات السلاسل.

وإن عَمراً قلدكما حرس عسكره، فأين الحرس إلى الخلافة؟! اتق الله، وبادر بالإستقالة قبل فواتها، فإن ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تترك إلى دنياك، ولا تغرنك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحل عنك دنياك، ثم تصير إلى ربك، فيجزيك بعملك.

وقد علمت وتيقنت أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو صاحب الأمر بعد رسول الله، فسلمه إليه بما جعله الله له، فإنه أتم لسترك واخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي، وإلى الله ترجع الأمور.

٥ . ثم قام إليه بريدة الأسلمي (رضي الله عنه) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا لقي الحق من الباطل!! يا أبا بكر، أنسيت أم تناسيت، [وخذعت] أم خدعتك نفسك، أم سولت لك الأباطيل؟! أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله (ﷺ) من تسمية علي (عليه السلام) بإمرة المؤمنين، والنبي (ﷺ) بين أظهرنا؟! بين أظهرنا؟!

وقوله (صلى الله عليه وآله) في عدة أوقات: (هذا علي أمير المؤمنين، وقاتل الناكثين، والمشركين، والقاسطين، والمارقين).

١ - الآية ٣ من سورة الكوثر.

فاتق الله، وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها، وأنقذها مما يهلكها، واردد الأمر إلى من هو أحق به منك، ولا تتماذ في اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتك النصح، ودللتك على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيراً للمجرمين.

٦ . ثم قام عمار بن ياسر (رضي الله عنه)، فقال: يا معاشر قريش، ويا معاشر المسلمين، إن كنتم علمتم، وإلا فاعلموا: أن أهل بيت نبيكم أولى به، وأحق بإرثه، وأقوم بأمر الدين، وآمن على المؤمنين، وأحفظ لملته، وأنصح لأمته، فمروا صاحبكم، فليرد الحق إلى أهله، قبل أن يضطرب حبلكم، ويضعف أمركم، ويظهر شتاتكم، وتعظم الفتنة بكم، وتختلفوا فيما بينكم، ويطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم، وعلي أقرب منكم إلى نبيكم، وهو وليكم بعهد الله ورسوله.

وفرق ظاهر قد [علمتموه و] عرفتموه في حال بعد حال، عند سد النبي (صلى الله عليه وسلم) أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلها غير بابه، وإيثاره إياه بكرمته فاطمة (عليها السلام)، دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله (صلى الله عليه وسلم):

(أنا مدينة العلم وعلي بائها، فمن أراد [العلم و] الحكمة فليأتها من بائها). وإنكم جميعاً مضطرون فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه، وهو مستغن [عن دينكم و] عن كل أحد منكم، إلى ما له من السوايق التي ليست لأفضلكم عند نفسه.

فما بالكم تحيدون عنه، وتبتزون علياً حقه، وتؤثرون الحياة الدنيا على

الآخرة، بئس للظالمين بدلاً؟!

أعطوه ما جعله الله له، ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا ترتدوا على أعقابكم، فتنقلبوا خاسرين.
٧ . ثم قام أبي بن كعب (رضي الله عنه)، فقال: يا أبا بكر، لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في وصيه ووصفيه، وصدف عن أمره.
واردد الحق إلى أهله تسلم، ولا تتماذ في غيك فتندم، وبادر الإنابة يخف وزرك، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك، فتلقى وبال عمالك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربك، فيسألك عما جنيت، وما ربك بظلام للعبيد.

٨ . ثم قام خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين، فقال: أيها الناس، أستم تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل شهادتي وحدي، ولم يرد معي غيري؟!
قالوا: بلى.

قال: فأشهد أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم). وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

٩ . ثم قام أبو الهيثم بن التيهان، فقال: وأنا أشهد على نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه أقام علينا - يعني في يوم غدير خم - فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان

رسول الله (ﷺ) مولاه، وكثر الخوض في ذلك، فبعثنا رجالاً منا إلى رسول الله (ﷺ) فسألوه عن ذلك، فقال: قولوا لهم: علي ولي المؤمنين بعدي، وأنصح الناس لأمتي.

وقد شهدت بما حضرني، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، إن يوم الفصل كان ميقاتاً.
١٠. ثم قام سهل بن حنيف (رضي الله عنه)، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على النبي محمد وآله، ثم قال: يا معاشر قريش، اشهدوا علي أنني أشهد على رسول الله (ﷺ) وقد رأيته في هذا المكان . يعني الروضة . وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يقول:

(أيها الناس، هذا علي إمامكم من بعدي، ووصيي في حياتي وبعد وفاتي، وقاضي ديني، ومنجز وعدي، وأول من يصفحني على حوضي، فطوبى لمن اتبعه ونصره، والويل لمن تخلف عنه وخذله).

١١. وقام معه أخوه عثمان بن حنيف فقال: سمعنا رسول الله (ﷺ) يقول: أهل بيتي نجوم الأرض، فلا تتقدموهم وقدموهم، فهم الولاة بعدي.

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، وأي أهل بيتك؟!

فقال: علي والطاهرون من ولده.

وقد بين (ﷺ) فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به، ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

١٢. ثم قام أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) فقال: اتقوا الله عباد

الله في أهل بيت نبيكم، ورددوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا (ﷺ)، ومجلس بعد مجلس، يقول: (أهل بيتي أئمتكم بعدي). ويؤمىء إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويقول: ((إن هذا أمير البرة، وقاتل الكفرة. مخذول من خذله، منصور من نصره)). فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إن الله تواب رحيم، ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا تتولوا عنه معرضين.

قال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يجر جواباً، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا كع، إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟! والله لقد هممت أن أخلعك، وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة. قال: فنزل، ثم أخذ بيده وانطلق [به] إلى منزله، وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله (ﷺ).

فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد [المخزومي] ومعه ألف رجل، فقال لهم: ما جلوسكم، فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟! وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل. وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع [لهم] أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسياهم يقدمهم عمر بن الخطاب، حتى وقفوا بمسجد رسول الله (ﷺ)،

فقال عمر: والله يا أصحاب علي، لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص، وقال: يا بن صهاك الحبشية، أبأسيافكم تهددوننا، أم بجمعكم تفرعوننا؟!!

والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم، وإننا لأكثر منكم وإن كنا قليلين، لأن حجة الله فينا. والله لولا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي، لشهرت سيفي، وجاهدتكم في الله إلى أن أبلّي عذري.

فقال له أمير المؤمنين علي (عليه السلام): اجلس يا خالد، فقد عرف الله لك مقامك، وشكر لك سعيك. فجلس.

وقام إليه سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، فقال: الله أكبر، الله أكبر، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهاتين [الأذنين] وإلا صممتا يقول:

(بيننا أخي وابن عمي، علي بن أبي طالب جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه، إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار، يريدون قتله وقتل من معه). فلست أشك إلا وأنكم هم.

[قال:] فهم به عمر بن الخطاب، فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ بمجامع ثوبه، ثم جلد به الأرض، ثم قال: يا بن صهاك الحبشية، لولا كتاب من الله سبق، وعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) تقدم، لأريتك أينما أضعف ناصراً وأقل عدداً.

ثم التفت إلى أصحابه (ﷺ) م، فقال: انصرفوا رحمكم الله، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون، إذ قال له أصحابه: (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (١).

[ثم قال (ﷺ)]: والله، لا دخلته إلا لصلاة، أو لزيارة رسول الله (ﷺ)، أو لقضية أقضيها، فإنه لا يجوز لحجة أقامها رسول الله (ﷺ) أن يترك الناس في حيرة.

وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثم إن عمر احتزم بأزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي:

ألا إن أبا بكر قد بوع [له]، فهللوا إلى البيعة.

فينثال الناس يبائعون.

فعرف أن جماعة في بيوت مستترون.

[قال:]: فكان يقصدهم في جمع كثير، ويكبسهم ويحضرهم [في] المسجد، فيبائعون.

حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير، إلى منزل علي بن أبي طالب (ﷺ)، فطالبه بالخروج

فأبى، فدعا عمر بحطب وناار وقال: والذي نفس عمر بيده، ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه.

ف قيل له: إن فيه فاطمة (ﷺ) بنت رسول الله، وفيه الحسن والحسين، ولدي رسول الله، وآثار

رسول الله (ﷺ) فيه،

١ - الآية ٢٤ من سورة المائدة.

وأنكر الناس ذلك من قوله .

فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم، أتروني فعلت ذلك؟! إنما أردت التهويل .

فراسلهم علي (عليه السلام): أن ليس إلى خروجي حيلة، لأني في جمع كتاب الله عز وجل الذي قد نبذتموه، وألهتكم الدنيا عنه، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أدع رداي على عاتقي حتى أجمع القرآن .

قال: وخرجت فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم، فوقففت خلف الباب، ثم قالت: لا عهد لي بقوم أسوء محضراً منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم فيما بينكم، [و] لم تؤمرونا (لعل الصحيح: تؤامرونا) ولم تروا لنا حقاً، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم، والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة^(١) .

١ - الإحتجاج ج ١ ص ١٨٦ . ٢٠٣ . و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج ١ ص ٩٧ . ١٠٥ . وأشار في هامشه إلى: الخصال ج ٢ ص ٤٦١ أبواب الإثني عشر، الحديث ٤:

حدثنا علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدثني أبي، عن جده أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدثني النهيكي قال: حدثنا أبو محمد خلف بن سالم قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن عثمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب، قال: كان الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدمه على علي بن = أبي طالب (عليه السلام) اثني عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار.. (مع اختلاف).

والحديث في كتاب: الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢ مع تفاوت. وفي أعلام النساء ج ٤ ص ١١٤ نقل ذيل الحديث (قصة إحراق البيت) ملخصاً.

وقال العلامة المجلسي (رحمته الله): اعلم أن هذا الحديث روته الشيعة متواترين، ولو كانت هذه الرواية برجال الشيعة ما نقلناه، لأنهم عند مخالفتهم متهمون، ولكن نذكره حيث هو من طريقهم الذي يعتمدون عليه.. فقال أحمد بن محمد الطبري ما هذا لفظه: (خبر الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): حدثنا أبو علي، الحسن بن علي بن النحاس الكوفي العدل الأسدي، قال: حدثنا.. وذكر مثله إلى آخر الخبر، مع تغيير يسير . بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢١٤ - ٢١٩ و ١٨٩ و ٢٠٥ و ٢٠٨ .

ونقول:

قد تضمنت تلك المناشدة، وهذه الاحتجاجات أموراً كثيرة وهامة، ولا نريد أن نرهق القارئ الكريم بإعادة تذكيره بها، غير أننا نختار منها نزراً يسيراً جداً، وهو ما يلي:

العودة إلى عادة الإحراق:

تضمنت الرواية المتقدمة: أن عمر بن الخطاب دعا بحطب و نار، وأقسم أن يحرق البيت على من فيه إن لم يخرجوا للبيعة.. فلما عيب عليه ذلك، وانكره الناس عليه، اعتذر بأنه أراد تخويفهم.

وصرحت الرواية: بأن هذه الحادثة قد حصلت بعد أيام، ويبدو أنها كانت بعد أكثر من شهرين، أي بعد رجوع خالد بن سعيد بن العاص من اليمن، كما تقدم..
وقد قلنا في كتابنا: خلفيات كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام)، وفي كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله): أن إحراق بيت الزهراء (عليها السلام) قد حصل في ثاني يوم السقيفة، وذلك عند جلوس أبي بكر على المنبر ليبيع له.
فتكون هذه الحادثة قد تكررت بعد شهرين أيضاً.. ويبدو أن عمر بن الخطاب رأى أن ما جرى قد أخلَّ بثبات قدم أبي بكر في الخلافة، فأراد إحكام الأمر، فطالب الناس بتحديد البيعة، وسعى إلى إجبار من كان قد توارى عن الأنظار..
وربما يكون الراوي قد دمج بين روايتين، لتكتمل صورة ما جرى بنظره..
ارتد الناس سوى أربعة:

وتذكر الروايات أن الناس ارتدوا على أديبارهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير أربعة، هم سلمان، وعمار، وأبوذر، والمقداد. ويبدو ان المقصود به هو التمرد على الأوامر والزواجر الإلهية والنبوية، ولاسيما فيما يرتبط بولاية علي (عليه السلام) ثم بعد مرور شهر أو شهرين، أي بعد عودة خالد بن سعيد بن العاص من اليمن وتكشف الأمور لهم، وظهور جانب من سياسات وممارسات الذين استولوا على السلطة، عاد قسم من الناس، كان منهم هؤلاء الإثنا عشر الذين بادروا إلى الإحتجاج على أبي

بكر، كما ذكرته هذه الرواية.

عمر يتهدد أبا بكر بخلعه:

قد تضمنت الرواية السابقة: أن عمر بن الخطاب قد وجه لأبي بكر كلمات لاذعة، فقد وصفه بأنه لكع، وقال له: لقد هممت بأن أخلعك، وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة.. وهذا يدل على: أن عمر بن الخطاب يرى نفسه هو الذي يخلع، وهو الذي يضع..

علي والظاهر من ولده:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن النبي (ﷺ) قال: إن أهل بيته هم نجوم أهل الأرض وهم الولاية بعده، فلما قيل له: وأي أهل بيتك؟

قال: علي والظاهر من ولده.

فدل ذلك على أن النبي (ﷺ) إما عرف الناس بمؤلاء الطاهرين، أو أنه جعل الطهارة من أي رجس، والعصمة الظاهرة لكل أحد هي الدليل الذي يدل الناس على وليهم وإمامهم.. وهذا نص شرعي يتوافق مع قضاء العقل بلزوم العصمة في الإمام والولي.. وهي علامة يمكن لكل الناس أن يتلمسوها بأنفسهم، وأن يعرفوا الإمام بها ومن خلالها.

الإحتجاج بحديث الغدير:

إن هذه الإحتجاجات تضمنت الإستدلال على أبي بكر بحديث الغدير.. وقد كان ذلك من علي والزهاء (عليه السلام)، ومن الصحابة أيضاً، فمن ذلك:

١ . قول علي (عليه السلام) لأبي بكر: (فأنشدك بالله، أنا المولى لك ولكل مسلم، بحديث النبي (صلى الله عليه وآله))
يوم الغدير، أم أنت؟!
قال: بل أنت .

٢ . قالت فاطمة (عليها السلام) للذين اجتمعوا على بابها وأرادوا إحراقه: (ولم تروا لنا حقاً، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم، والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء) .

٣ . ورد في كلام المقداد قوله لأبي بكر: (فقد علمت ما عقده رسول الله (صلى الله عليه وآله)) في عنقك من بيعته). أي بيعة علي (عليه السلام) .

٤ . قال أبو الهيثم بن التيهان: (وأنا أشهد . يا أبا بكر . على نبينا (صلى الله عليه وآله)) أنه أقام علياً . يعني في يوم غدير خم . فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة .

وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس: أنه مولى من كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مولاه، وكثر الخوض في ذلك، فبعثنا رجالاً منا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألوه عن ذلك . فقال: قولوا لهم: علي ولي المؤمنين بعدي) .

علي (عليه السلام) يجلد بعمر الأرض:

واللافت هنا: أن علياً (عليه السلام)، بمجرد أن رأى عمر بن الخطاب بصدد التعدي على سلمان الفارسي، وثب إليه، وأخذ بمجامع ثوبه، وجلد به الأرض.. وتهدده.. ثم أمر أصحابه بالإنصراف..

لقد فعل به هذا في الوقت الذي كان عمر يرى أنه في أقصى درجات القوة، حيث كان معه أربعة آلاف مقاتل، فلم تغن عنه شيئاً..

وعرف أن علياً (عليه السلام) لو أراد أن يقضي عليه، فلا شيء يقف في وجهه.. فلم يكن له بد من السكوت.

عمر بن الخطاب في قريش:

وقد أعلن خالد بن سعيد: أن قريشاً تعلم: أن عمر من الأمها حسباً، وأدناها منصباً، وأخسها قدراً، وأخملها ذكراً، وأقلها غناء عن الله ورسوله، وإنه لجبان في الحروب، وبخيل بالمال، لئيم العنصر، ما له في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر الخ..

ولم نجد أحداً ناقشه في ذلك، أو اعترض عليه فيه، حتى عمر نفسه.. وهذا أمر غير معهود، إلا في الحالات التي يكون الإعتراض فيها، من موجبات تأكيد الفضيحة، واتساع الخرق على الراقع..

محاولات التحوير والتزوير:

وقد أظهر النص الذي أورده أبو الهيثم بن التيهان (رضي الله عنه) أموراً:

أحدها: أن الأنصار كانوا موافقين لعلي (عليه السلام)، راضين به إماماً وخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).. وقد فهموا واقعة الغدير بصورة صحيحة.

فلا وجه لعدم فهم غيرهم لها، إلا إن كانت السياسة التي قضت بضرب الزهراء (عليها السلام)، وإسقاط جنينها، وأخذ فدك منها هي التي

قضت بتجاهل الواضحات، والإغماض عن أبده البديهيات..

الثاني: إن الذين أثاروا الشبهات حول دلالة كلام رسول الله (ﷺ) في يوم الغدير هم غير الأنصار.

الثالث: إن حملة التشكيك، وإيراد الشبهات، والتحوير والتزوير بدأت في وقت مبكر، أي في حياة رسول الله (ﷺ) ..

الرابع: إن النبي (ﷺ) كان يتصدى لإزالة الشبهة بصورة واضحة وصريحة وحازمة..

الخامس: إن محبي الخلفاء لم يعبأوا بتوضيحات الرسول (ﷺ)، بل بقوا يثيرون نفس الشبهة. ويروجون نفس الشائعات، وإلى يومنا هذا..

أين الحرس من الخلافة؟!

وما أحسن، وألطف، وأدق استدلال المقداد على أبي بكر، حيث ذكَّره بتأثير عمرو بن العاص عليه في غزوة ذات السلاسل، وكان عمرو علم النفاق، ومعدن الشنآن والشقاق. على حد تعبيره. فقلد أبا بكر وعمر حرس عسكره، فإين الحرس.. إلى الخلافة؟!

لم يستجب لعلي (عليه السلام) سوى أربعة:

وقد بين علي (عليه السلام): أن الذين استجابوا له حين توجه إليهم ودار عليهم ومعه فاطمة والحسنان (عليهم السلام) كانوا أربعة هم سلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد. أما بنو هاشم فأبوا ذلك لما علموا من شدة حقد

الناس عليهم.

غير أن ما يثير الإهتمام هنا:

١ . أنه (عليه السلام) يقول: إن امتناع بني هاشم إنما كان لعلمهم ببغض القوم لله ولرسوله، وأهل

بيته..

وهذا أمر عظيم وهائل، أن يكون هؤلاء القوم قد عرّفوا ببغض الله والرسول!!..

٢ . إن هذا يدل على: أن ذكر الزبير في جملة من استجابوا لأمير المؤمنين (عليه السلام) غير

صحيح..

ويدل عليه أيضاً: أن الزبير قد انقاد للقوم، وباع أبا بكر بمجرد أخذ سيفه منه . وكان ذلك

قبل أخذ علي الزهراء (عليها السلام) إلى بيوت المهاجرين والأنصار لطلب النصرة..

٣ . إن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما أخذ الزهراء والحسنين (عليهم السلام) ودار بهم على المهاجرين

والأنصار، ليتحقق أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) له بأنه إن وجد أعواناً فليجاهدهم، وقد استعان بكل

الوسائل للتأثير على الصحابة وإقناعهم بمساعدته، حتى لقد واجههم بالزهراء، وبالحسنين، وما

يمثلونه للإنسان المسلم، ويثرونه فيه، في المجال العاطفي والإيماني.

الباب الثاني: إرث النبي (ﷺ) .. وفدك

الفصل الأول: فدك .. وما أدراك ما فدك ..

تركة رسول الله (ﷺ):

عن الحسن بن علي الوشاء، قال: سألت مولانا أبا الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام): هل خلف رسول الله (ﷺ) غير فدك شيئاً؟! فقال أبو الحسن (عليه السلام): إن رسول الله (ﷺ) خلف حيطاناً بالمدينة صدقة، وخلف ستة أفراس، وثلاث نوق: العضباء، والصهباء، والديباج. وبغلتين: الشهباء، والدلدل، وحماره اليعفور، وشاتين حلوبتين، وأربعين ناقة حلوباً، وسيفه ذا الفقار، ودرعه ذات الفضول، وعمامته السحاب، وحبرتين يمانيتين. وخاتمه الفاضل، وقضيبه الممشوق، وفراشاً من ليف، وعباءتين قطوانيتين، ومخاداً من آدم.

صار ذلك كله إلى فاطمة، ما خلا درعه، وعمامته، وخاتمه، فإنه جعلها لأمير المؤمنين (عليه السلام)

(١)

١ - كشف الغمة ج ٢ ص ١١٨ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢١٠ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٦ ص ١٠٢ و (ط دار الإسلامية) ج ١٧ ص ٤٤٣ واللمعة البيضاء ص ٨٠١.

وفي بعض الروايات: أنه (ﷺ) أعطى بغلته لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك في حجة الوداع^(١). ولم يأخذوا هذه الأشياء من الزهراء وعلي (عليهما السلام)، رغم روايتهم عن رسول الله (ﷺ): أن الأنبياء لا يورثون، ما تركوه صدقة؟! .

وقد أخذت ابنته (ﷺ) ثيابه حين عُسِّل. ودفع أبو بكر إلى علي (عليه السلام) آلة رسول الله (ﷺ)، ودابته، وحذاءه^(٢).

أما حجرات النبي، فقد مكّن أبو بكر أزواج النبي (ﷺ) منها، مع أن حكمها حكم فذك. واعتذاراتهم عن ذلك غير صحيحة، كما تقدم..

الوصي أعرف بتركة الوصي:

وبعد.. فلا شك في أن علياً (عليه السلام) هو وصي رسول الله (ﷺ)، وقد طفحت كتب المسلمين بالشواهد التي تدل على ذلك

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٦١ واللمعة البيضاء ص ٨٠١.

٢ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٤ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٣ واللمعة البيضاء ص ٧٥٨ ومعالم المدرستين ج ٢ ص ١٣٨ عن: الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧١.

وهي تكاد تعد بالمئات، فضلاً عن العشرات.
فهل يعقل: أن يُعَلِّمَ النبي (ﷺ) أبا بكر: بأن الأنبياء لا يورثون، ولا يعلم بذلك وصيه،
وباب مدينة علمه. وعلى أي شيء جعله النبي (ﷺ) وصياً.
فإن كان وصياً على الأموال، فالمفروض: أن الأنبياء لا يورثون بحسب دعوى أبي بكر.
وإن كان على الأطفال، فلم يكن للنبي (ﷺ) سوى الزهراء (عليها السلام)، وهي زوجة علي
(عليه السلام).

وإن كان على شؤون الأمة، فلماذا يتصدى لها أبو بكر؟!
فدك من مهر خديجة:

وقد روي عن أبي عبد الله (عليه السلام): أنه لما أفاء الله فدكاً على رسوله. ورجع إلى المدينة (دخل
على فاطمة (عليها السلام))، فقال: يا بنية، إن الله قد أفاء على أبيك بفدك، واختصه بها. فهي له خاصة
دون المسلمين، أفعل بها ما أشاء.

وإنه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر، وإن أباك قد جعلها لك بذلك، ونخلتها تكون
لك ولولدك بعدك.

قال: فدعا بأديم (عكاظي)، ودعا علي بن أبي طالب، فقال: اكتب لفاطمة (عليها السلام) بفدك
نحلة من رسول الله.

فشهد على ذلك علي بن أبي طالب، ومولى لرسول الله، وأم أيمن.

فقال رسول الله (ﷺ): إن أم أيمن امرأة من أهل الجنة^(١).

ونقول:

أولاً: تضمنت هذه الرواية تصريحاً من رسول الله (ﷺ) بأن الله اختصه بفدك، وبأنها ملك له، ثم صرح: بأن المسلمين لا حق لهم فيها. ثم عاد وأكد أن له أن يفعل بها ما يشاء، مما دلّ على أنه إنما يفعل ذلك من موقع مالكيته الحقيقية لها. وذلك لكي يسد أبواب الاحتمالات والتمحلات، والتأويلات الباردة، التي ربما يحاول البعض إثارتها.

ولسنا بحاجة إلى تذكير القارئ الكريم بأن الأحاديث التي تتحدث عن زهد الأنبياء بالدنيا، وأنهم لم يأتوا ليجمعوا ذهباً ولا فضة، لتورثها لأبنائهم لا تتنافى مع تمليك الله تعالى ما هو أعظم من فدك، ولا ضير في أن يعطي (ﷺ) فدكاً للزهراء (عليها السلام)، ولا يتنافى ذلك

١- بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٩ وج ٢٩ ص ١١٥ و ١١٦ و ١١٨ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١١٢ و ١١٣ حديث ١٨٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٤٢ وراجع: الإحتجاج (ط دار النعمان) ج ١ ص ١٢١ ونور الثقلين ج ٤ ص ١٨٦ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ٢ ص ١٧١ واللمعة البيضاء ص ٣٠٠ و ٣٠٩ و ٧٤٧ و ٧٨٩ والأنوار العلوية ص ٢٩٢ ومجمع النورين ص ١١٧ و ١٣٤ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٢٣ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٤٨ وبيت الأحرار ص ١٣٣.

مع وراثتها لأبيها إن ترك شيئاً من حطام الدنيا.

ثانياً: إنه (ﷺ) قد أعطاهما فداً بعنوان الوفاء بحق كان لأمها خديجة عليه، وهو بقية مهرها. وبذلك يكون قد سدّ الباب أمام أية محاولة لانتزاعها منها، فإن هذا التصرف لا يمكن أن يكون من باب الترخيص لها بالاستفادة من مال يكون للمسلمين فيه حق، ولو على سبيل كونه من الأملاك العامة.. أو تكون فيه أية شبهة أخرى.

ثالثاً: قول النبي (ﷺ) للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام): (تكون لك ولولدك من بعدك)، . وقد تكرر هذا المعنى في روايات أخرى^(١). يتضمن إظهار الرغبة في أن لا تتصرف الزهراء (عليها السلام) في أرض فداك، لا ببيع ولا بهبة، ولا بالتصدق بها، ولا بأن تقفها،

١- بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٨ وج ٢٥ ص ٢٢٥ وج ٢٩ ص ١٠٦ و ١٢٢ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١١٣ وتفسير فرات ٣٢٢ وعبون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٣٣ و (ط مؤسسة الأعلمي ط ١٤٠٤ هـ) ج ٢ ص ٢١١ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٢ والأُمالي للصدوق ص ٦١٩ وتحف العقول ص ٤٣٠ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٤٣٦ و (ط دار الإسلامية) ج ٧ ص ٣٢٠ والصافي ج ٣ ص ١٨٧ ونور الثقلين ج ٣ ص ١٥٣ وج ٥ ص ٢٧٥ وبشارة المصطفى ص ٣٥٣ وينايع المودة ج ١ ص ١٣٨ واللمعة البيضاء ص ٣٠٠ و ٣٠٣ و ٧٨٦ ومجمع النورين ص ١١٧ وغاية المرام ج ٢ ص ٣٢٩ وج ٣ ص ٢٨٥ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٤١.

ولا بغير ذلك.. بل عليها أن تحتفظ بها، بحيث تنتقل إلى ولدها من بعدها.. ولعل إظهار هذه الرغبة كان لسببين:

أحدهما: التأكيد على حقيقة كونها ملكاً لها (عليها السلام)، بحيث يرثها ولدها من بعدها..
الثاني: استشرافه (صلى الله عليه وآله) للغيب، ومعرفته بأن هذه الأرض بالذات سوف تتعرض للإغتصاب، وسيكون لها تأثير في فضح إدعاءات الغاصبين لمقام الخلافة الأهلية لهذا الأمر، حيث ستظهر فدك أنهم ليسوا أهلاً لهذا المقام ولا لغيره. وقد أوضحنا ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله).

وقد تضمنت الروايات إشارات صدرت عن: أن النبي (صلى الله عليه وآله) إلى غضب فدك من بعده^(١).
رابعاً: إن توثيق أمر فدك بكتاب وشهود، هو الآخر من وسائل التأكيد على هذا الحق، وحفظه. وسد أبواب تعلق الغاصبين، وللإسهام في فضح ما يسعون للتستر عليه..
خامساً: إنه (صلى الله عليه وآله) قد عبّر في الكتاب بكلمة (نحلة)؛ لأنها أبعد عن أية شبهة يمكن أن تثار فيما يرتبط بالدلالة.

سادساً: إن إشهاد علي (عليه السلام)، وهو ممن نزلت فيهم آية التطهير

١- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١١٨ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٤٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٢٣ واللعة البيضاء ص ٧٨٩.

يجعل رد شهادته تكذيباً للقرآن، تماماً كما كان الحال بالنسبة لرد دعوى الزهراء (عليها السلام) كما سيأتي.

ثم إنه (عليها السلام) قد أشهد أم أيمن، وشهد لها بالجنة، ليكون تكذيبها من موجبات فضح أمر من يدعون خلافته من بعده.

ثم إنه (عليه السلام) إنما قد أشهد رجلين، هما: علي، والمولى الذي معه؛ لكي تتم أركان الشهادة، وتتكامل موجبات الأخذ بها، سداً لأبواب الأعذار والتمحلات.
غصب فدك:

وبعد عشرة أيام من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بادر الخليفة إلى غصب فدك^(١): وإخراج عمال الزهراء (عليها السلام) منها، بعد أن كانوا فيها عدة سنين، فبادرت (عليها السلام) إلى المطالبة بها، وأقامت الحجج، وأتت بالشهود، فلم يسمع أبو بكر منها، ورد شهادتهم، وأبطل دعواها.

كما أن علياً (عليها السلام) احتج عليهم حتى ظهر الحق، وأسفر الصبح لذي عينين، وقد ندم الناس وأنكروا ما يجري، ونظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: صدق - والله - علي بن أبي طالب، ورجع علي (عليها السلام) إلى منزله.

ورجع أبو بكر وعمر إلى منزلهما، وبعث أبو بكر إلى عمر فدعاه، ثم

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٦٣ واللمعة البيضاء ص ٧٥١.

قال له: أما رأيت مجلس علي منا اليوم؟! والله، لمن قعد مقعداً آخر مثله ليفسدن علينا أمرنا، فما الرأي؟!^(١)

قال عمر: الرأي أن تأمر بقتله.

قال: فمن يقتله؟!

قال: خالد بن الوليد.

فبعثنا إلى خالد، وطلبنا منه أن يقتل علياً (عليه السلام)^(١).

وستأتي هذه القضية بتفاصيلها إن شاء الله تعالى..

رسالة علي (عليه السلام) إلى أبي بكر:

ثم أرسل علي (عليه السلام) رسالة إلى أبي بكر، فلما قرأها رعب منها رعباً شديداً.. ثم حاول أن يستنصر بالمسلمين، ويلقي عليهم بالمسؤولية عن غضب فذك، وإرث فاطمة (عليها السلام) عليهم، وذكر أنه استقال من موقعه هرباً من نزاع علي، فلم يُقَل. وقال: ما لي ولا بن أبي طالب، هل نازعه أحد ففلج عليه.

١- راجع: الإحتجاج ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٤٠ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ١١٩ - ١٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٩ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٧ - ١٣٢ وراجع ص ١٥٧ ومصباح الأنوار ص ٢٤٦ و ٢٤٧ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ١٥١ واللعة البيضاء ص ٧٩٥ - ٧٩٧ والأنوار العلوية ص ٣١١ - ٣١٣ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٤٨ - ٣٥٠ وبيت الأحزان ص ١٣٥ - ١٣٦.

فجعل عمر يلوم أبا بكر ويقرعه.. فبين له أبو بكر أن علياً (عليه السلام) قادر على قتلها لو شاء.. وطلب منه أن لا يعتر بقول خالد: إنه يقتل علياً، فإنه لا يجسر على ذلك، ولو رامه لكان أول مقتول بيد علي (عليه السلام)^(١). ومن شاء تفصيل ما جرى فليرجع إلى المصادر.

فاطمة (عليها السلام) تطالب، وعلي (عليه السلام) يشهد:

وقد ذكروا: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى فداً لابنته فاطمة (عليها السلام)، فلما مات (صلى الله عليه وآله وسلم) استولى عليها أبو بكر، فاحتجت عليه فاطمة، وقالت له: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نخلنيها. قال أبو بكر: أريد لذلك شهوداً^(٢).

قال الطريحي: (كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنه فتحها هو وأمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن معها أحد)^(٣).

١- راجع: الإحتجاج ج ١ ص ٢٤٣- ٢٥٢ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ١١٩- ١٣٠ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٤٠- ١٤٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٤٢٩- ٤٣٠.

٢- معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨٨ و (ط دار إحياء التراث) ص ٢٣٨ وراجع: مجمع البحرين ج ٥ ص ٢٨٣ ولسان العرب ج ١٠ ص ٢٠٣ والمستترشد ص ٥٠١ والإمام علي (عليه السلام) لأحمد الرحماني الهمداني ص ٧٣٧ وجوامع الجامع ج ٢ ص ١٠٥.

٣- مجمع البحرين ج ٥ ص ٢٨٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٢ والأصفي ج ١ ص ١٧٧ واللغة البيضاء ص ٢٩٣.

وفي نص آخر: (فبعثت إلى علي، والحسن، والحسين، وأم أيمن، وأسماء بنت عميس . وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة . فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وأدعت . فقال (عمر): أما علي فزوجها .
وأما الحسن والحسين فابناها .
وأما أم أيمن فمولاتها .
وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكل هؤلاء يجرون إلى أنفسهم .
فقال علي (عليه السلام): أما فاطمة فبضعة من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن آذاها فقد آذى رسول الله (صلى الله عليه وآله) . ومن كذبها فقد كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله) .
وأما الحسن والحسين، فابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيدا شباب أهل الجنة . من كذبهما فقد كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذ كان أهل الجنة صادقين .
وأما أنا فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد علي، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني .
وأما أم أيمن فقد شهد لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها .
قال عمر: أنتم كما وصفتم (به) أنفسكم . ولكن شهادة الجار إلى نفسه

لا تقبل.

فقال علي (عليه السلام): إذا كنا نحن كما تعرفون (ولا تنكرون)، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تقبل، فإننا لله وإنا إليه راجعون. إذا ادَّعينا لأنفسنا تسألنا البيعة؟! فما من معين يعين.

وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله، فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيعة ولا حجة، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) ^{(١) (٢)}.
ونقول:

إنه لم يكن يحق لأبي بكر طلب الشهود من فاطمة (عليها السلام)، لأنها كما سنرى مطهرة بنص الكتاب الكريم من كل رجس، فلا يمكن احتمال خلاف ذلك في حقها..
ولأن فداكاً كانت في يدها، وكان أبو بكر هو المدَّعي الذي يطالب بالبيعة، بل لا بد من رد شهادته، لأنها تعارض شهادة القرآن، كما قلناه وسنقوله..
مفارقة ظاهرة:

وقد أشار علي (عليه السلام) في آخر كلامه إلى أنهم أخرجوا سلطان

١ - الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

٢ - الكشكول فيما جرى على آل الرسول ص ٢٠٣ . ٢٠٥ . وجمار الأنوار ج ٢٩ ص ١٩٧ . ١٩٩ . واللمعة البيضاء ص ٣١٥ .

مُحَمَّدٌ (ﷺ) من بيته إلى بيت غيره من غير بينة ولا حجة.. وذلك ليظهر التناقض الذي اوقع أبو بكر نفسه فيه: فإنه يطلب البينة من الزهراء في قضية فداك، ولا يأتي ببينة على ما يدعيه لنفسه في أمر الخلافة.

الشهادة المردودة:

ومع ذلك كله: فإنها (عليها السلام) جاءت به بالشهود، فكانت أم أيمن الشاهد الأول، فقد رواها: أن أبا بكر قال لها (عليها السلام): هاتي على ذلك بشهود.

[قال]: فجاءت بأم أيمن.

فقالت له أم أيمن: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله (ﷺ): أنشدك بالله، أأنت تعلم أن رسول الله (ﷺ) قال: (أم أيمن امرأة من أهل الجنة)؟! فقال: بلى.

قالت: (فأشهد: أن الله عز وجل أوحى إلى رسول الله (ﷺ): (فَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) (١)). فجعل فداكاً لفاطمة (فجعل فداكاً لها طعمة) بأمر الله تعالى.

فجاء علي (عليه السلام)، فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتاباً، ودفعه إليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟! هذا الكتاب؟!!

١ - الآية ٣٨ من سورة الروم.

فقال: إن فاطمة (عليها السلام) ادّعت في فديك، وشهدت لها أم أيمن وعلي (عليهما السلام)، فكتبته لها.
فأخذ عمر الكتاب من فاطمة (عليها السلام) فتفل فيه، ومزقه!!
فخرجت فاطمة (عليها السلام) باكياً (تبكي)، وهي تقول: مزق الله بطنك كما مزقت كتابي هذا.
فلما كان بعد ذلك جاء علي (عليه السلام) إلى أبي بكر، وهو في المسجد، وحوله المهاجرون
والأنصار، فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة (بنت رسول الله حقها و) ميراثها من رسول الله، وقد
ملكته في حياته (صلى الله عليه وسلم)؟!
فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جعله لها، وإلا
فلا حق لها فيه.
فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا أبا بكر! تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟!
قال: لا.
قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه، ثم ادّعت أنا فيه من تسأل البينة؟!
قال: إياك كنت أسأل البينة.
قال: فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها؟! وقد ملكته في حياة رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) وبعده؟! ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادّعوه شهوداً، كما سألتني على ما ادّعت
عليهم؟!

فسكت أبو بكر .

فقال عمر: يا علي! دعنا من كلامك. فإننا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فيء للمسلمين، لا حق لك ولا لفاطمة فيه!!
فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟!
قال: نعم.

قال: أخبرني عن قول الله عز وجل: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) فيمن نزلت، فينا، أم في غيرنا؟!
قال: بل فيكم.

قال (يا أبا بكر): فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفاحشة، ما كنت صانعاً بها؟!
قال: كنت أقيم عليها الحد، كما أقيم على نساء المسلمين.

قال (له أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يا أبا بكر): إذن كنت عند الله من الكافرين.
قال: ولم؟!
قال: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسوله، أن جعل لها فدياً وقد قبضته في حياته، ثم قبلت شهادة أعرابي بائل على عقبيه عليها، وأخذت منها فدياً، وزعمت أنه فيء للمسلمين.

وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (البينة على المدعي، واليمين

على المدعى عليه)، فرددت قول رسول الله (ﷺ): البينة على من ادعى، واليمين على من ادعى عليه.

قال: فدمدم الناس وأنكروا، ونظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: صدق والله علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ورجع إلى منزله^(١).
ونقول:

هناك الكثير من الأمور التي تحتاج هنا إلى بحث وبيان، ولكننا سوف نقتصر منها على أقل القليل، حتى لا نخرج عن سياق سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلاحظ ما يلي:
أولاً: إن كلام أم أيمن قد سد الطريق على أبي بكر، وحيث بينت: أن رده لشهادتها، يستبطن التناول على رسول الله (ﷺ)، لأن النبي شهد لها بالجنة، فهي إذن لا تشهد شهادة زور، وقد روي عنه (ﷺ) قوله: (شاهد الزور لا يزول قدمه حتى توجب له النار)^(٢).

١ - الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٩. وراجع: علل الشرائع ج ١ ص ١٩١ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٧٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٥ والبحار (ط حجرية) ج ٨ ص ٩٢.
٢ - سفينة البحار ج ٤ ص ٥١٨ وبحار الأنوار ج ١٠١ ص ٣١١ وقرب الإسناد ص ٤١ والكافي ج ٧ ص ٣٨٣ ح ٢ وأمالى الصدوق ص ٣٨٩ ح ٢ والمبسوط ج ٨ ص ١٠٥ و ١٦٤ والمجموع ج ٢٠ ص ٢٣٢ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٧٧.

فإن كانت لا تفصح لأجل كونها أعجمية، فبإمكانهم الإتيان بالترجمين العدول.. مع العلم بأنها قد أفصحت في كلامها الأنف مع أبي بكر..
كما أن تقريرها له جاء قبل أداء الشهادة، فلا مجال للإعتذار بأنه لم يكن ملتفتاً إلى هذه الخصوصية.

ثانياً: إن كلام أم أيمن يجعل أبا بكر أمام مأزق مخالفة القرآن، فإنه قد شهد لعلي والحسين، وللزهراء أيضاً بالتطهير، فرد دعوى الزهراء (عليها السلام)، ورد شهادة زوجها وولديها، رد لشهادة القرآن فيهم، إذا لا فرق بين أن يقول القرآن: فدك لفاطمة وبين أن يقول: فاطمة صادقة في كل ما تدعيه، وعلي والحسنان (عليهما السلام) صادقون فيما يشهدون به..
ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن علياً (عليه السلام) يجر النار إلى قرصه، لأن ذلك إنما هو في من يحتمل في حقه الكذب في شهادته..

ثالثاً: لا يصح رد شهادة الحسين لأجل صغر سنهما.. فإن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أشهدهما على كتاب لثقيف^(١)، وهو أمر يرتبط بمصير قوم من الناس، وقد باهل بهم نصارى نجران، لتكون شهادتهما بالصدق سبباً في نزول العذاب على الكاذبين.
رابعاً: لقد قرر علي (عليه السلام) أبا بكر، فاعترف له بأن البيعة تطلب

١ - الأموال ص ٢٨٩ و ٢٨٠ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٣ و (ط دار صادر) ص ٢٨٤ و ٢٨٥ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٧٤ ومكاتيب الرسول (ط سنة ١٤١٩) ج ٣ ص ٥٨ و ٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٧٣.

من المدعي، لا من صاحب اليد، فأصبح أبو بكر أمام خيارين كلاهما مَرٌّ، لأنه كلاهما ينتهي
بفضيحة أبي بكر فضيحة نكراء، من شأنها أن تظهر بما لا شك فيه أنه متقمص للخلافة،
وغاصب لموقع ليس من أهله، لا من قريب ولا من بعيد..
فهو إما جاهل بالبديهيّات من أحكام القضاء، فيحكم تارة بالبينة على المدعي، وأخرى بالبينة
على المدعى عليه، من دون أن يعرف أيهما الحق، وأيهما الباطل..
وإما كان عالماً بها، لكنه يتعمد العمل بخلاف شرع الله، مما يعني أنه لا يملك الرادع الديني عن
تعمد مخالفة أحكام الشريعة..

أو أنه كان عالماً بها ثم نسيها، فلماذا لم يتراجع عن الغلط الذي وقع فيه بعد تذكيره؟! وفي
جميع هذه الفروض لا يصلح لمقام خلافة النبي (ﷺ)..

خامساً: إن اعتراف عمر بأنه غير قادر على مقارعة علي (عليه السلام) الحجة بالحجة، لا يعد
فضيلة له، لأنه اعتراف جاء في سياق رده (عليه السلام) على إصرار عمر على مخالفة الحق الذي أظهره
له علي (عليه السلام). نعم.. لقد أصر عمر على المخالفة، اعتداداً منه بالسلطان، واستناداً للسياق
والسوط، واعتماداً على القوة لإكراه الآخرين وقهرهم من دون حق، ولعل هذا هو ما يفسر لنا
تجاهل علي لعمر، وتوجيه كلامه إلى أبي بكر.
سادساً: إن أبا بكر زعم أنه لو شهد الشهود على فاطمة الزهراء (عليها السلام) بالفاحشة لأقام
عليها الحد، فألزمه علي (عليه السلام) بأن ذلك

تكذيب منه للقرآن الذي حكم بطهارة فاطمة (عليها السلام) ..

واللافت هنا: أن أبا بكر قد أطلق حكمه ذلك بعد تلاوة علي (عليه السلام) آية التطهير عليه..!!
وهذا معناه: أن أبا بكر إما لا يكثرث بالقرآن وآياته، وإما أنه كان بعيداً غاية البعد عن التدبر
في آيات القرآن، ومعرفة مراميها ومعانيها حتى الظاهرة منها.. فكيف يمكن أن يأخذ موقع رسول
الله (ﷺ)، ويحكم في الدين وأهله، وفي دمائهم وأعراضهم؟!!

سابعاً: ذكرنا في موضع آخر: أن أبا بكر قد أعطى أبا بشير المازني وجابراً من بيت المال ما
ادعيا أن رسول الله (ﷺ) وعدهما به، من دون أن يطلب منهما بينة على دعواهما^(١)..

فلماذا يأخذ فدكاً من يد فاطمة جبراً وقهراً، ولا يتركها لها وهي ملكها؟!!

رواية فدك بنحو آخر:

ونحن وإن كنا قد تحدثنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ وفدك في التاريخ ص ١٩٤ وكنز العمال ج ٥ ص ٦٢٦ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٣ كتاب الشهادات باب ٢٩، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٣ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣٠٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٠٩ والمصنف للصنعاني ج ٤ ص ٧٨.

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١) بما لعله كاف وشاف في بعض الجهات في موضوع فذك، غير أننا نحب أن نورد هنا رواية ذكرها الشيخ المفيد (رَحِمَهُ اللهُ) في كتابه: الإختصاص، ثم نشير إلى بعض ما لفت نظرنا فيها، وسنكتفي ها هنا بما. والرواية هي التالية:

(أبو مُجَدِّدٍ، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عَلَيْهِ السَّلَامُ)) قال: لما قبض رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وجلس أبو بكر مجلسه، بعث إلى وكيل فاطمة (صلوات الله عليها)، فأخرجه من فذك. فأتته فاطمة (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فقالت: يا أبا بكر، ادَّعيت أنك خليفة أبي، وجلست مجلسه، وأنتك بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فذك، وقد تعلم: أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صدَّق بها عليّ، وأن لي بذلك شهوداً).

فقال لها: إن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لا يورث.

فرجعت إلى علي (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فأخبرته.

فقال: ارجعي إليه وقولي له: زعمت: أن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لا يورث، (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) (٢).

وورث يحيى زكريا، وكيف لا أرث أنا أبي؟!!

فقال عمر: أنت معلمة.

١- راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ج ١٨ ص ٢١٩ - ٢٨٥.

٢- الآية ١٦ من سورة النمل.

قالت: وإن كنت معلمة، فإنما علمني ابن عمي وبعلي.
فقال أبو بكر: فإن عائشة تشهد، وعمر: أنهما سمعا رسول الله (ﷺ) وهو يقول: إن النبي لا يورث.

فقالت: هذا أول شهادة زور شهدا بها في الإسلام.
ثم قالت: فإن فذك إنما هي صدق بها علي رسول الله (ﷺ)، ولي بذلك بينة.
فقال لها: هلمي ببينتك.

قال: فجاءت بأم أيمن، وعلي (عليه السلام).
فقال أبو بكر: يا أم أيمن، إنك سمعت من رسول الله (ﷺ) يقول في فاطمة؟!
فقالت: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إن فاطمة سيده نساء أهل الجنة^(١).

١- قال المعلق في هامش بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٩٠:
انظر: صحيح البخاري، باب مناقب فاطمة (عليها السلام) ج ٥ ص ٢٩، وحكاها في العمدة لابن البطريق ص ٣٨٤. وقد ورد الحديث بمضامين مختلفة.
منها: فاطمة سيده نساء العالمين، كما في صحيح البخاري، كتاب الإستئذان، باب ٤٣، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة حديث ٩٨ و ٩٩، وطبقات ابن سعد، القسم الثاني من ج ٢ ص ٤٠ و ج ٨ ص ١٧ ومسند أحمد ج ٣ ص ١٣٥.
ومنها: فاطمة من أفضل نساء أهل الجنة، كما في سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب = = ٣٠ و ٦٠ و ٦٣ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٩٣ وج ٣ ص ٦٤ و ٨٠ و ١٣٥ وج ٥ ص ٣٩١ ومسند الطيالسي حديث ١٣٧٤. انتهى.
وراجع: صحيح البخاري (ط دار إحياء التراث) ج ٧ ص ٤٤٢ و ٤٧٦ و (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٨٣ و ٢٠٩ و ٢١٩ ومسند أحمد ج ٦ ص ٥٤١ وسنن الترمذي (ط دار الكتب العلمية) ج ١٠ ص ٢١٤ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٣٢٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٨١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٢٧ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٥١ وجامع المسانيد والمراسيل ج ١ ص ٥٦ وج ٢ ص ١٣٦ و ٤٠٥ وج ٥ ص ١٦٩ وج ٧ ص ٤٨٠ وج ١٨ ص ٢٢١ وج ١٩ ص ٣٢٨ ومشكاة المصابيح ج ١٠ ص ٥٤٣ والفتح الكبير ج ١ ص ٢٨ و ٤٢٦ وفضائل الصحابة ص ٥٨ و ٧٦ والآحاد والمتناني ج ٥ ص ٣٦٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠١ وفتح الباري ج ٦ ص ٣٤٠ وج ٧ ص ٦٣ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٤٠٣ والجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٢٠ وكنز العمال ج ١٢ ص ٩٦ و ١٠٢ و ١٠٨ و ١١٠ و ١١٣ وج ١٣ ص ٦٤٠ و ٦٧٥ ومصادر كثيرة أخرى.

ثم قالت أم أيمن: فمن كانت سيدة نساء أهل الجنة تدعي ما ليس لها؟! وأنا امرأة من أهل الجنة ما كنت لأشهد إلا بما سمعت من رسول الله (ﷺ).

فقال عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصص، بأي شيء تشهدين؟! فقال: كنت جالسة في بيت فاطمة (رضي الله عنها) ورسول الله (ﷺ) جالس حتى نزل عليه جبرئيل، فقال: يا مُحَمَّد، قم، فإن الله

تبارك وتعالى أمرني أن أخط لك فذكاً بجناحي.

فقام رسول الله (ﷺ) مع جبرئيل (عليه السلام)، فما لبث أن رجع.

فقال فاطمة (عليها السلام): يا أبة، أين ذهبت؟!

فقال: خط جبرئيل (عليه السلام) لي فذكاً بجناحه، وحد لي حدودها.

فقال: يا أبة، إني أخاف العيلة والحاجة من بعدك، فصدّق بما عليّ.

فقال: هي صدقة عليك. فقبضتها؟.

قالت: نعم.

فقال رسول الله (ﷺ): يا أم أيمن، اشهدي. ويا علي، اشهد.

فقال عمر: أنت امرأة، ولا نجز شهادة امرأة وحدها، وأما عليّ فيجر إلى نفسه.

قال: فقامت مغضبة، وقالت: اللهم إنهما ظلما ابنة محمد نبيك حقها، فاشدد وطأتك عليهما.

ثم خرجت، وحملها عليّ على أتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت

المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين (عليهما السلام) معها، وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار،

انصروا الله، فإني ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله (ﷺ) يوم بايعتموه: أن تمنعوه وذريته مما

تمنعون منه أنفسكم وذرائكم، ففوا لرسول الله (ﷺ).

ببيعتكم.

قال: فما أعانها أحد، ولا أجابها، ولا نصرها.

قال: فانتهدت إلى معاذ بن جبل، فقالت: يا معاذ بن جبل، إني قد جئتك مستنصرة، وقد بايعت رسول الله (ﷺ) على أن تنصره وذريته، وتمنعه مما تمنع منه نفسك وذريتك، وإن أبا بكر قد غصبني على فذك، وأخرج وكيلي منها.

قال: فمعي غيري؟!

قالت: لا، ما أجابني أحد.

قال: فأين أبلغ أنا من نصرك؟!

قال: فخرجت من عنده، ودخل ابنه، فقال: ما جاء بابنة محمد إليك.

قال: جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر، فإنه أخذ منها فذكاً.

قال: فما أجبتها به؟!

قال: قلت: وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي؟!

قال: فأبيت أن تنصرها؟!

قال: نعم.

قال: فأي شيء قالت لك؟!

قال: قالت لي: والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول الله (ﷺ).

قال: فقال: أنا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول

الله (ﷺ)، إذ لم تجب ابنة محمد (ﷺ).
قال: وخرجت فاطمة (عليها السلام) من عنده وهي تقول: والله لا أكلمك كلمة حتى أجمع أنا
وأنت عند رسول الله (ﷺ). ثم انصرفت.
فقال علي (عليه السلام) لها: ائت أبا بكر وحده، فإنه أرق من الآخر، وقولي له: ادّعيت مجلس أبي،
وأنت خليفة، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردها علي.
فلما أتته وقالت له ذلك، قال: صدقت.
قال: فدعا بكتاب، فكتبه لها برد فدك.
فخرجت والكتاب معها، فلقبها عمر، فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟!
فقال: كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك.
فقال: هلميه إلي.
فأبت أن تدفعه إليه.
فرفسها برجله . وكانت حامله بابن اسمه المحسن . فأسقطت المحسن من بطنها، ثم لطمها،
فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت، ثم أخذ الكتاب فخرقه.
فمضت، ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما ضربها عمر، ثم قبضت، فلما حضرتها الوفاة
دعت علياً (صلوات الله عليه)، فقالت: إما

تضمن، وإلا أوصيت إلى ابن الزبير .

فقال علي (عليه السلام): أنا أضمن وصيتك يا بنت محمد .

قالت: سألتك بحق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أنا مت ألا يشهداني ولا يصلينا علي .

قال: فلك ذلك^(١) .

فلما قبضت (عليه السلام) دفنها ليلاً في بيتها، وأصبح أهل المدينة يريدون حضور جنازتها، وأبو بكر وعمر كذلك، فخرج إليهما علي (عليه السلام)، فقالا له: ما فعلت بابنة محمد؟! أخذت في جهازها يا أبا الحسن؟!
الحسن؟!!

١- أنظر واقعة حديث وصيتها بعدم حضور جنازتها في: حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٣ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٦٣ وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٥٤ والإستيعاب ج ٢ ص ٧٥١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٣ وإرشاد الساري للقسطلاني ج ٦ ص ٣٦٢ والإصابة ج ٤ ص ٣٧٨ و ٣٨٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣١٣ وغيرها، ولا حاجة إلى سردها، وراجع ما ذكره ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤ وعمر رضا كحالة في أعلام النساء ج ٣ ص ١٢١٤ والجاحظ في رسائله ص ٣٠٠ .

وراجع: الإختصاص ص ١٨٣ . ١٨٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) للنجفي ج ٨ ص ٤٢٤ و اللمعة البيضاء ص ٨٦٢ عن مصباح الأنوار، ومجمع النورين للمرندي ص ١٢١ . ١٢٤ و بيت الأحران ص ١٥٩ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٩٣ ووفاة الصديقة الزهراء للمقرم ص ٧٨ .

فقال علي (عليه السلام): قد والله دفنتها.

قالا: فما حملك على أن دفنتها ولم تعلمنا بموتها؟!

قال: هي أمرتني.

فقال عمر: والله، لقد هممت بنبشها والصلاة عليها.

فقال علي (عليه السلام): أما والله، ما دام قلبي بين جوانحي وذو الفقار في يدي، إنك لا تصل إلى

نبشها، فأنت أعلم.

فقال أبو بكر: اذهب فإنه أحق بها منا، وانصرف الناس^(١).

١- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٨٩ - ١٩٣ و ١٣٤ و ٤٨ ص ١٥٧ والإختصاص للشيخ المفيد ص ١٨٣ - ١٨٥ والعوالم ج ١١ ص ٦٣٣ و ٧٦٤ ومجمع النورين للمرندي ص ١٢١ - ١٢٣ وبيت الأحران ص ١٥٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) للشيخ هادي النجفي ج ٨ ص ٤٢٢ - ٤٢٤ وراجع: اللعة البيضاء ص ٣١٠ و ٧٤٧ والكافي ج ١ ص ٥٤٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٣٥ و ٢٧٤ والبرهان ج ٣ ص ٢٦٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٥. وتمزيق عمر للكتاب موجود أيضاً في: بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٨ و ١٣٤ و ١٥٧ و ج ٢١ ص ٢٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ١١٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٥ ونور الثقلين ج ٤ ص ١٨٦ والأنوار العلوية ص ٢٩٢ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٤٨ وبيت الأحران ص ١٣٣ ومجمع النورين للمرندي ص ١١٨ والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج ٤ ص ٩٧ وعن إعلام الوري ص ٦٩ ومن المصادر = التي ذكر فيها الكتاب ولم يذكر تمزيقه. راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٠٠ عن سبط ابن الجوزي. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٧٣ ومختصر القُدوري في الفقه الحنفي ج ١ ص ١٦٤ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ٢ ص ٤٥ والنص والاجتهاد للسيد شرف الدين ص ٤٣ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٦٨ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ١٢٢ وغاية المرام ج ٦ ص ٢٥٥ والفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين ص ٨٨ وكنز العمال ج ١ ص ٣١٥ وفقه السنة لسيد سابق ج ١ ص ٣٩٠.

ونقول:

قد ذكرت هذه الرواية أموراً تحتاج إلى التوقف عندها، وهي التالية:

إن لي بذلك شهوداً:

قد يقال: لو كانت فدك للسيدة الزهراء (عليها السلام)، وفي يدها، فلماذا تقول لأبي بكر: (قد تعلم:

أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تصدق بها علي)؟!..

ولماذا تذكر له: أن لها شهوداً على ما تدعيه؟!..

وبجاب: بأن كونها في يدها، وإن كان إمارة ودليلاً على ملكيتها، ولكن أسباب الملكية

متعددة. فقد تملك بالبيع، وبالنحلة، وبالإرث وبغير ذلك..

فأبو بكر يعلم: أنها في يدها، وعليه أن يأخذ بهذه الإمارة، ويعتبرها ملكاً لها.. ولكنها أرادت

أن تعلمه بسبب الملكية، وهو تصدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بها عليها، مع حصول القبض، والتصرف..

كما أنها إنما أرادت من الشهود أن يشهدوا بهذه الخصوصية بالذات ..

لماذا لا يحكم أبو بكر بعلمه؟!:

وقد يقال: إنه حتى لو كان أبو بكر يعلم: بأن الله قد طهر فاطمة (عليها السلام)، ويعلم: بأنها صادقة فيما تدعيه، فليس له أن يحكم بعلمه.. بل عليه أن يحكم بالأيمان والبيّنات.
ويجاب:

أولاً: قلنا في موضع آخر: إن أبا بكر هو المدّعي على الزهراء (عليها السلام)، فإن فداكاً كانت في يدها سنوات قبل استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حيث كان (صلى الله عليه وآله) قد أعطهاها إياها منذ واقعة خيبر. فالبيّنة تطلب من أبي بكر لا من الزهراء.. وحتى لو جاء بالبيّنة فلا بد من ردها والحكم بكذبها استناداً إلى آية التطهير..

ثانياً: كان أبو بكر يعلم بصدق الزهراء (عليها السلام) كما صرح به هو نفسه^(١)، ويدل على ذلك: أنه لما شهد لها علي (عليه السلام) كتب بتسليم فداك إليها، لكن عمر اعترض على أبي بكر ومزق الكتاب قائلاً: إن علياً يجر إلى نفسه، وأم أيمن امرأة^(٢).

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٨ و ٢١٦ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ و ج ١٠١ ص ٢٩٩ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٠٧ واللمعة البيضاء ص ٧٥٤.
٢- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٧٤. وراجع: جامع أحاديث الشيعة = ج ٢٥ ص ١١٦ والشافي في الإمامة للمرتضى ج ٤ ص ٩٨ ووصول الأخبار إلى أصول الأخبار ص ٧١ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٥ ونور الثقلين ج ٤ ص ١٨٦ والإحتجاج (ط دار النعمان) ج ١ ص ١٢٢ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٨ واللمعة البيضاء ص ٣٠٩ و ٧٤٧ ومجمع النورين للمزني ص ١٢٠ وكتاب سليم بن قيس ص ٣٩١ والطرائف ص ٢٤٨.

فلماذا لم يحكم بعلمه؟!.

فقد حكم خزيمه بن ثابت بكذب الأعرابي الذي نازع رسول الله (ﷺ) في ناقة، فشهد خزيمه: أن الناقة لرسول الله (ﷺ)، مع أنه لم يحضر المعاملة بين النبي (ﷺ) وبين الأعرابي، مصرحاً: بأنه علم بذلك لعلمه بنبوة النبي (ﷺ). فأجاز (ﷺ) شهادته، وجعلها شهادتين^(١).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٧٣ والإنتصار للشريف المرتضى ص ٤٩١ وراجع: الشافي للمرتضى ج ٤ ص ٩٦ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ١٠٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٧ ص ٢٧٦ و (ط دار الإسلامية) ج ١٨ ص ٢٠٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ١٠١ والغدير ج ٥ ص ٥٥ واللمعة البيضاء ص ٧٩٣ والخلاف للطوسي ج ٦ ص ٢٥٠ والمجموع للنووي ج ٢٠ ص ٢٢٤ والمحلى لابن حزم ج ٨ ص ٣٤٨ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢٧١ ومسند أحمد ج ٥ ص ٢١٦ وسنن أبي داود ج ٢ ص ١٦٧ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٦٦ و ج ١٠ ص ١٤٦ = = وفتح الباري ج ٨ ص ٣٩٨ و ٣٩٩ وعون المعبود ج ١٠ ص ٢٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٤٨ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ١٤٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٣٧٩ ومعرفة السنن والآثار ج ٧ ص ٣٧٣ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٦١٨ والجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٤٠٥ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٤٤ وأضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ١٨٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٣٦٧ والإصابة ج ٣ ص ١٧٩ وإمتاع الأسماع ج ٧ ص ١٩٥ و ج ١٣ ص ١٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٤٠٠.

وإنما رضي أمير المؤمنين (عليه السلام) بمحاكمة اليهودي إلى قاضيه وفق الطرق الشرعية، ولم يحكم القاضي بعلمه، ورضي علي (عليه السلام) منه بذلك، تكرماً وإمعاناً منه في إقامة الحجة عليه. وقد أخطأ القاضي حين طالب علياً (عليه السلام) ببينة. وقد روي: أن علياً (عليه السلام) خطأ شريحاً في طلب البينة منه على درع طلحة، وقال: إن إمام المسلمين يؤتمن من أمورهم على ما هو أعظم من ذلك، وأخذ ما ادَّعاه من درع طلحة بغير حكم شريح^(١).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٨ و ص ٢١٦ و بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٥١ و ج ١٠١ ص ٢٩٩ وعن كشف الغمّة ج ٢ ص ١٠٧ و اللمعة البيضاء ص ٧٩٣ و من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ١١٠ و الأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٤٥ و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٧٤ و جامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ٢٥٤ = و الكافي ج ٧ ص ٣٨٦ و تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٧٤ و وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٧ ص ٢٦٧ و (ط دار الإسلامية) ج ١٨ ص ١٩٤.

ثالثاً: سلمنا: أنه قاضٍ، وأنه أيضاً لم يعمل بأحكام القضاء، فقد جاءته بشاهدين، هما: علي، ومولى لرسول الله (ﷺ) كما ورد في بعض النصوص.. بالإضافة إلى أم أيمن.. فتمت أركان الشهادة.

رابعاً: سلمنا: أن الموجود هو شاهد واحد، وامرأة واحدة، وهما: علي، وأم أيمن كما في بعض الروايات^(١)، فإن عليه أن يطالبها باليمين، إن كانت تطلب النحلة. ولا معنى حينئذ لما رواه أبو بكر من عدم توريت الأنبياء.

وإن كانت تطلب ميراثاً فلا حاجة إلى الشهود، إذا علم صحة نسب الوارث.

جواب أبي بكر ليس هو الجواب:

والذي يثير عجبنا هو: جواب أبي بكر لها، فإنها قررت أن فدكاً كانت في يدها، وأنه هو الذي أخرج وكيلها منها، واليد أمانة على الملكية السابقة

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٧٤ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٨ و ٢١٠ وكشف الغمة ج ٢ ص ١١٧ والإحتجاج ج ١ ص ١٢٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٥ ص ١١٦ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٦٠٧ والمعيار والموازنة لابن الإسكافي ص ٤٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٥٥ ونور الثقلين ج ٤ ص ١٨٦ و اللعة البيضاء ص ٣٠٩ و ٧٤٧ والأنوار العلوية ص ٢٩٢ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٤٨ وبيت الأحزان ص ١٣٤.

على موت رسول الله (ﷺ) ..

وقررت أيضاً: أن رسول الله (ﷺ) قد تصدَّق عليها بما ومنحها إياها في حال حياته، ولم تدع الإرث ولا أشارت إليه، لا من قريب ولا من بعيد، فما معنى أن يقول لها أبو بكر: إن النبي لا يورث؟! ..

ويلفت نظرنا هنا أيضاً: أنها (عليها السلام) لم تعترض على جواب أبي بكر هذا. مع علمنا الأكيد: بأنها تعرف فساد هذا الإستدلال من أساسه، كما أنها تعرف أنه لا يتلاءم مع دعواها.

إننا لا نرى وجهاً معقولاً أو مقبولاً لسكوتها هذا إلا أنها أدركت: أن هذا الجواب يستبطن التصميم على منعها، وعدم الإستجابة لطلبها، وعلمت: أنه لا فائدة من النقاش.. فصرفت النظر عن ذلك.

أنت معلّمة:

وبعد.. فإن قول عمر للسيدة فاطمة (عليها السلام): أنت معلّمة، يدل على ما يلي:

أولاً: على أنه يرى أنها (عليها السلام) لا تعرف هذا الحكم الشرعي البديهي، المستند إلى آيات القرآن الكريم..

ثانياً: لعله أراد بقوله هذا: أن يسقط دعواها عن الإعتبار، زعماً منه: أن تلقين أحد الخصمين لا يجوز..

ولكنه أخطأ في هذا خطأً فاحشاً، فإنه لا يجوز للقاضي تلقين أحد

الخصمين. إلا إذا علم أن الحق معه، فيجوز له ذلك..

أما غير القاضي، فيجوز له ذلك، مع علمه بصحة دعواه.

وعلي (عليه السلام):

أولاً: لم يكن هو القاضي..

ثانياً: لقد كان (عليه السلام) عالماً بصحة دعوى الزهراء (عليها السلام)، فلا يصح اعتراض عمر مطلقاً..

ولأجل ذلك قالت (عليها السلام) لعمر: (وإن كنت معلمة، فإنما علمني ابن عمي وبعلي)^(١). أي لم

يعلمني القاضي..

ومن جهة أخرى: إن تعليم علي (عليه السلام) للسيدة الزهراء (عليها السلام) لا يدل على جهلها بهذا

الحكم البديهي.. وإنما هو قد أشار عليها بأن تعاود الكرة في الإحتجاج عن هذا الطريق، فإن في

ذلك مصلحة ظاهرة، من حيث إنها تؤدي إلى فضح هذا الإصرار على اغتصاب حقها.. من

جهة.

كما أنه من جهة ثانية يدفع التسويات المغرضة، التي يمكن أن تزعم: بأنها (عليها السلام) قد اقتنعت

بمحنة أبي بكر، وأن الحق كان معه.

١- الإختصاص ص ١٨٣ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٨٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليها السلام) للنجفي ج ٨ ص ٤٢٢

واللمعة البيضاء ص ٣١٠ ومجمع النورين للمرندي ص ١٢١ وبيت الأحرار ص ١٥٧.

شهادة عائشة وعمر:

وقد استشهد أبو بكر لصحة ما ينسبه إلى رسول الله (ﷺ) بعائشة وعمر..
وقد علمنا كما في هذه الرواية، وفي الروايات الأخرى أيضاً: أن أبا بكر وعمر قد ردّا شهادة علي (عليه السلام)، وأم أيمن بحجة: أن أم أيمن امرأة، ولا يجوز شهادة امرأة وحدها..
فكيف جازت شهادة عائشة لأبي بكر، مع أنها ابنته وهي امرأة وتجر النار إلى قرصها، وقرض أيها؟! وكيف جازت شهادة عمر، وهو يجر إلى قرصه وقرض أبي بكر أيضاً؟!
ويدل على ذلك قول علي (عليه السلام) لعمر: احلب يا عمر، حلباً لك شطره، اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غداً^(١).

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ١١ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٨ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ٢٩ والإحتجاج ج ١ ص ١٨٣ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٩٦ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٨٥ و ٣٤٨ و ٣٨٨ وج ٢٩ ص ٦٢٦ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٤٠٠ والسقيفة للمظفر ص ٨٩ والغدير ج ٥ ص ٣٧١ وج ٧ ص ٨٠.

وراجع: نهج السعادة للمحمودي ج ١ ص ٤٥ والسقيفة وفدك للجوهري ص ٦٢ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٢٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٥٣ والوضاعون وأحاديثهم ص ٤٩٣ والشاي في الإمامة ج ٣ ص ٢٤٠ وغاية = المرام ج ٥ ص ٣٠٥ وسفينة النجاة للتنكابني ص ٣٤٧ وبيت الأحرار ص ٨١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢ ص ٣٥١.

على أن الروايات الأخرى قد ذكرت أيضاً شهادة أحد موالى النبي (ﷺ) (١) للزهراء (عليها السلام) أيضاً.. فلماذا لم يعتد به أبو بكر؟!

هذا.. ولا ريب في أن فاطمة وعلياً، والحسن والحسين (عليهم السلام) كلهم من مصاديق آية التطهير، المتضمنة للشهادة الإلهية بتطهيرهم من كل رجس، ومنه: الكذب، وهو معنى العصمة.. كما أن أم أيمن امرأة من أهل الجنة. وفي المقابل لا شيء يشهد أو يدل على عصمة أبي بكر، فضلاً عن عائشة، وعمر بن الخطاب.

ثم إن نفس أن يكتب لها في بعض المرات كتاباً بفدك، ثم ينتزعه عمر منها ويمزقه، يدل على أن حديث عدم توريث الأنبياء، وكذلك سائر ما ادعاه أبو بكر لرد دعوى الزهراء (عليها السلام) لا أساس له، ويصبح

١ - الخرائج والجرائح ج ١ ص ١١٣ وبحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٩ وج ٢٩ ص ١١٦ واللمعة البيضاء ص ٣٠٠ و ٧٨٩ ومجمع النورين ص ١١٧ والنص والإجتهد للسيد شرف الدين ص ٦٩ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٢ وتفسير الرازي ج ٢٩ ص ٢٨٤ وفلك النجاة في الإمامة والصلاة، لعلي محمد فتح الدين الحنفي ص ١٦٢.

ساقطاً، وغير ذي قيمة..

ويشهد على ذلك أيضاً: أن أبا بكر وعمر وعثمان لم ينتزع أي منهم الحُجَرَ من نساء النبي (ﷺ).

فإن قيل: إن الحُجَرَ لمن بنص القرآن حيث قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (١).

وقيل في الجواب: تصح نسبة البيوت إليهن لأدنى ملابس، وهي هنا كونهن قد سكرن في تلك البيوت، يضاف إلى ذلك: أن الحُجَرَ قد نسبت إلى النبي (ﷺ) نفسه بعد تلك الآية أيضاً.

فقد قال تعالى: (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) (٢).

ويدل على تراجع أيضاً: وصيته أن يدفن إلى جوار النبي (ﷺ)؛ لأن ذلك الموضع إن كان صدقة للمسلمين، فلا يصح تصرف أبي بكر فيه.

وإن كان إرثاً لعائشة، فقد بطل حديث عدم إرث الأنبياء.

وإن كانت الحجرة لفاطمة (عليها السلام)، فلماذا لم يستأذن من ورثة فاطمة؟!

كما أن ابنته عائشة قد رجعت عن شهادتها له بحديث عدم توريث الأنبياء حين أذنت له

ولعمر بأن يدفنا مع النبي (ﷺ)،

١ - الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

٢ - الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.

مدّعية أن الحجرة لها.

كما أنها قد منعت من دفن الإمام الحسن مع جده قائلة: ما لي ولكم؟! تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أحب^(١).

مع أن حديث عدم توريث الأنبياء يدل على أن البيت ليس بيتها..
وأي سبب آخر تدّعيه ملكية البيت يحتاج إلى إثبات. ولا تكفي فيه مجرد الدعوى.
أول شهادة زور في الإسلام:
ثم إنها (عليها السلام) حكمت على شهادة عائشة وعمر: بأنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام^(٢). وإطلاق هذا الحكم بصورة يقينية،

١- راجع: روضة الواعظين ص ١٦٨ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ١٨ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ١٤٩ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٥٤ و ١٥٧ والأنوار البهية ص ٩٢ والدرجات الرفيعة ص ١٢٥ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٠٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٧٦ والجمل للمفيد ص ٢٣٤ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٠٩.
٢- الإختصاص للمفيد ص ١٨٣ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٩٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للنحفي ج ٨ ص ٤٢٢ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ٢ ص ١٧١ واللمعة البيضاء ص ٣١٠ ومجمع النورين للمرندي ص ١٢٢ وبيت الأحران ص ١٥٧.

يعطي: أنها كانت تعلم بعدم صدور الحديث عن رسول الله (ﷺ)، لا في السر، ولا في العلن.

إذ لو كانت لا تعلم بذلك لم يصح منها اعتبار قولها شهادة زور. وهذا يجعلنا نتيقن بوجود مستند معصوم لهذا النفي القاطع، لعله هو إخبار النبي (ﷺ) لها بهذا الأمر، حين أسرَّ إليها بحديث في مرض موته ولعله غير ذلك.. ويلاحظ هنا: أننا لم نلاحظ وجود أية ردة فعل على قولها هذا، كما أن أحداً لم يطالبها بمسئلتها فيه.. ولا عتب عليها بأنها قالت ذلك من غير علم. ولا قيل لها: لا يحق لك توجيه هذه التهمة الخطيرة لهؤلاء القوم.

ثم إن المعتزلي اعترف بتفرد أبي بكر بحديث: عدم توريث الأنبياء. فقال: (صدق المرتضى (رحمته الله) فيما قال، أما عقيب وفاة النبي (ﷺ)، ومطالبة فاطمة (عليها السلام) بالإرث، فلم يرو الخبر إلا أبو بكر وحده. وقيل: إنه رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان.. وأما المهاجرون الذين ذكرهم قاضي القضاة، فإنما شهدوا بالخبر في خلافة عمر^(١).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٤٥ وراجع ص ٢٢١ و ٢٢٧ وراجع: بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٧٠ واللغة البيضاء ص ٨٢١ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٥٦.

دليل أعلمية أبي بكر:

وقد اعتُبرت رواية أبي بكر عن عدم توريث الأنبياء دليل أعلميته على سائر الصحابة، لأن هذا الأمر لم يعلمه سواه، كما ذكره ابن حجر^(١).

لكنه هو نفسه عاد فذكر بعد صفحات يسيرة: أن هذه الرواية رواها: علي (عليه السلام)، والعباس، وعثمان، وعبد الرحمان بن عوف، والزيبر، وسعد، وأمهاث المؤمنين..
ثم زعم: أن أبا بكر قد استحضر ذلك أولاً، ثم استحضره الباقون.
مع أن الإستحضر السريع ليس من مظاهر الأعلمية، ولا من مواردها..
إني أخاف العيلة:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت لأبيها: (إني أخاف العيلة والحاجة من بعدك، فصدق بها عليّ الخ..)^(٢).

ونقول: إن هذا لا يصح لما يلي:

١ - قولهم: إن الزهراء (عليها السلام) تخاف العيلة والحاجة، إهانة لها،

١ - الصواعق المحرقة ص ٣٥.

٢ - الإختصاص ص ١٨٤ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٩١ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للنجفي ج ٨ ص ٤٢٣ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ٢ ص ١٧١ واللمعة البيضاء ص ٣١١ ومجمع التورين للمرندي ص ١٢٢ وبيت الأحران ص ١٥٨.

وانتقاص من مقامها، فإن ظنها بالله أحسن من هذا بلا ريب. بل إن هذا الكلام لا يصدر عن أي إنسان صحيح أو كامل الإيمان، فإن من أبسط قواعد الإيمان هو التوكل على الله، واللجوء إليه في الحاجات، واعتباره هو الرزاق والمعطي، والكافي والمعين.

٢ - روي عن فاطمة (عليها السلام) قالت: أتيت النبي، فقلت: السلام عليك يا أبه.

فقال: وعليك السلام يا بنية.

فقلت: والله، ما أصبح يا نبي الله في بيت علي حبة طعام، ولا دخل بين شفثيه طعام منذ خمس، ولا أصبحت له ثاغية ولا راغية، ولا أصبح في بيته سفة ولا هفة.

فقال النبي (ﷺ): أدني مني.

فدنوت.

فقال: ادخلي يدك بين ظهري وثوبي، فإذا حجر بين كتفي النبي (ﷺ) مربوط إلى صدره.

فصاحت فاطمة صيحة، فقال لها: ما أوقدت في بيوت آل محمد نار منذ شهر.. إلخ^(١).

١ - راجع: أهل البيت لتوفيق أبي علم ص ١٣٠ ودلائل الإمامة لابن رستم الطبري ص ٦٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٧١. وراجع: كشف اليقين للعلامة الحلبي ص ٤٥٥.

وثمة روايات أخرى بهذا المعنى فلتراجع.

٣ . يضاف إلى ذلك: أن المتوقع من النبي الأعظم (ﷺ) أن يبادر إلى توجيه موعظة قوية لابنته، وأن تتضمن لوماً لها على عدم ثقتها بالله تبارك وتعالى. وأن يوجهها نحو الزهد بالدنيا، والرضا بما قسمه الله تعالى، وبصر عليها بأن تتخذ من واقع سائر الناس أمثلة لها.. بل أن تكون هي أسوة وقدوة لهم في ذلك.

٤ . على أن هذه الرواية لا تتوافق مع تلك الرواية التي تقول: إنه (ﷺ) قد أعطى فداً لفاطمة (عليها السلام) عوضاً عن بعض مهر أمها كما تقدم.

وإن كنا نعتقد: أن مهر أمها قد أدي إليها كاملاً من قبل أبي طالب (عليه السلام)، ولكنه (ﷺ) أراد أن يبين عظمة حقها، وأن يكرمها بما جعله الله تعالى له، وأن يبر بها من خلال ابنتها (عليها السلام)، علماً بأن قيمة خديجة (عليها السلام) لا تقدر بالمال، ولا بالعقار.

ولعل ما يزيد في أهمية هذا البر والتكريم، أن خديجة بذلت مالها كله في سبيل هذا الدين. وبذلت مهرها أيضاً، فأراد الله أن يشكر لها هذه التضحيات الجسام، وينوه بها، فأعطى فداً لإبنتها، والمرء إنما يكرم في ولده. وفدك لا تكفي للتعبير عن مقامها عند الله، فلا بد أن يزيدها من فضله في رفع درجاتها في الآخرة على قاعدة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل، في كل سنبله مئة حبة، والله يضاعف لمن يشاء..

وبذلك يظهر: أن ادعاء فدك أنها من مهر خديجة لا يعني أن مهرها

كان بهذه الكثرة والضخامة، كما هو ظاهر ..

معاذ وابنه:

وذكرت الرواية: أن ابن معاذ اتخذ من أبيه موقفاً قوياً وحاسماً، لأنه لم يجب السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، حينما استنصرته ..

مع أننا رأينا كيف أن معاذاً كان من أعوان أبي بكر في سعيه لإقصاء علي (عليه السلام) عن مقامه . وكان أيضاً مع المهاجرين لبيت الزهراء (عليها السلام)، فور العودة من سقيفة بني ساعدة، وكان في جملة الذين نصرُوا أبا بكر في مقابل الاثني عشر الذين احتجوا عليه، بل تذكر الرواية: أنه جاء يقود ألف رجل لمواجهة علي (عليه السلام)، ومن معه، ولوقف حركتهم، وإخماد صوتهم .. فلماذا لم يتخذ منه ابنه أي موقف في كل تلكم المواقف؟! ..

إسقاط المحسن في قصة فذك:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن عمر بن الخطاب إنما رفس فاطمة (عليها السلام) برجله، فأسقطت محسناً، حين أخذ منها الكتاب برد فذك.

مع أن سائر الروايات تقول: إنها أسقطت محسناً، حين هجوم عمر ومن معه على بيتها (عليها السلام)، حيث عصروها بين الباب والحائط ..

إلا أن يقال: إن ما جرى في البيت هو ابتداء نفاسها بالمحسن، حيث أصيب ومات وهو في بطنها، واستمرت تعاني الآلام بسبب ذلك بضعة أيام، حتى كانت رفسة عمر لها، في موضوع فذك، فكان الإسقاط الفعلي للمحسن .. والله هو العالم بالحقائق ..

تريد الوصية لابن الزبير:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الزهراء (عليها السلام) دعت علياً (عليه السلام) حين وفاتها، وقالت له: إما تضمن، وإلا أوصيت إلى ابن الزبير..

مع أنه لم يظهر من علي (عليه السلام) ما يدعو إلى التهديد بخيار كهذا، وليس ثمة ما يوحي أو يدل على أنه (عليه السلام) متردد أو سوف يتردد في تنفيذ وصيتها..

كما أنه لا معنى لاختيار ابن الزبير لهذه المهمة . والمقصود به هو عبد الله ابن الزبير ابن عبد المطلب . دون علي (عليه السلام) لأن ذلك يعد إهانة منها لسيد الأوصياء وهي منزهة عن ذلك، وكذا يقال بالنسبة لسائر بني هاشم، والخُلص من الصحابة، أمثال: سلمان، وعمار، وأبي ذر، والمقداد، وأبي الهيثم بن التيهان، وقيس بن سعد، وغيرهم.

مطالبة الزهراء (عليها السلام) بحقها بأمر علي (عليه السلام):

وقد ذكرت بعض الروايات التي تقدمت: أن علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي طلب من الزهراء (عليها السلام) أن تبادر للمطالبة بإرثها ونخلتها.. ولعله لأنه (عليه السلام) يريد بذلك أن يخرج الغاصبين، من حيث إن صاحب الحق الشرعي هو الذي انبرى للمطالبة بحقه.. فلا مجال لاتهام علي (عليه السلام) بأنه يثير أموراً من عند نفسه، لتكون وسيلته إلى غيرها.

كما أن المطالب بهذا الحق هو الزهراء (عليها السلام)، التي تعيش

ويعيش الناس معها أجواء الفجيعة برسول الله (ﷺ). وهي تثير في الناس معاني الأسى والحزن، كما أنها تمثل الحنان والرقّة والعاطفة، والمحبة والصفاء.

ولا يمكن اتهامها بأنها تريد إثارة أجواء حرب أو نزاع. خصوصاً بعد أن أعلن (عليه السلام) أنه ملتزم بتوجيهات الرسول (ﷺ) بعدم مواجهة الغاصبين، إلا إذا توفرت له القوة الكافية والقادرة على حسم الأمور.. والتي يكفي نفس وجودها لردع من يريد التعدي على الحقوق المادية وغيرها.

فإذا ظهر للناس الحق من خلال مطالبة الزهراء (عليها السلام) واستدلالاتها وبراهينها النيرة، فإنهم سوف يدركون أن من يتصدى لمقام رسول الله (ﷺ) يفقد المواصفات المطلوبة لهذا المقام، من جهات عدة..

منها: أنه قد خالف النصوص الصريحة: القرآنية والنبوية.

ومنها: أنه لم يمثل لحكم الله سبحانه حين ظهر له الحق، بل اكتفى بتسطير بعض الكلمات العاطفية التي لا ربط لها بأصل الموضوع..

عمر يمزق كتاب أبي بكر:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن عمر بن الخطاب أخذ الكتاب من السيدة الزهراء (عليها السلام) عنوة ومزّقه.

ونشير هنا: إلى أن سبب هذا الموقف من عمر هو ما يلي:

١ - ما نقل عن عمر من أنه دخل على أبي بكر، وقد كتب أبو بكر كتاباً لفاطمة (عليها السلام) بميراثها من أبيها (والمقصود هو فدك) فقال له عمر: ماذا تنفق على المسلمين، وقد حاربتك العرب كما ترى؟! ثم أخذ الكتاب فشقه^(١).

ولعل عمر قد نسي: أن النبي (ﷺ) حاربتك العرب، ولم يستعن بفدك للإتفاق على المسلمين.
٢ - عن المفضل بن عمر قال: قال مولاي جعفر الصادق (عليه السلام): لما ولي أبو بكر بن أبي قحافة، قال عمر: إن الناس عبيد هذه الدنيا، لا يريدون غيرها، فامنع عن علي وأهل بيته الخمس، والفيء، وفدكاً، فإن شيعته إذا علموا ذلك، تركوا علياً، وأقبلوا إليك، رغبة في الدنيا، وإثارةً، ومحابةً عليها.

ففعل أبو بكر ذلك، وصرف عنهم جميع ذلك^(٢).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة سنة ١٤٠٠) ج ٣ ص ٤٨٨ و (ط أخرى) ج ٣ ص ٣٦٣ عن سبط ابن الجوزي، والغدير ج ٧ ص ١٩٤ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٤٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٥ ص ٥٤٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣١٨.
٢ - بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٩٤ عن الكشكول فيما جرى على آل الرسول ص ٢٠٣ ومستدرک الوسائل ج ٧ ص ٢٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٥٧٢ واللمعة البيضاء ص ٣٠٥ ومجمع النورين للمرندي ص ١٢٦.

٣ . وقال علي بن تقي النيلي: (وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها (أي عن فدك) إلا ألا يتقوى علي بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني عبد المطلب حقهم في الخمس، فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته، ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والإكتساب عن طلب الملك والرياسة)^(١).

٤ . إن نفس أن يظهروا أبا بكر . بصورة عملية .: أنه في موقع الرسول (ﷺ)، وأنه يمارس صلاحياته، حتى على أصحاب الحق الشرعيين، بأبشع الصور، واقسى أنواع الظلم والتعدي مع أن أصحاب الحق هم علي والزهراء (عليهما السلام).

نعم.. إن هذا الأمر مطلوب للغاصبين، ويرون أنفسهم بحاجة ماسة له.

٥ . قال علي بن مهنا: عن السبب في منع فدك: (أرادا ألا يظهرها علي . وقد اغتصباه الخلافة . رقة وليناً وخذلاناً، ولا يرى عندهما خوراً، فأتبعا القرع بالقرح)^(٢).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ واللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص ٣٠٦ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٥١٠.

٢ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٣٦ واللمعة البيضاء ص ٣٠٦.

ولذلك منع فاطمة وبني هاشم سهم ذوي القربى^(١).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٣١.

وراجع: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٧٣٩ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١١٨ واللمعة البيضاء ص ٨٤٤.

الفصل الثاني: مأزق أبي بكر بين خطبة الزهراء (عليها السلام) ومطالبات علي (عليه السلام)

بداية:

وبما أن خطبة السيدة الزهراء في مناسبة غضب فدك، تتضمن الكثير مما يرتبط بأمر المؤمنين (عليها السلام) فقد آثرنا الإلماح إليها، لدفع ما قد يتوهمه المتوهمون حول ما قصدته في بعض فقراتها.

فنقول:

الخطبة العظيمة:

عن عبد الله بن الحسن، عن آبائه: (لما أجمع أبو بكر على منع فاطمة فدك، وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبائها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت (عليها السلام):

الحمد لله على ما أنعم..

إلى أن قالت:

كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاعرة من المشركين،
قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يطأ جناحها بأخمصه ويحمد لهيها بسيفه.
مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً
ناصرها، مجدداً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم.
وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار،
وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال.
فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب
الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم،
واطلع الشيطان رأسه من مغرزة هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم
استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحشمكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إيلكم، ووردتم غير مشربكم.
هذا.. والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف
الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأني
تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجه لايحة،
وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين
بدلاً، ومن يبتع غير الإسلام ديناً فلن يقبل

منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء، ويصير منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشاء.

وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟

بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أبي ابنته.

أيها المسلمون أغلب على إرثي؟

يا بن أبي قحافة: أفى كتاب الله ترث أباك ولا إرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً!

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟

إذ يقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال:

(فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)، وقال: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)، وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)،

وقال: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ).

وزعمتم: أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟

أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟

أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟

فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيبة، وأعضاء الملة، وعضنة الإسلام، ما هذه الغميمة في حقي، والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول (المرء يحفظ في ولده)؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول.. إلى أن قالت:

أيها بني قبيلة أهضم تراث أبي؟ وأنتم بمراى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبتم، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهيم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر

حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين فأنى حزتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤسا لقوم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة، أتخشوهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمجتتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد .

ألا وقد قلت ما قلت ..

هذا.. على معرفة مني بالجدلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبيرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فبيعن الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون.

وأنا ابنة نذير لكم، بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون.

إلى أن قالت في جواب أبي بكر:

سبحان الله.. ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله

صادفاً ولا لأحكامه مخالفاً! بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً يقول: (بِرِّثْنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ)، ويقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ)، وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين.

كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.
فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجّة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفاها؟

كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم لتجدن والله محمله ثقيلاً، وغبه وبيلاً، إذا كشف لكم الغطاء، وبان بأورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون.

ثم انكفأت (عليه السلام)، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يتوقع رجوعها إليه، ويتطلع طلوعها عليه، فلما استقرت بها الدار، قالت: لأمير المؤمنين (عليه السلام):
يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل،
فخانك ريش الأعزل.

هذا ابن أبي قحافة يبتزني نخلة أبي وبلغة ابني! لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي
حتى حبستني قبلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانع،
خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت خدك، افترست الذئاب، وافترشت
التراب، ما كففت قائلاً، ولا أغنيت طائلاً ولا خيار لي، ليتني مت قبل هنيئتي، ودون ذلتي،
عذيري الله منه عادياً، ومنك حامياً، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب! مات العمد،
ووهن العضد، شكواي إلى أبي! وعدواي إلى ربي! اللهم إنك أشد منهم قوة وحولا، وأشد بأسا
وتنكيلاً.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): لا ويل لك، بل الويل لشانك ثم نهنهي عن وجدك يا ابنة
الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة، فزرقيك
مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك أضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله.
فقالت: حسبي الله وأمسكت^(١).

١- الأحتجاج ج ١ ص ١٣١. ١٤٦. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٠ = ٢١١ وص ٢٤٩ وبلاغات
النساء ص ١٢ و أعلام النساء ج ٤ ص ١١٦ و الشافي ج ٤ ص ٦٩ وأمالي الطوسي ج ٢ ص ٦٩ والبحار (ط
قديم) ج ٨ ص ١٠٦ و (ط أخرى) ج ٢٩ ص ٣٢٤.

مصاب الزهراء (عليها السلام) .. في خطبتها:

هناك من يطرح الأسئلة التالية:

١ . هل الخطبة التي ألقتها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في المسجد أمام أبي بكر والمهاجرين والأنصار، كانت قبل الهجوم على الدار، أو بعد الهجوم؟!

٢ . إن كان بعد الهجوم على الدار، فلم لم تذكر السيدة فاطمة (عليها السلام) مصابها، وما جرى عليها للناس؟!

٣ . وبعد تلك المصائب والإصابات والأذى، كإسقاط المحسن (عليها السلام)، وكسر الضلع، كيف خرجت الزهراء (عليها السلام) من بيتها، وتحملت هذه الآلام التي قد تقعد شخصاً في بيته لمدة طويلة؟ ونجيب:

١ . بالنسبة للسؤال عن تاريخ خطبتها نقول:

إن السيدة الزهراء (عليها السلام) ألقى خطبتها المشار إليها بعد اغتصابهم لفدك، واستيلائهم على إرثها من أبيها صلوات الله وسلامه عليه وعليها، وعلى الأئمة الطاهرين. وقد كان اغتصابهم فدكاً بعد عشرة أيام من استشهاد رسول الله

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١).

ويدل على ذلك قول الطبرسي أيضاً:

(لما بويع أبو بكر، واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى فدك من أخرج
وكيل فاطمة بنت رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فجاءت فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ) إلى أبي بكر الخ... (٢).
فإن استقامة الأمر لأبي بكر على جميع المهاجرين والأنصار، لم يتيسر له إلا بعد عدة أيام،
كما يظهر من نقلهم الكثير من الاعتراضات التي واجهها أبو بكر (٣).

٢. وأما لماذا لم تذكر مصابها، وما جرى عليها للناس فنقول:

من الواضح: أن ذلك لا مبرر له، لأن الناس كانوا حاضرين لتلك الأحداث الفظيعة، وناظرين
لها، ولا يزيدهم ذكر هذا الأمر معرفة بأمر

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٦٣ واللمعة البيضاء ص ٧٥١.

٢- الإحتجاج ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ١١٩ وبلغه الفقيه لبحر العلوم ج ٣ ص ٣٥٤ وبحار
الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٧ ونور الثقلين ج ٤ ص ١٨٦ و ٣٧٤ واللمعة البيضاء ص ٣٠٩ و ٧٤٧ والأنوار العلوية ص ٢٩٢
ومجمع النورين للمرندي ص ١٣٤ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٤٨ وبيت الأحزان ص ١٣٣.

٣- راجع كتاب الغدير للعلامة الأميني (رحمته الله)، والإحتجاج ج ١ ص ١٨٦ - ٢٠٢ وغير ذلك..

يجهلونه، ولا يزيل عنهم شبهة يحتاجون إلى إزالتها، ولكن الأمر الذي كان يحتاج إلى كشف وبيان، هو تلك الشبهة التي ألقاها أبو بكر حول ما تركه رسول الله (ﷺ)، وكان لابد من فضح أمره فيها، لأن ذلك معناه جعله أمام خيارين، كل منهما يعد كارثة بالنسبة إليه، وهما:

الف - ظهور جهله بآيات القرآن، وبأحكام الإسلام البديهية التي لا يجهلها حتى الأطفال..

ب - إظهار تعمده مخالفة نص القرآن، وانتهاك حرمة الشريعة، والدين، عن علم ودراية

والنفات..

وليرى الناس بأم أعينهم: أنه فاقد لأبسط الشرائط والمواصفات التي تؤهله لأن يكون ولياً حتى على عائلته، فضلاً عن أن يؤتمن على الدين، وعلى دماء المسلمين، وعلى أعراضهم، وأموالهم.. وعلى مستقبل الأمة بصورة عامة..

على أن المتأمل في خطبتها يجد: أنها كانت تركز على أمور من شأنها تعريف الناس بالإمام الحقيقي، وبيان المواصفات التي تبعد من تصدى لهذا الأمر عن أن يكون أهلاً لأي مقام..

علماً بأن الحديث عما جرى عليها قد يستفيد منه الخصوم لتحويل القضية، إلى قضية شخصية، وادعاء أنها كانت حانقة عليهم من أجل ما تعرضت هي شخصياً له، لا من أجل أخطر قضية، وهي قضية الإسلام الكبرى..

وأما السؤال الثالث فإننا نقول:

إن كسر الضلع، لا يمنع . ولا سيما بعد مرور عدة أيام . من الحركة والمشى، مع مراعاة الإحتياط، ولا يمنع من الكلام والإحتجاج، وذلك ظاهر لا يخفى ..

يضاف إلى ذلك: أن خطبتها في المهاجرين كانت في المسجد، وبيتها كان في المسجد أيضاً، فلا تحتاج في إلقاء خطبتها إلا إلى بضع خطوات يمكن أن يساعدها عليها النساء .
هل الزهراء (عليها السلام) تونب علياً (عليه السلام):

لما اجتمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً، وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبائها، وأقبلت إلى المسجد . وخطبت فيه خطبتها الشهيرة في المهاجرين والأنصار ..

لكن أبا بكر أجابها بالإصرار على موقفه، واجتهاده في تميع القضية، رغم تصريحه في جوابه لها بقوله:

(وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقلك، ولا مصدودة عن صدقك) .

ثم أتبع ذلك بادعاء: أنه ما عمل إلا بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبإذنه .

ثم نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) .

فأجابته (عليها السلام) بتفنيد كلامه، وأن أباهما (صلى الله عليه وآله)

لا يخالف كتاب الله. وأنهم أجمعوا على الغدر بما..

ثم استدلت عليه بآيات القرآن..

فعاد أبو بكر ليواجهها بالإطراء والمديح، دون أن يقر لها بالحق.

فانكفأت (عائشة)، وكان علي (عليه السلام) يتوقع رجوعها.

فلما استقرت بما الدار كلمت أمير المؤمنين (عليه السلام) بكلام زعموا: أنه قاسٍ، وفيه تقريع ولوم

وجفاء، فقالت له:

(أشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الضنين، نقضت قادمة الأجدل، فخانك ريش

الأعزل؟!).

هذا ابن أبي قحافة قد ابتزني نخيلة أبي، وبلغه ابني، والله لقد أجهر في خصامي، وألفيته ألد

في كلامي، حتى منعتني (ال) قبلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا

دافع ولا مانع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة.

أضرعت خدك، يوم أضعت خدك؟!!

أفترست الذئاب وافترشت التراب؟!!

ما كففت قائلًا، ولا أغنيت باطلا؟!!

ولا خيار لي، ليتني مت قبل هينتي، ودون زلتي.

عذيري الله منك عادياً، ومنك حامياً.

ويلاي في كل شارق، ويلاي في كل غارب، ويلاي مات العمد ووهى العضد، وشكواي إلى

أبي. وعدواي إلى ربي اللهم أنت أشد قوة).

وقد أجابها (عليه السلام) بكلام جاء فيه: (فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنتِ تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أُعِدَّ لك خير مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله. وأمسكت)^(١).

فهل يمكن أن يصدر هذا الكلام القاسي والجاني في حق سيد الوصيين من فاطمة (عليها السلام)، وهي المعصومة الطاهرة؟! وهي المعصومة الطاهرة؟!!

أم أن ذلك مكذوب عليها؟!!

وهل يمكن أيضاً: أن يظن بها أمير المؤمنين (عليه السلام) أنها تريد البلغة؟! أم أن ذلك مكذوب عليه؟!!

الجواب:

ونجيب بما يلي:

أولاً: إن الله سبحانه وتعالى قال مخاطباً عيسى بن مريم (عليه السلام):

١- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٣٤ و ٣١١ والإحتجاج (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج ١ ص ١٤٥ . ١٤٦ و (ط أخرى) ج ١ ص ٢٨٠ . ٢٨٢ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٥٠ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣١٨ و ٤٣٢ والدر النظيم ص ٤٧٨ واللمعة البيضاء للتبريزي ص ٧٢٣ والأنوار العلوية ص ٣٠٠ ومجمع النورين للمرندي ص ١٣٥ وبيت الأحزان للقمي ص ١٥٠ .

(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي-
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (١).

فعلام الغيوب إذن يسأل عيسى (ﷺ) عن هذا الأمر، ولكنه ليس سؤالاً يهدف إلى معرفة شيء جديد من خلال الإجابة. بل هو سؤال تقرير، يراد به إسماع الإجابة للآخرين. مع كون السائل عالماً بها، وهو يشبهه من بعض الجهات الأسئلة الإمتحانية.

وهذا النحو من التعاطي مع القضايا شائع في حياة النبي (ﷺ)، والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).. وهو طريقة عقلانية متبعة في كل وقت وحين.

ونظير ذلك: ما فعله نبي الله موسى بأخيه هارون (عليه السلام)، فقد أخذ برأس أخيه يجره إليه مع علمه ببراءته.. لأنه أراد أن يعرّف قومه عظيم جنائتهم، وشدة قبح فعلتهم حين عبدوا العجل، ليظهر للناس: أنهم ليسوا أهلاً للمقام الذي يضعون أنفسهم فيه..

وتوضيح ذلك:

هناك من يقرأ كلمة اشتملت على إنها إخبار عن أنه (ﷺ) فعل ذلك والذي يظهر لنا هو:
أن الهمزة في كلمة (أشتملت) هي همزة الإستفهام، التي تكون مفتوحة

١ - الآية ١١٦ من سورة المائدة.

لا مكسورة. أي: هل اشتملت؟!

فهي (عليه السلام)، إنما تسأل علياً (عليه السلام) هذا السؤال لأجل تقريره، أي لكي تسمع الناس جوابه. وتعرفهم: بأن ما قد يفكرون به من أنه (عليه السلام) قد وني عن دينه، وتساهل في القيام بواجبه الشرعي، ليس له ما يبرره، فهم مخطئون جداً حين يفكرون بهذه الطريقة..

ولعل هذا يشير إلى وجود أجواء مسمومة تثار حول موقف أمير المؤمنين (عليه السلام).. أو هي على الأقل قد أرادت تحصيننا نحن من أن نقع فريسة أوهام كهذه، وذلك استشرافاً منها للغيب، وانسجاماً مع مقتضياته..

ويؤيد ذلك: أنها (عليه السلام) صرحت في آخر كلامها بقولها: (ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدر التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ..)^(١).

ثانياً: لو سلمنا: أن الهمزة ليست للإستفهام، فإننا نقول:

١- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٢٧. ٢٢٩ و ٢٩٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٤٩١ وج ٢ ص ١١٤ وشرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٢ و ٢١٣ والإحتجاج ج ١ ص ٢٧٣ ودلائل الإمامة ص ١٢١ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٥٠ و السقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٢ و ١٤٦ والدر النظيم ص ٤٧٧ و اللعة البيضاء ص ٦٧٠ والأنوار العلوية ص ٢٩٨ ومجمع النورين للمرندي ص ١٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٩ ص ١٦٣ - ١٦٧.

لا مانع أن يكون هذا الكلام قد جاء على سبيل التأم والتأسف أيضاً لما انتهى إليه حال أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي لم يكن أمامه أي خيار مشروع إلا التصرف بهذه الطريقة، حتى لكأنه الجنين المحبوس، الجالس في بيته فراراً من الناس الذين لا يفهمون حكمة موقفه.

ثم عادت (عليه السلام) لتصف حاله (عليه السلام) فتقول:

إنه في بدء أمره نقض مقادير ريش الصقر ببسالته وشجاعته، ثم أصبح كالأعزل من السلاح والقوة، فكأنه أصبح صقراً نقضت قوادمه، ولا يجديه صغار ريش الصقر الذي نقضت قوادم ريشه القوية.

فإن هذه الريش الصغار لا تعطي الصقر أية قوة على الطيران.

فكأنها (عليه السلام) تقول له: أنت الذي فعلت بالمشركين الأفاعيل، وقد انتهى بك الأمر إلى هذه الحال الصعبة عليك وعلى هؤلاء الضعفاء..

وبعد ذكر مظلوميتها، وما جرى عليها من غاصي حقها، عادت لتقول له (عليه السلام):

إنك امتثالاً لأمر الله، وطلباً لرضاه خضعت، ووضعت خدك على التراب، ورضيت بتحمل الأذى، وصبرت على استخفاف ظالميك بك، وتركت سعيك واهتمامك بالأمر، حتى ذهب شوكتك وبأسك بنظرهم..

ورغم أنه (عليه السلام) كان يفتس ذئاب الشرك في حروبه مع المشركين، ولكنه رضي بأن يفتش

التراب، ويصبح في منتهى الفاقة والبؤس؛ لأن الله تعالى يريد منه ذلك.

ثم ذكرت (عليه السلام): أنه ما كفّ عنها، وعنه قول الباطل من

الذين كانوا يؤذونهما بكلماتهم القارصة. ولم يغن (أي لم ينفع) في دفع باطل (وفي رواية: ولا أغنيت طائلاً)، أي ما عملت ما أنتج شيئاً عظيماً فيما يرتبط باسترجاع الحق المغتصب، بسبب استكبار أولئك وبطشهم، ولأنك التزمت بوصية رسول الله (ﷺ).

لأنك كل همك هو حفظ معنى الإمامة في وجدان الأمة، فكان عملك هذا مؤثراً في حفظ الإمامة التي هي الركن الأعظم بعد النبوة.

ويمكن قراءة كلمتي: (كففت، وأغنيت) بضم التاء. أي أنها هي (ﷺ) لم تحقق ما كانت ترمي إلى تحقيقه. حيث لم يستجب لها الغاصبون لحقها.

وقولها: عذيري الله منه عادياً، ومنك محامياً معناه: العذير كالسميع، والأليم بمعنى: العاذر، والسامع، والمؤلم.

أي أن الله تعالى هو الذي يقبل عذرها في كلامها هذا الذي قالته لأبي بكر المعتدي عليها، حيث إنه تعالى يعلم أنها لم تتجنّ عليه في شيء من ذلك..

كما أن الله هو الذي يقبل عذرها في إظهارها للألم والأسى من الحالة التي بلغها علي (ﷺ)، وهو سبحانه يعلم أن ما قالته في بيان ذلك لم يعد الحقيقة.

قذف الزهراء (ﷺ) على المنابر:

ومما جرى بعد تلك الأحداث الصعبة أن أبا بكر قد شبّه علياً وفاطمة

(عليه السلام) بثعالة (أي الثعلب) شاهده ذنبه. ثم شبه علياً (عليه السلام) وهو يستعين بالسيدة فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر طحال، أحب أهلها إليها البغي^(١).

فقد قال المعتزلي: قال أبو بكر: (قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ، وأحق من لزم عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنتم فقد جاءكم فأويتم ونصرتم ألا إني لست بأسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا .

ثم نزل، فانصرفت فاطمة (عليها السلام) إلى منزلها.

قلت: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له:

من يعرض؟!!

فقال: بل يصرح.

قلت: لو صرح لم أسألك.

فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٤ و ٢١٥ ودلائل الامامة لابن رستم الطبري ص ١٢٣ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٢٥ . ٣٢٨ . وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) للنجفي ج ٨ ص ٤٤٧ و ٤٤٨ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٤ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٣ واللمعة البيضاء ص ٧٤٤ ومجمع النورين للمرندي ص ١٣٦ وسفينة النجاة للتكاتبني ص ٣٤٤ وبيت الأحزان ص ١٥٢ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٥٠٩ .

قلت: هذا الكلام كله لعلي يقوله؟!

قال: نعم، إنه الملك يا بني..)

فإن أم طحال امرأة كانت من بغايا الجاهلية، كان يضرب بها المثل، فيقال: أزنى من أم طحال^(١).

فقول أبي بكر: إن علياً كأم طحال، وأن أحب أهله إليه البغي، ولذلك كانت الزهراء (عليها السلام) أحب أهله إليه، مطبقاً عليها. والعياذ بالله. هذا الوصف القبيح. هو كلام بالغ الخطورة من حيث إنه يعتبر بمثابة القذف الصريح للسيدة الزهراء (عليها السلام)؟! أو هو سب سمج وممجوج لا يمكن قبوله، ولا السكوت عنه!! ولعل هذا هو مراد الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (وأما قذف المحصنات، فقد قذفوا فاطمة على منابرهم)^(٢).

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٥ و بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٢٨ واللمعة البيضاء ص ٧٤٥ وبيت الأحزان ص ١٥٣.

٢ - الخصال للصدوق ص ٣٦٤ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤٧٥ و تهذيب الأحكام ج ٤ ص ١٤٩ و ١٥٠ ومعادن الحكمة ج ٢ ص ١٢٢ و ١٢٣ ومن لا يحضره الفقيه (ط النجف) ج ٢ ص ٣٦٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٧٥ و ٣٧٦ و بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢١٠ و ٢١١ و ج ٧٦ ص ٥ و ٦ و ١٤ و جامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٦٢١ و ج ١٣ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨. راجع: موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للنجفي ج ٨ ص ٣٤٢ و ج ٩ ص ٢٧٢ وتفسير العياشي = ج ١ ص ٢٣٧ وتفسير فرات الكوفي ص ١٠٢ و ١٠٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ١٦٣ و ١٦٤ وكنز الدقائق ج ٢ ص ٤٣٤ وأطائب الكلم في بيان صلة الرحم للشيخ حسن الكركي ص ٤٥.

فإننا لله، وإنا إليه راجعون!!..

فضال يجرح أبا حنيفة:

وروي: أن فضال بن الحسن بن فضال الكوفي مرَّ بأبي حنيفة وهو في جمع كثير، يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه.

فقال: لصاحب كان معه: والله لا أبرح حتى أخجل أبا حنيفة.

فقال صاحبه: الذي كان معه: إن أبا حنيفة ممن قد علت حاله، وظهرت حجته.

قال: مه! هل رأيت حجة ضال علت على حجة مؤمن؟!!

ثم دنا منه فسلم عليه، فردها، ورد القوم السلام بأجمعهم.

فقال: يا أبا حنيفة، إن أخاً لي يقول: إن خير الناس بعد رسول الله (ﷺ) علي بن أبي

طالب (عليه السلام)، وأنا أقول: أبو بكر خير الناس، وبعده عمر. فما تقول أنت رحمك الله؟!!

فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: كفى بمكانهما من رسول الله (ﷺ) كرماً وفخراً، أما علمت

أنهما ضجيعاه في قبره، فأى حجة تريد أوضح من هذا؟!!

فقال له فضال: إني قد قلت ذلك لأخي فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله (ﷺ) دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما حق فيه، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله (ﷺ) لقد أساءا وما أحسنا، إذ رجعا في هبتهما، ونسبا عهدهما.

فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال له: لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنهما نظرا في حق عايشة وحفصة، فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: قد قلت له ذلك، فقال: أنت تعلم أن النبي (ﷺ) مات عن تسع نساء، ونظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟! وبعد، فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله (ﷺ) وفاطمة بنته تمنع الميراث؟! فقال أبو حنيفة: يا قوم، نحوه عني فإنه رافضي خبيث^(١).

١ - راجع: الإحتجاج ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٦ و (ط دار النعمان) ج ٢ ص ١٥٠ وكنز الفوائد للكراجكي ج ١ ص ٢٩٤، وبحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٣١ و ج ٣١ ص ٩٣ و ج ٤٤ ص ١٥٥ و ج ٤٧ ص ٤٠٠ والأنوار النعمانية ج ١ ص ٨٧ والفصول المختارة ص ٧٤ واللمعة البيضاء ص ٨٠٣ و ٨٠٤ والخرائج والجرائح ج ١ ص ٢٤٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٤٢٨.

علي (عليه السلام) والعباس يتنازعان في الميراث:

عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن أبي رافع قال:

إني لعند أبي بكر إذ طلعت علي والعباس، يتدافعان ويختصمان في ميراث النبي (صلى الله عليه وآله)، (في المناقب: في برد النبي (صلى الله عليه وآله) وسيفه، وفرسه)، فقال أبو بكر: يكفيكم القصير الطويل. يعني بالقصير: علياً، وبالطويل: العباس.

فقال العباس: أنا عم النبي ووارثه، وقد حال علي بيني وبين تركته.

قال أبو بكر: فأين كنت يا عباس حين جمع النبي بني عبد المطلب وأنت أحدهم، فقال: أيكم يؤازري، ويكون وصيي وخليفتي في أهلي، ينجز عدتي، ويقضي ديني؟؟.

فأحجمتم عنها إلا علياً.

فقال النبي: أنت كذلك.

فقال العباس: فما أقعدك في مجلسك هذا؟! تقدمته وتأمرت عليه.

قال أبو بكر: أعذرونا يا بني عبد المطلب (أو أغدراً يا بني عبد المطلب؟!)(^١).

١- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٧ و ٦٨ و ج ٣٨ ص ٣ وراجع: الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ) ج ١ ص ١١٦ وإثبات الهداة ج ٢ ص ١٧٥ عن كتاب البرهان للشمشاطي، ومناقب آل أبي طالب ج ٣ = ٤٩ و (ط المكتبة الحيدرية ١٣٧٦هـ) ج ٢ ص ٢٤٩ وراجع: الدرجات الرفيعة ص ٩٠ والمسترشد لابن رستم الطبري ص ٥٧٧ والعقد النضيد للقمي ص ١٤٤ وستأتي خصومة علي والعباس في الميراث لدى عمر. وقد ذكر عمر خصومتها إلى أبي بكر، وسنن أبي داوود برقم ٢٦٩٣ و ١٩٦٤ و ٢٩٦٥ و ٢٩٦٧ والترمذي برقم ١٦١٠ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣٦ و ١٣٧ وصحيح مسلم رقم ١٧٥٧ ج ٣ ص ١٣٧٧. ١٣٧٩ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٥٢ وصحيح البخاري كتاب الفرائض: باب قول النبي (صلى الله عليه وآله) لا نورث ما تركناه صدقة (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٣ و ٤ و ج ٤٣ ص ٥٣ و ج ٥ ص ٢٣. وكتاب الجهاد باب المحن، ومختصر المنذري حديث ٢٨٤٣ و ٢٨٤٧ وجامع الأصول حديث ١٢٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ وكنز العمال ج ٧ ص ٢٤٠ واللمعة البيضاء ص ٧٦١.

ونقول:

إن لنا مع هذا الحديث وقفات، هي التالية:

تحريف الحديث الشريف:

إننا نعتقد: أن هذا الحديث قد تعرض للتلاعب والتحريف، كما يدل عليه نفس متنه، لأن ما نقله أبو بكر عن رسول الله (ﷺ) إنما تضمن ذكر خلافة علي (عليه السلام) للنبي (ﷺ) في أهله، وليس في الأمة.

وقول العباس لأبي بكر: فما أقعدك في مجلسك هذا. إنما يتم لو كان

(ﷺ) قد جعله خليفة في أمته، أو خليفته من بعده على الإطلاق ..

إلا إذا قلنا: أن خلافته في أهله لا تنفصل عن خلافته في أمته من حيث هو نبي وولي، إذ لا أهل للنبي بعد وفاته غير الزهراء، وهي زوجة علي (عليه السلام).

فاستدل العباس بهذه الفقرة على أحقية علي (عليه السلام) بموقع الخلافة من أبي بكر، وقبول أبي بكر بهذا الإستدلال، وخشيته من أن يكون بنو هاشم بصدد استرجاع هذا الأمر منه، لأنهم هم الأحق به، يدل على أن كلمة (في أهلي) إما زيدت في الرواية للتشويه والتمويه، أو انما تدل على الولاية العامة حسبما ذكرناه..

أيهما المحق؟! وأيهما المبطل؟!

وقد سأل يحيى بن خالد البرمكي هشام بن الحكم بمحضر الرشيد، فقال: أخبرني يا هشام، هل يكون الحق في جهتين مختلفتين؟!

قال هشام: الظاهر لا..

إلى أن قال يحيى: فأخبرني عن علي والعباس لما اختصما إلى أبي بكر في الميراث، أيهما كان المحق من المبطل؟! إذ كنت لا تقول إنهما كانا محقين، ولا مبطلين!!

قال هشام: فنظرت، فإذا إنني إن قلت: إن علياً (عليه السلام) كان مبطلاً كفرت، وخرجت من مذهبي.

وإن قلت: إن العباس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي. ووردت علي مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت، ولا أعددت لها جواباً.
فذكرت قول أبي عبد الله (عليه السلام): يا هشام، لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. فعلمت أني لا أخذل، وعنّي لي الجواب في الحال، فقلت له:
لم يكن لأحدهما خطأ حقيقة، وكانا جميعاً محقين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود (عليه السلام)، يقول الله عز وجل: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ).
إلى قوله تعالى: (خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ) (١). فأبي الملكين كان مخطئاً، وأيهما كان مصيباً؟!

أم تقول: إنهما كانا مخطئين؟! فجوابك في ذلك جوابي.
فقال يحيى: لست أقول: إن الملكين أخطئا، بل أقول: إنهما أصابا، وذلك أنهما لم يختصما في الحقيقة، ولم يختلفا في الحكم. وإنما أظهرنا ذلك لينبها داود (عليه السلام) في الخطيئة، ويعرفاه الحكم، ويوقفاه عليه.

قال هشام: قلت له: كذلك علي (عليه السلام) والعباس لم يختلفا في الحكم، ولم يختصما في الحقيقة، وإنما أظهرنا الاختلاف والخصومة لينبها أبا بكر على خطئه، ويدلا على أن لهما في الميراث حقاً، ولم يكونا في ريب من أمرهما، وإنما كان ذلك منهما على حد ما كان من الملكين.

١ - الآيتان ٢١ و ٢٢ من سورة ص.

فاستحسن الرشيد ذلك الجواب^(١).

أبو بكر يناقض نفسه:

روى المدائني عن هشام بن سعد، عن عيسى بن عبد الله بن مالك قال: خاصم العباس علياً إلى أبي بكر، فقال: العم أولى أو ابن العم؟! قال: العم.

قال: ما بال درع النبي (ﷺ)، وبغلته دلدل، وسيفه عند علي؟! فقال أبو بكر: هذا شيء وجدته في يده، فأنا أكره نزعها منه، وتركه العباس^(٢).

١- بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٩٣ وج ٢٩ ص ٦٩ و ٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٩ والفصول المختارة للمرتضى ص ٤٩ وقاموس الرجال للتستري ج ١٠ ص ٥٤٥ وإحفاق الحق (الأصل) ص ٢٢٨ وهشام بن الحكم للشيخ عبد الله نعمة ص ٢٢٧ وقال في هامشه: الفصول المختارة ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ وقارن ما نقله في ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٦٢ - ٢٦٩، فإنه اختصر هذه المناظرة، وانظر بحار الأنوار ج ٤ ص ١٥٩. وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٥ ص ١٥٠ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٧٠.

٢- إمتاع الأسماع ج ٧ ص ١٤٨ وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ١٣ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٢٠٧ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٣٤ والتمهيد لابن عبد البر ج ٨ ص ١٥٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٥ ص ٥٨٦.

فلاحظ:

- ١ . كان بإمكان أبي بكر أن يسأل علياً (عليه السلام) عن هذا الذي تحت يده كيف وصل إليه ..
فإن كان بنحو مملك تركه له، وإن كان على سبيل الإستيلاء والتعدي فلماذا لا ينتزعه منه؟!
 - ٢ . لماذا انتزع أبو بكر فدكاً من يد فاطمة (عليها السلام) وطردها وكلاءها منها .. ولا ينتزع بغلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من علي (عليه السلام)؟!
 - ٣ . إن السؤال الصحيح ليس هو عن كون ابن العم أولى من العم، بل السؤال هو: هل العم أولى من البنت؟!
إذ إن علياً (عليه السلام) لم يدع أنه هو الوارث للمال، بل هو يقول: إن فاطمة هي التي ترث دون العم.
- أنا ولي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
قال العلامة: (كيف يجوز لأبي بكر أن يقول: أنا ولي رسول الله، وكذا عمر، مع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مات وقد جعلهما من جملة رعايا أسامة بن زيد)^(١).
وأجاب البعض: بأن المراد بالولي: من تولى الخلافة، فإنه يصبح

١ - نهج الحق ص ٣٦٤ وراجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٤ والطرائف لابن طاووس ص ٢٧٢ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٣٠٢.

المتصرف في أمور رسول الله (ﷺ) بعده، وتأمير أسامة عليهما لا يجعلهما من رعاياه، بل هم جميعاً من رعايا النبي (ﷺ) (١).

وهو جواب لا يصح: فقد قال الشيخ محمد حسن المظفر (رحمته الله)، ما حاصله: إن الولي للشخص هو المتصرف في أموره؛ لسلطانه عليه ولو في الجملة، كالمتصرف في أمور الطفل والغائب. ولا يصدق على الوكيل أنه ولي، مع أنه متصرف في أمور غيره. فلا أقل من أن ذلك إساءة أدب معه (ﷺ).

ولو سلم اعتبار السلطنة في معنى الولي، فدعواهما أنهما وليا رسول الله (ﷺ) غير صحيحة، لأن النبي (ﷺ) لم يستصلحهما حين وفاته إلا لأن يكونا في جملة رعايا أسامة، فكيف صلحا بعده للإمامة على الناس عامة ومنهم أسامة؟!!

على أن إضافة الولي إلى رسول الله (ﷺ)، من دون اعتبار السلطنة في معنى الولي، تقتضي ظاهراً: أن تكون الولاية مجعولة من النبي (ﷺ)، لأنها من إضافة الصفة إلى الفاعل، لا إلى المفعول، وذلك باطل بالاتفاق.

١ - هذا كلام ابن روزبهان في كتابه المسمى: (إبطال نزع الباطل) فراجع دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٥.

وإنكار إطلاق الرعية على مثل تأمير أسامة في غير محله^(١).

عثمان رسول نساء النبي (ﷺ) إلى أبي بكر:

وقال المجلسي أيضاً والمعتزلي روي عن عائشة: إن أزواج النبي (ﷺ) أرسلن عثمان إلى أبي

بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله (ﷺ)^(٢).

١- دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٦.

٢- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٧١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٣ و ٢٢٨ وفتوح البلدان للبلاذري ج ١ ص ٣٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٥٢٠ ومسند أبي عوانة ج ٤ ص ١٤٥ وراجع ص ١٤٣ وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٥ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧١ و ٤٧٢ والصواعق المحرقة ص ٣٦ وتلخيص الشافعي ج ٣ ص ١٥٠ والموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ٣ ص ١٥٤ والبداية النهاية ج ٤ ص ٢٠٣ و ج ٥ ص ٢٨٨ والإيضاح لشاذان ص ٢٥٧ .
٢٦٢ وراجع هوامشه، وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٢٤ وتركة النبي (ﷺ) للبغدادي ص ٨٤ ومسند الشاميين ج ٤ ص ١٩٩ لكن في صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٧٩ حديث ٥١: إنهم أردن أن يرسلن عثمان إلى أبي بكر، فاعتزضت عائشة عليهن بحديث أبي بكر: إن النبي لا يورث. وراجع: سنن أبي داود ج ٣ ص ١٤٤ و ١٤٥ وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص ١١٣ و ١١٥ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٢٠٥ و ٢٠٧ و عمدة القاري ج ١٧ ص ١٣٠ و ١٣١ واللمعة البيضاء ص ٧٦٢ = والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٩٩.

فهل جهل نساء رسول الله (ﷺ) بأن النبي لا يورث؟! وكيف يذهب عثمان بهذه المهمة، مع أن عمر قد أقسم على جماعة فيهم عثمان: أن النبي (ﷺ) قال: لا نورث، ما تركناه صدقة. فقالوا: نعم؟! (١)

وكيف لم يصدق عثمان أبا بكر فيما رواه عن رسول الله من أن الأنبياء لا يورثون؟! وكيف دفع عمر صدقة النبي (ﷺ) بالمدينة إلى علي (عليه السلام) إذا كان النبي لا يورث أصلاً؟! وكيف دفع عمر سهم النبي (ﷺ) بخيبر، وما أفاءه الله عليه إلى علي وحده، أو إلى علي (عليه السلام) والعباس؟! (٢)

وكيف ترك أبو بكر سيف رسول الله (ﷺ) وبغلته وعمامته إلى علي (عليه السلام)؟! فإن كان لأجل احتمال أن يكون قد منحه النبي (ﷺ) إياهما قبل وفاته.. فلماذا لم يحتمل مثل الاحتمال في فذك أيضاً مع وجود الشهود، وسائر الدلائل والشواهد على ذلك، وإن كان لأجل أن الوارث هو الزهراء (عليها السلام).. فلماذا يمنع الزهراء

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٣ و ٢٢٢ واللمعة البيضاء ص ٧٦٢ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٦ ص ١٩٦ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٣ ص ٣٦١ وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٢٤.

إرثها؟!!

وكيف، ولماذا إذن.. يروي أبو بكر عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة؟!!

وأيضاً تناقضات أبي بكر:

١ - ورد في النصوص: أن أبا بكر قال: سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا أرضاً، ولا عقاراً، ولكننا نورث الإيمان، والحكمة، والعلم، والسنة^(١).
وهو كلام يدل على أن الأنبياء لم يأتوا إلى الدنيا لجمع الأموال..
ولا يدل على أنهم لو تركوا شيئاً كان لغير ورثتهم، وهذه الاختلافات في نقل حديث عدم توريث الأنبياء قد تكررت في كلام أبي بكر، ولعله لأنه

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٤ و ٢٥٢ و ٢٢٤ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٣ واللمعة البيضاء ص ٧٥٨ و ٦٨٧ وراجع: الإحتجاج (ط دار النعمان) ج ١ ص ١٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٣١ ومناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه الأصفهاني ص ٢٠٣ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ٢ ص ١٧ ومجمع النورين للمرندي ص ١٣٣ والشافي في الإمامة للمرتضى ج ٤ ص ٧٦ وسفينة النجاة للتنكابني ص ١٧٣ وبيت الأحرار ص ١٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ٣٥٩ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٩٣.

كرر كلامه في أكثر من موقف ومناسبة.

٢ . وقد ذكر الشيخ الطوسي وغيره: أن أبا بكر قد ناقض نفسه في موضوع الإرث بصورة لا يمكن معالجتها، فهو قد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ثم دفع سيف رسول الله وبغلته، وعمامته وغير ذلك (وفي نص آخر: دفع آلة رسول الله ودابته وحذاءه^(١)) إلى أمير المؤمنين (عليه السلام). وقد نازعه العباس فيها، فحكم بها لعلي (عليه السلام).
إما لأن ابن العم . إذا كان عم الميت . من الأب والأم، أولى من العم إذا كان من جانب الأب فقط^(٢)، لأن المتقرب إلى الميت بسببين أولى من

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٤ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٣ واللمعة البيضاء ص ٧٥٨ ومعالم المدرستين ج ٢ ص ١٣٨ عن: الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧١ .
٢ - البداية والنهاية ج ٦ ص ٩ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٧ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٧٠ و ج ١٠١ ص ٣٩٤ وإحقاق الحق (الأصل) للتستري ص ٢٢٦ والمقنعة للشيخ المفيد ص ٦٩٢ وراجع: الخلاف للشيخ الطوسي ج ٤ ص ٢٠ والمراسم العلوية لسلار ص ٢٢٥ والمهذب لابن البراج ج ٢ ص ١٤٥ والنهاية للطوسي ص ٦٥٣ وشرائع الإسلام للمحقق الحلبي ج ٤ ص ٨٣١ وقواعد الأحكام للعلامة الحلبي ج ٣ ص ٣٧٠ ومختلف الشيعة ج ٩ ص ٢٤ وإيضاح الفوائد ج ٤ ص ٢٢٧ ومسالك الأفهام ج ١٣ ص ١٥٨ وكشف الثمام (ط.ق) ج ٢ ص ٢٩٧ = و (ط.ج) ج ٩ ص ٤٤٦ والقواعد والفوائد ج ٢ ص ٢٩١ وفقه الرضا ص ٢٨٩ ونضد القواعد الفقهية للمقداد السيوري ص ٤٥٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٢٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٢٥ والإحتجاج.

المتقرب إليه بسبب واحد..

وإما لأن العم لا يرث مع وجود البنت، كما هو مذهب أهل البيت (عليهم السلام)^(١).

دفاع الأتباع:

و قد دافع أتباع أبي بكر وعمر عنهما في موضوع إرث النبي (صلى الله عليه وآله) بما لا يصلح ولا يفيد، فقالوا:

١ - بالنسبة لما أعطاه لعلي (عليه السلام) من تركة النبي (صلى الله عليه وآله):

لا شك في أن أبا بكر لم يدفع هذه الاشياء ذلك إلى علي (عليه السلام) بعنوان أنها إرث، لأن ذلك

لا ينسجم مع حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

كما أنه لا إرث لعلي (عليه السلام) مع العم، لأنه عصبه.. فإن كانت فاطمة (عليها السلام) قد ورثت

شيئاً، فالعباس شريكها، وأزواج النبي

١ - تلخيص الشافعي ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٧٠ وإحفاق الحق (الأصل) ص ٢٢٦ وراجع

ص ٤٥٨.

(ﷺ) شركاؤها أيضاً.

ولوجب أن يكون ذلك ظاهراً مشهوداً، ليعرف أنهم أخذوا نصيبهم من غير ذلك، أو بدله..
وذكروا أيضاً: أن عدم أخذ الشيء بالإرث لا يعني عدم الحصول عليه أصلاً، إذ قد يحصل
عليه عن طريق النحلة، أو قد يعطيه إياه أبو بكر، ليكون في يده لمصلحة يراها، كتقوية الدين..
(ثم يتصدق أبو بكر بدله).

وأما البردة والقضيب، فلعل أبا بكر لم يتصدق بهما، بل جعلهما عدة في سبيل الله، تقوية على
المشركين، فتداولته الأئمة.

هذا إن ثبت أنه (ﷺ) لم ينحله أحداً في حال حياته..

ونقول:

أولاً: إذا جاز أن يكون كل ذلك مما نحله الرسول (ﷺ) في حال حياته.. لأحد من الناس،
فلماذا لم يصدقوا الزهراء (عليها السلام) في أمر فذك، فإنها كانت نحلة لها من رسول الله (ﷺ)، في حال
حياته وكانت في يدها، وعمالها فيها لعدة سنوات في حياته (ﷺ)..
إلا إذا فرض . والعياذ بالله .: أن أبا بكر يكذب السيدة الزهراء (عليها السلام)، التي طهرها الله
تطهيراً..

ثانياً: لقد أوجب هذا المدافع: أن يكون ما وصل إلى فاطمة (عليها السلام) معروف الجهة، هل هو
نحلة؟! أو على سبيل الإرث؟! أو غير ذلك؟! وأن يكون ذلك ظاهراً مشهوداً.

ولكنه يعود فيدّعي لأجل تصحيح فعل أبي بكر بالبردة والقضيب، وإعطائه سيف وبغلة وعمامة الرسول (ﷺ) لعلي (عليه السلام) - يدعي :- أنه قد يكون ذلك ملك علي من جهة أن النبي (ﷺ) قد نخله إياه، وقد يكون (عليه السلام) قد أعطى البردة والقضيب لأحد على سبيل النحلة. مع أنه لا بد أن يكون ذلك ظاهراً مشهوداً أيضاً حسب قوله. إلا إذا كان هذا المدافع يشترط الظهور والشهرة في نحلة الزهراء (عليها السلام) دون غيرها!!

مع أن كون فذلك نحلة للزهراء (عليها السلام) أيضاً كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار. ٢ . أما بالنسبة لتنازع علي (عليه السلام) والعباس، وكذلك بالنسبة لطلب الأزواج الميراث، فقد أجاب المدافعون عن أبي بكر، بأن من الممكن أن يكون العباس، وعلي (عليه السلام)، وكذلك الأزواج غير عاملين بحديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث.. ونجيب:

بأن هذا الإحتمال غريب وعجيب، فإن علياً (عليه السلام) وكذلك سائر الصحابة، قد شهدوا ما جرى بين أبي بكر والزهراء (عليها السلام)، وسمعوا خطبتها المشهورة حول هذا الموضوع. وعرفوا ورأوا كيف استدل أبو بكر بهذا الحديث ناسباً له إلى رسول الله (ﷺ) .. فمتى نسوا هذا الحديث؟! وهل يمكن أن ينسى

العباس وعلي (عليه السلام) هذا الحديث، وقد انتزع أبو بكر بسببه من يدهم تلك الأراضي والأموال؟!
والحال أن هذه المنازعة بين العباس وعلي (عليه السلام) قد جرت بعد استشهاد الزهراء (عليها السلام).

الفصل الثالث: مطالبات.. في نفس السياق: العباس وفاطمة (عليهما السلام)..

نماذج أخرى على طريق الخيبة:

ورغم كل مزاعمهم الرامية إلى تخفيف حدة النقد الموجه إلى أبي بكر، وتحاشي ما يمكن تحاشيه من المؤاخذات له. فإن نفس تلك المزاعم قد حفلت بالتناقضات التي تحبط مسعاها، وتسقط مكرهم.. ونذكر نماذج يسيرة وقصيرة من ذلك هنا للتذكير، فقط وهي التالية:

أموال بني النضير:

عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله (ﷺ) خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنتهم، ثم يجعل ما بقي منها في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله^(١).

١- صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢٧ وج ٦ ص ٥٨ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥١ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٢ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١٣١ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣٢ ومسنند أحمد ج ١ ص ٢٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٩٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٦٣٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٤ و (ط دار المعرفة) ج ٦ ص ١٩٢ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن داود، والترمذي، = والنسائي، وابن المنذر. وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٤٨ عن جامع الأصول، وكنز العمال ج ٤ ص ٥٢٢ واللمعة البيضاء ص ٧٨٥ وعون المعبود ج ٨ ص ١٥٩ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٢٣٠ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٤٠٧ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٢٩٤ وج ١٣ ص ١٤٧ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٤٣ وكتاب المسند للشافعي ص ٣٢٢ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٧٠ وفتح الباري ج ٦ ص ٦٩ و ١٤٣ وعمدة القاري ج ١٤ ص ١٨٥ وج ١٩ ص ٢٢٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٦ وج ٥ ص ٣٧٧ وج ٦ ص ٨٤٨ ومسنند أبي حنيفة ج ٢٥٨ و معرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٥ ص ١١٢ والتمهيد لابن عبد البر ج ٨ ص ١٦٩ وأحكام القرآن لابن إدريس الشافعي ج ١ ص ١٥٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ١٤ وج ١٨ ص ١١ و تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٥٩ وفتح القدير ج ٥ ص ١٩٩ و تفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٤٤ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٢٠٨ وفتوح البلدان للبلاذري ج ١ ص ٢٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٩١ وج ٦ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٨٩.

ونقل القرطبي عن عمر: قال: (إنها كانت خالصة لرسول الله ﷺ)، يعني: بني النضير، وما كان مثلها^(١).

١- الجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ و (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٠٥) ج ١٨ ص ١٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ٢١٤ وفتح القدير ج ٥ ص ١٩٧ و ١٩٨.

ونقول:

ان ملاحظة الفصول السابقة تعطي:

أن الكلام عن فدك قد كثر وتنامى، لأنها كانت نحلة من رسول الله (ﷺ) لابنته فاطمة (عليها السلام) في حال حياته. فأخذوها منها . كما بيناه أكثر من مرة، . فاحتجت على أبي بكر، وطالبتة بنحلتها، فمنعها إياها.

وطالبتة أيضاً بإرثها في بني النضير، وفي سائر ما تركه رسول الله (ﷺ)، فمنعها إياه أيضاً.. فإن عمر يقر أن بني النضير كانت خالصة للنبي (ﷺ).. ولكنه يعود فيقول: إنه (ﷺ) كان يأخذ قوت سنته ويجعل الباقي في الكراع والسلاح، ليوهم السامع أو القارئ أن هذا هو مصرف ما كان للنبي (ﷺ)، مع أن الأمر ليس كذلك، فإنه (ﷺ) إذا كان يضع الباقي في الكراع والسلاح فإنما كان يفعل ذلك على سبيل التطوع. كان انسان يبذل ماله في سبيل الخير.. وما نريد أن نشير إليه هنا هو: أن أموال بني النضير كانت ملكاً شخصياً للنبي (ﷺ).. وإذا كان قد جعل باقي غلتها في الكراع والسلاح فإنما كان ذلك على سبيل التطوع والإستحباب.. لا لأن ذلك هو حكم الله أمثال هذه الأموال..

وقد رأينا: أن علياً (عليه السلام) قد بلغت زكاة أمواله أربعة آلاف

(أو أربعون ألف) دينار في كل سنة^(١).

وقد وقف على الحجاج مئة عين استنبطها في ينبع^(٢).

١- راجع: كشف المحجة ص ١٣٤ وبحار الأنوار ج ١ ص ٢٦ و ٤٣ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ١١٧ ومنتخب كنز العمال (بهاشم مسند أحمد) ج ٥ ص ٥٦٠ ومسند أحمد ج ١ ص ١٥٩ وينايع المودة ص ٣٧٢ عن فصل الخطاب لخواجة پارسا، وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩٩ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ والترايب الإدارية ج ١ ص ٤٠٧ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ٣٤٦ وصيد الخاطر ص ٢٦ وشرح إحقاق الحق (ملحقات) ج ٨ ص ٥٧٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٢ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٥١ وحلية الأولياء ج ١ ص ٨٦ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٥٩ عن أحمد، وأبي نعيم، والدورقي، والضياء في المختارة، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٧ والرياض النضرة ج ٤ ص ٢٠٨ وعن أرجح المطالب ص ١٦٦ وعن ربيع الأبرار، وراجع: أصول مالكيته للأحمدي ج ٢ ص ٧٤ وراجع: الصراط المستقيم ج ٣ ص ٩٥ ومناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ٢ ص ٦٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٤٧٨ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٦٣٢ ونظم درر السمطين ص ١٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٧٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦٨.

٢- أصول مالكيته ج ٢ ص ٧٩ عن المناقب ج ٢ ص ١٢٣ وراجع: البحار ج ٤١ ص ٣٢ وراجع حول ثورته (عليه السلام) أيضاً ج ٤١ ص ١٢٥ ففيه قصة طريفة حول هذا الموضوع وراجع: الوسائل ج ١٢ ص ٢٢٥.

وكانت صدقاته تكفي لبني هاشم جميعاً^(١).

ولكن هل ورث أبناؤه من هذه الأموال شيئاً، أم أنه لم يخلف شيئاً سوى سبع مئة درهم كان قد اقتترضها من بيت المال ليشتري بها خادماً لأهله^(٢)، ثم أوصى الإمام الحسن (عليه السلام) بأن يرجعها إلى بيت المال،

١- كشف المحجة ص ١٢٤ والبحار ج ٤١ ص ٢٦.

٢- بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢١٤ وج ٤٠ ص ٣٤٠ وج ٤٢ ص ٢٠٢ وج ٤٣ ص ٣٥٩ و ٣٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٤٦ وج ١٦ ص ٣٠ وينايع المودة ص ٢٠٨ و (ط دار الأسوة) ج ٢ ص ٣٢ و ٢١٢ والإمامة والسياسة ج ١ ص ١٦٢ والفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٤٦ والإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٣ ص ٤٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٢٠٧ وراجع: الأصول الستة عشر ص ٢٩ ومسائل علي بن جعفر ص ٣٢٨ والكافي ج ١ ص ٤٥٧ والأماي للصدوق ص ٣٩٧ وخصائص الأئمة ص ٨٠ وروضة الواعظين ص ١٣٨ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٢١١ ومقاتل الطالبين ص ٣٣ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٤٣٦ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٨ وذخائر العقبى ص ١٣٨ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ١٤٤ ومدينة المعاجز ج ٣ ص ٥١ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٧٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١٢ والذرية الطاهرة النبوية ص ١١٠ وتفسير فرات ص ١٩٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١٠ ص ٥٠١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٥٨١ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢١٣ وإمتاع الأسماع ج ١١ ص ١٧٩ وبشارة المصطفى ص ٣٦٢ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٠٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٥٥ و ١٦١ و ١٦٩ = = والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٧١٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٦٧.

ففعل^(١).

ولو أن شيئاً من تلك الأراضي والأموال بقي عند وفاة علي (عليه السلام)، فلا بد أن يقتسمها ورثته (عليه السلام) كما هو معلوم.

ولكن علياً (عليه السلام) قد تصدق بكل الأراضي التي كانت عنده، أو وقفها على المسلمين، ولم يبق منها شيء حين وفاته^(٢).

وقد عاش (عليه السلام) ومات وما بنى لبنة على لبنة، ولا قصبة^(٣) على قصبة، بل هو قد باع سيفه، وقال: (لو كان عندي ثمن عشاء . أو ازار . ما بعته)^(٤).

ويقول اليعقوبي: إنه (عليه السلام): (لم يلبس ثوباً جديداً ولم يتخذ ضيعة، ولم يقعد على مال، إلا ما كان يبيع والبغيغة مما يتصدق به)^(٥).

١ - الفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٤٦ و (ط دار الأضواء) ج ٤ ص ٢٨٢.

٢ - راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٦ وكشف المحجة ص ١٢٦ والبحار ج ٤٠ ص ٣٤٠.

٣ - تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٣٤٦ و اسد الغابة ج ٤ ص ٢٤ والمناقب للخوارزمي ص ٧٠ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٥٥ والبحار ج ٤٠ ص ٣٢٢.

٤ - كشف المحجة ص ١٢٤ والبحار ج ٤١ ص ٣٢٤ وأصول مالكيته ج ٢ ص ٧٨ . ٩٨ عن مصادر كثيرة.

٥ - مشاكلة الناس لزمانهم ص ١٥.

وعنه يقول معاوية: (والله، لو كان له بيتان: بيت تبن، وبيت تبر، لأنفق تبره قبل تبيه)^(١).

تناقض الفعل والقول:

روي: أن فاطمة (عليها السلام) أرسلت رسولاً إلى أبي بكر ليطلبه بما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

بالمدينة، وفدك، وما بقي من خمس خبير؛ فقال أبو بكر:

(إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال. وإني -

والله - لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حالها التي كانت في عهد رسول الله)^(٢).

١- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ص ٤٧٥ وكشف الغمة ج ٢ ص ٤٧ وترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٥٨ و ٦٠.

٢- صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٠ وج ٥ ص ٨٢ و ١٥٣ ومسنند أحمد ج ١ ص ٩ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ وج ٧ ص ٦٥ وج ١٠ ص ١٤٣ وج ١٧ ص ٢٥٧ والمنتقى من السنن المسندة ص ٢٧٦ وشرح معاني الآثار ج ٢ ص ٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٦٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ١٩٦ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٥٣ وج ١٤ ص ٥٧٣ والتمهيد لابن عبد البر ج ٨ ص ١٥٢ والإكمال في أسماء الرجال ص ١٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣١٥ وكنز العمال ج ٥ ص ٦٠٤ = وتركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحماد بن زيد البغدادي ص ٨٢ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٢٢ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٧ والعمدة لابن البطريق ص ٣٩٠ و ٣٩١ والطرائف لابن طاووس ص ٢٥٨ و ٢٥٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٢٢ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١١١ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٤١٢ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٧٤٠ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٤٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٥ ص ٥٣٥ وج ٣٣ ص ٣٥٦.

ونقول:

أولاً: ورد في نص آخر: أن أبا بكر قال عن فدك: (إن هذا المال لم يكن للنبي ﷺ)، وإنما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل النبي به الرجال، وينفقه في سبيل الله. فلما توفي رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه..^(١).

فأبو بكر تارة يعترف بأن فدكاً للنبي ﷺ، لكن النبي ﷺ لا يورث، لأنه جعل ما تركه صدقة.

وتارة يقول: ليست هي للنبي من الأساس.. وإنما للمسلمين.

وسواء أكانت فدك للمسلمين، أو كانت صدقة، فالسؤال هو: كيف

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٤ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٢٨ و ٣٩١ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٤ وبيت الأحرار ص ١٥٤ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٦٨ واللمعة البيضاء ص ٧٥٠.

أعطى النبي (ﷺ) مال المسلمين لفاطمة (عليها السلام) أو مال الصدقة لغير أهله وبقيت معها عدة سنوات؟!!

ثانياً: إن فاطمة (عليها السلام) لم تطالب أبا بكر بأكثر مما يلزم به نفسه . ويعمل بضده . وهو: أن يبقي صدقات رسول الله على حالها. وقد كانت فدك . كما يدّعيه أبو بكر . صدقة، فإذا كان (ﷺ) قد أعطاه لفاطمة، فلماذا لم يبقيها بيد فاطمة (عليها السلام)؟! فإنه يقول: إني لا أغير شيئاً مما كان على عهد رسول الله (ﷺ).

ثالثاً: لماذا عاد أبو بكر، وكتب لها كتاباً بفدك، ثم تصدى عمر بن الخطاب لها، فأخذ منها قهراً، ومزقه.. فهل انقلبت الأمور عما هي عليه، وأصبح بالإمكان أن تعطى فدك للزهراء (عليها السلام)؟!!

وبعد اعتراض عمر، وتمزيقه للكتاب لماذا لم يحرك أبو بكر ساكناً، ولو بتوجيه كلمة لوم لعمر، أو أي شيء يدل على عدم رضاه بفعله..

رابعاً: إذا كان رسول الله (ﷺ) قد أعطى فدكاً لفاطمة (عليها السلام) في حياته، وضح لأبي بكر أن يسترجعها منها، فلماذا لم يسترجع أيضاً سائر عطايا رسول الله (ﷺ)؟! فإنه لا فرق بينها في الحكم الذي نسبه أبو بكر لرسول الله (ﷺ).

أبو بكر يقرّ بإرث الأنبياء:

عن أبي الطفيل أنه قال: أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله (ﷺ) أم أهله؟

قال: بل أهله.

قالت: فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!

قال: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن الله أطعم نبيه طعمة، ثم قبضه، وجعله للذي يقوم بعده، فوليت أنا بعده على أن أردّه على المسلمين.

قالت: أنت وما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعلم. وقريب منه ما عن أم هاني^(١).

وعن عائشة: إن أبا بكر أجاب رسول فاطمة (عليها السلام) بروايته عن النبي: (لا نورث، ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال إلخ...)^(٢).

وقد علّق المعتزلي رواية أبي الطفيل بأن قوله: (بل أهله) تصريح بأنه (صلى الله عليه وآله) موروث يرثه أهله. وهو خلاف قوله: (لا نورث).

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٨ و ٢١٩.

٢- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٧ و ٢١٨. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٢١٠ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٣ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٧ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٢٢ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٥٢ وكنز العمال ج ٥ ص ٦٠٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٦٩ والعمدة لابن البطريق ص ٣٩٠ و ٣٩١ والطرائف لابن طاووس ص ٢٥٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٢٢ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١١١.

وبأن قوله: بأن الله أطعم نبياً طعمة: أن ذلك يجري أيضاً على نبي الله (ﷺ) (١).
ونقول:

أولاً: إن التناقض في مواقف أبي بكر ليس بالمستهجن، حيث يبدو أن مطالبات فاطمة (عليها السلام) له قد تكررت، وربما يكون قد فوجئ أحياناً بالسؤال، فجاء جوابه مرتجلاً. فتناقض مع جواب له سابق.

وقد صرح المعتزلي بوقوع عمر أيضاً في مثل هذا الأمر، فقال: (كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه، ويفتي بضده وخلافه) (٢).

ثانياً: إن كلامه حول الطعمة لا يتناقض مع مقولة عدم توريث الأنبياء (عليهم السلام)، فهو قد صرح: بأن فداً لم تكن ملكاً لرسول الله (ﷺ). وحديثه عن الإرث لعله لم يكن عن فداً بالذات..

ثالثاً: إن حديث عائشة لا ينافي حديث أبي الطفيل، ففعل فاطمة (عليها السلام) أرسلت إلى أبي بكر من يطالبه بحقها أكثر من مرة.

رابعاً: ليس لكلمة: (أنت وما سمعت من رسول الله أعلم) معنى يحسن السكوت عليه، إلا على تأويل بعيد عن مساق الكلام، كأن يكون المراد: أنت أعلم. وأنت وما سمعت عن رسول الله (ﷺ). وهذا كلام ركيك. ولا يخفى على المتأمل. أنه مكذوب على لسان فاطمة

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٩.

٢- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٨١.

(عليه السلام).

خامساً: زعم أبو بكر أنه ولي المسلمين بعد رسول الله (ﷺ) على أن يرد الطعمة التي كانت للنبي (ﷺ) على المسلمين.

والسؤال هو:

ألف: من الذي اشترط على أبي بكر هذا الشرط؟! وهو رد الطعمة على المسلمين.

ب: من الذي أخبر أبا بكر بأن هذه طعمة للنبي (ﷺ)؟!.

ج: هل هذه الطعمة كانت مأخوذة من المسلمين لكي ترد عليهم؟!.

د: هل يصح رد الطعمة؟!..

فاطمة (عليها السلام) والعباس يطلبان بإرثهما:

روى الطبري عن أبي صالح الضراري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن

عائشة، قالت:

إن فاطمة والعباس أتيا يطلبان ميراثهما من رسول الله (ﷺ)، وهما حينئذٍ يطلبان أرضه من

فدك، وسهمه من خبير.

فقال لهما أبو بكر: أما إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة.

إنما يأكل آل محمد في هذا المال. وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله (ﷺ) يصنعه إلا صنعته.

قال: فهجرته فاطمة، فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت. فدفنها علي ليلاً.
فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علي.
فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله (ﷺ) ثم توفيت.
قال معمر: فقال رجل للزهري: أفلم يبايعه علي ستة أشهر؟!
قال: لا. ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه علي.
فلما رأى علي (عليه السلام) انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر.
فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا. ولا يأتينا معك أحد. وكره أن يأتيه عمر، لما علم من شدة عمر.
فقال عمر: لا تأثم وحدك.
قال أبو بكر: والله لآتينهم وحدي. وما عسى أن يصنعوا بي؟!
قال: فانطلق أبو بكر، فدخل على علي، وقد جمع بني هاشم عنده، فقام علي فحمد الله،
وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:
أما بعد، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك، ولا نفاسة عليك بخير ساقه
الله إليك، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً، فاستبددتم به علينا.
ثم ذكر قرابته من رسول الله (ﷺ)، وحقهم.. فلم يزل علي يقول ذلك حتى بكى أبو بكر.

فلما صمت علي تشهد أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:
أما بعد، فوالله لقرابة رسول الله أحب إلي من أن أصل من قرابتي، وإني والله ما ألوت في هذه
الأموال التي كانت بيني وبينكم غير الخير. ولكني سمعت رسول الله يقول: (لا نورث، ما تركنا فهو
صدقة)، إنما يأكل آل محمد في هذا المال. وإني أعوذ بالله أن لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلا
صنعته فيه إن شاء الله.

ثم قال علي: موعذك العشية للبيعة.

فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس، ثم عذر علياً ببعض ما اعتذر. ثم قام علي (عليه السلام)
فعظم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته. ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه.
قالت: فأقبل الناس إلى علي، فقالوا: أصبت، وأحسننت.
قالت: فكان الناس قريباً إلى علي حين قارب الحق والمعروف^(١).

١ - راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٤٤٨ والبداية والنهاية ج ٥
ص ٣٠٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٤٦ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ١٧٠
ومجار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٥٣ وج ٢٩ ص ٢٠٣ وكشف الغمة للإربلي ج ٢ ص ١٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤
ص ٥٦٨ واللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص ٧٥٦ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٢٧.

ونقول:

إن هذا النص يعاني من أمور كثيرة نذكر منها ما يلي:

أولاً: إن هذه الرواية تنتهي إلى أناس حاربوا أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقتل بسبب ذلك ألوف من المسلمين، فعائشة هي التي قادت حرب الجمل، وعروة هو ابن الزبير بن العوام أحد القائدين الأساسيين في حرب الجمل^(١). وقد قتل أبوه الزبير وهو فار في تلك الحرب. أما الزهري، فهو معلم أولاد خلفاء بني أمية.. وله مقامات تدعو إلى الريبة فيما يصدر عنه في حق علي وأهل بيته (عليهم السلام)، فراجع ترجمته في كتاب قاموس الرجال وغيره. ثانياً: لماذا يأتي العباس إلى فاطمة للمطالبة بإرث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

١- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٧ . ٢٠٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٤٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٦٧ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٥٣ وج ٢٩ ص ٢٠٢ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ وعمدة القاري ج ٢٣ ص ٢٣٢ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٤٦ وج ١٦ ص ٢١٨ ومسنند أحمد ج ١ ص ٤ و ١٠ وصحيح البخاري ج ٨ ص ٣ وتركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحماد بن زيد البغدادي ص ٨٢ وتاريخ المدينة لابن شبة النميري ج ١ ص ١٩٧ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١٩ ص ٣٤٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٠٦ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١٣ ص ١٥٧.

فإن العم لا يرث مع وجود البنت، بل البنت ترث نصف المال بالفرض، والنصف الباقي بالرد،
 لآية: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١).
 غير أن الحقيقة هي: أن أتباع الخلفاء قد غيروا هذه الفتوى، ليصححوا ما صدر من خليفاتهم
 في حق فاطمة الزهراء (عليها السلام)، لكي يدعوا: أن إرث النبي (صلى الله عليه وآله) لا ينحصر بفاطمة (عليها السلام).
 ثالثاً: ما هذا التناقض الظاهر في الرواية، فإنها تقول: إن علياً (عليه السلام) قال لأبي بكر: موعدك
 العشية للبيعة، ثم تذكر أن البيعة قد تمت بعد صلاة الظهر.
 رابعاً: إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد أعطى فديكاً للزهراء (عليها السلام) نحلة منه لها في حال حياته،
 وقبضتها، ووضعت فيها عمالها، واستثمرتها عدة سنوات إلى أن توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله).
 ثم كان أبو بكر هو الذي أخرج عمال فاطمة الزهراء (عليها السلام) من فديك، واستولى عليها.
 فذلك يعني: أن فديكاً لم تكن في جملة أموال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكي يطالب العباس وفاطمة
 (عليها السلام) بإرثهما منها..
 خامساً: لا بد من التوقف عند رواية أبي بكر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): نحن معاشر الأنبياء لا
 نورث، ما تركنا فهو صدقة. فنقول:

١ - الآية ٧٥ من سورة الأنفال.

إنها تنير الريب في أكثر من اتجاه.. فلاحظ ما يلي:

ألف: هل يريد بقوله: (ما تركنا فهو صدقة). إنشاء التصدق بأمواله، كما يفهم من قوله (فهو صدقة)؟!

فإن كان يريد ذلك، فمعناه: أن ما ترك النبي (ﷺ) قد أصبح ملكاً للفقراء منذ قال (ﷺ) هذه الكلمة، فلماذا لم يسلم أمواله منذ تلك اللحظة إلى الفقراء، بل تركها إلى ما بعد موته؟!
ب: لماذا يتصدى أبو بكر لقبض تلك الأموال، ولا يتركها في يد وصي النبي (ﷺ) ليعطيها لأصحابها؟!

ج: لم لم يذكر النبي (ﷺ) أمر هذه الأموال والصدقات لوصيه، والذي يؤدي أماناته، ويقضي دينه^(١).. وهو علي (عليه السلام).

١- مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٢٩-٣٣٣ و (ط المكتبة الحيدرية . النجف) ج ١ ص ٣٩٦ وكتاب سليم بن قيس وجمار الأنوار ج ٢١ ص ٣٨٠ و ٣٨١ و ٢٨٨ و ٥٥ و ٣٦٦ و ١٠٩ و ٣١١ و ٣٥٥ و ٣٨٨ و ١ و ٧٣ و ١٠٣ و ١١١ و ٣٣٤ و ٣٩٦ و ٣٣ و ٢١٦ و ٧٢ و ٤٤٥ و ٩٩ و ١٠٦ و الخصال ج ٢ ص ٨٤ و الأمالي للصدوق ص ٤٥٠ و عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ج ١ ص ٩٠ و كفاية الأثر ص ٧٦ و ١٣٥ و ٢١٧ و مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ١ ص ٤٣٢ و شرح الأخبار ج ١ ص ١١٣ و ١١٧ و ٢١١ و مائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص ١٤٠ و الأمالي للطوسي ص ٦٠٠ و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٩٦ و ٢٤٧ و ٣ و ١٦ و كتاب الأربعين = = للماحوزي ص ١٩٢ و العمدة لابن البطريق ص ١٨١ و المزار لابن المشهدي ص ٥٧٧ و إقبال الأعمال لابن طاووس ج ١ ص ٥٠٧ و الطرائف ص ١٣٣ و كتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٣ عن المناقب لابن المغازلي الشافعي ص ٢٦١ ج ٣٠٩ و بشارة المصطفى للطبري ص ١٠١ و ٢٥٨ و كشف الغمة ج ١ ص ٣٤١ و فتح الإيمان ص ١٩٦ و ٤٤٠ و فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عقدة الكوفي ص ٢٠٤ و نور الثقلين ج ٣ ص ٦٢٤ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٠٩ و مسند الإمام الرضا (عليه السلام) للعطاردي ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٧ و جامع أحاديث الشيعة ج ٢٣ ص ٢٥٢.
وراجع: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ٢٨ و (ط مكتبة نينوى الحديثة) ص ٤٨ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ١٠٧ ح ٨٣٩٧ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٧ ص ٣١٣ و المراجعات ص ٢٦٣ و الغدير ج ١ ص ٣٨ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٢ ص ١٩٠ و ٣٠ ص ٤٢٨ و ٣١ ص ٣١.

ويسلمه إياها، ويعرفه بما يصنعه بها؟! فإن هذه الأموال قد أصبحت بحكم الأمانة منذ أنشأ النبي (ﷺ) التصدق بها، حسب نقل أبي بكر..

د: إذا كانت فدك قد مُنحت لفاطمة (عليها السلام) منذ سنوات، فهي لم تعد من أموال النبي (ﷺ). حتى ينطبق عليها قوله (ﷺ): (ما تركنا)، بل هي من أموال شخص آخر..

ه: إذا كانت هناك آيات تتحدث عن إرث الأنبياء (عليهم السلام)،

والنبي (ﷺ) هو الذي أبلغها للناس، فلماذا لا يحل الإشكال الذي سوف ينشأ من ذلك، ويبين أنها على غير وجهها.. لكي لا يستدل أحد بها، كما ظهر من خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) في المهاجرين والأنصار؟!!

سادساً: لماذا لم تصدق فاطمة (عليها السلام) أبا بكر فيما نقله عن النبي (ﷺ)؟! فإن كان السبب هو طمعها بالمال، فذلك مما نجل عنه سيدة نساء العالمين، فإن من تكون كذلك، لا يمكن أن يكون لها هذا المقام عند الله وعند رسوله..

وإن كان هو وقوعها في الإشتباه في فهم الآيات القرآنية. وعدم اقتناعها بحجة أبي بكر، فيرد على ذلك: أنه قد كان بإمكانها سؤال أعلم الأمة بالقرآن وهو زوجها وأقرب الناس إليها.. كما أن ذلك يجعل قول النبي (ﷺ): إن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها في غير محله، فإن من يخطئ، ويجهل بالأحكام لا بد أن يجرى عليه الحق، حتى لو غضب. ولا يغضب الله لغضب المخطئ في فهم الحكم الشرعي.. أو الجاهل به.

وإن كان السبب هو علمها بعدم صحة كلام أبي بكر، فهو يعد إدانة له.. وذلك يسقطه عن الصلاحية للمقام الذي تصدى له.. لا سيما بعد أن نبهته الزهراء (عليها السلام)، ولم يتراجع.. سابعاً: بالنسبة لانصراف وجوه الناس عن علي (عليه السلام) بعد استشهاد فاطمة (عليها السلام) نقول:

لماذا هذه الإيحاءات المسمومة الرامية إلى إبراز ثقل ظل أمير المؤمنين (عليه السلام) على الناس. وكراحتهم لمحضره؟!

أليس هذا يشي بالنقص في إيمان هؤلاء الناس، ويشير إلى فشلهم في الإلتزام بأوامر الله ونواهييه. وعدم اكتراثهم بتوجيهات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يرتبط بتعاملهم مع وصيه علي (عليه السلام)؟!
ثامناً: إن حديث عدم بيعة علي (عليه السلام) لأبي بكر ستة أشهر يقابله الرواية التي رواها الطبري نفسه قبلها، وإن كانت هي الأخرى لا نشك ببطلانها من أنه (عليه السلام) كان في بيته، فقيل له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عجللاً، كراهية أن يبطئ عنها حتى بايعه.

ثم جلس إليه، وبعث إلى ثوبه، فأتاه، فصار يتجلله، ولزم مجلسه^(١).
وقبل ذلك ذكر أيضاً رواية أخرى تقول: إن عمرو بن حريث سأل سعيد بن زيد: فهل قعد أحد من المهاجرين (أي عن البيعة)؟!
قال: لا، تتابع المهاجرون على بيعته، من غير أن يدعوهم^(٢).

١- تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٤٤٧ وقاموس الرجال للتستري ج ٩ ص ١٥٤ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥.
٢- راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٠٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٤٤٧.

تاسعاً: ما معنى هذا الإجتماع السري بين علي (عليه السلام) وبين أبي بكر؟! ولماذا يخاف علي (عليه السلام) من حضور عمر، ومن شدته؟!!

أليس هو علي (عليه السلام) قالع باب خيبر، وقاتل الذين هزموا عمر وفضحوه في ساحات الحرب؟!!

فإن كان المقصود بهذا الإجتماع هو بذل علي (عليه السلام) بيعته لأبي بكر، فإن عمر سيكون مسروراً بهذا الأمر، ولن يعارض فيه.

عاشراً: إذا كان انصراف الناس عنه بعد استشهاد الزهراء (عليها السلام) دعاه إلى الضراعة والمبادرة إلى البيعة بالتماس مباشر منه (عليه السلام).. فلماذا لم يضرع؟! ولم يبايع، ولم يلتمس ذلك من أبي بكر في اليوم الأول لبيعة أبي بكر؟! فإن انصراف الناس عنه آنئذ كان أشد، بل هم قد هاجموا في بيته، وضربوا زوجته، وأسقطوا جنينها، وأخرجوه إلى مجلس البيعة لأبي بكر قهراً وجبراً. مع أنه كان وحيداً في موقفه ذلك، وكان سائر أعوانه ومحبيه، ومن هم على طريقته ونهجه غائبين عنه يواجهون الظلم والقهر من الجماعات التي كانت تبحث عنهم، وتستخرجهم من بيوتهم، وتأتي بهم إلى البيعة مسحوبين مهانين.

ولست أدري كيف يكون إقبالهم على علي (عليه السلام) إكراماً لفاطمة (عليها السلام)، في حين أن أحداً منهم لم ينصرها، رغم طلبها ذلك منهم، وكيف رضوا بضررها وإسقاط جنينها، وهتك حرمة بيتها، وقصده بالإحراق.

حادي عشر: ما معنى: أن يعتبر علي (عليه السلام) البيعة لأبي بكر

خيراً ساقه الله إلى أبي بكر؟! فهل هو يرى الخلافة بقرة حلوباً؟! أم أنه يراها مسؤولية وواجباً لا بد من القيام به على أتم وجه، وأصح طريقة؟! ووفق الأوامر الإلهية والنصوص النبوية؟!
ثاني عشر: ما معنى قول علي (عليه السلام) لأبي بكر: كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم به علينا؟! فهل الأمر كان مجرد رأي كان لهم؟! أم أنه توجيه إلهي، ومنصب رباني جعله الله تعالى لهم وفيهم؟! وواقعة الغدير أوضح شاهد على ذلك..

ثالث عشر: هل صحيح أن علياً كان مجانباً للحق وللمعروف أولاً، ثم صار مقارباً لهما بعد ستة أشهر؟!!

ولماذا تغافل أبو بكر عن آية التطهير الدالة على عصمة علي (عليه السلام)، فأجاز لنفسه أن يصف علياً (عليه السلام): بأنه كان مجانباً للحق طيلة ستة أشهر، ثم صار له مقارباً؟!
العباس وفاطمة (عليه السلام) يطلبان ميراثهما (نص آخر):

وئوي عن عائشة قالت: (إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)). وهما حينئذٍ يطلبان أرضه بفدك، وسهمه بخيبر.

فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (لا نورث، ما تركنا صدقة)، إنما يأكل آل محمد (صلى الله عليه وسلم) من هذا المال. والله إني لا أغير أمراً رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصنعه إلا صنعته.

قال: فهجرته فاطمة حتى ماتت^(١).

ونقول:

أولاً: يظهر من ملاحظة مجموع الروايات: أن المطالبة بفدك وغيرها قد تكررت بأشكال مختلفة، فكانت الزهراء (عليها السلام) ترسل إلى أبي بكر رسولاً يطالبه، وأخرى تذهب وحدها، وثالثة تذهب مع علي وأم أيمن..

وتقول رواية رابعة: إنها ذهبت مع العباس. واستمرت هذه المطالبات من قبل علي (عليه السلام) وأبنائه علي مدى عقود من الزمن..

ثانياً: في هذه الرواية إشكال ظاهر، فإن العباس - وهو العم - لا يرث مع وجود الزهراء (عليها السلام)، وهي البنت - في فقه أهل البيت (عليهم السلام)، بل التركة بعد إخراج ثمن الزوجات تكون كلها للبنت، نصفها بالفرض، ونصفها بالرد.

بل إن من الفتاوى المعروفة لدى مذاهب إسلامية أخرى - غير مذهب أهل البيت (عليهم السلام) - هو: أن ابن العم إذا كان من الأب والأم أولى بالإرث من العم إذا كان من جانب الأب فقط^(٢)، كما هو الحال بالنسبة

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٨ واللمعة البيضاء ص ٧٥٥ وراجع المصادر المتقدمة.
٢ - البداية والنهاية ج ٦ ص ٩ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٧ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٧٠ و ج ١٠١ ص ٣٩٤ وإحقاق الحق (الأصل) للتستري ص ٢٢٦ والمقنعة للشيخ المفيد ص ٦٩٢ وراجع: الخلاف للشيخ الطوسي ج ٤ ص ٢٠ والمراسم = العلوية لسلاار ص ٢٢٥ والمهذب لابن البراج ج ٢ ص ١٤٥ والنهاية للطوسي ص ٦٥٣ وشرائع الإسلام للمحقق الحلبي ج ٤ ص ٨٣١ وقواعد الأحكام للعلامة الحلبي ج ٣ ص ٣٧٠ ومختلف الشيعة ج ٩ ص ٢٤ وإيضاح الفوائد ج ٤ ص ٢٢٧ ومسالك الأفهام ج ١٣ ص ١٥٨ وكشف الثام (ط.ق) ج ٢ ص ٢٩٧ و (ط.ج) ج ٩ ص ٤٤٦ والقواعد والفوائد ج ٢ ص ٢٩١ وفقه الرضا ص ٢٨٩ ونضد القواعد الفقهية للمقداد السيوري ص ٤٥٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٢٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٢٥ والإحتجاج.

للعباس (عليه السلام)، وعلي (عليه السلام).

ويدل على ذلك: ما ورد في رواية ابن كيسان قال: فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس، فغلبه عليها علي (عليه السلام)، وأما خبير وفدك فأمسكهما عمر.
وقال: هما صدقة رسول الله، كانت لحقوقه الخ...^(١).

١ - صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٤٢ ومسنند أحمد ج ١ ص ٦ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٥ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٠١ وعمدة القاري ج ١٥ ص ١٩ وكنز العمال ج ٧ ص ٢٤٢ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٤٠٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج ٢ ص ١٠٠ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٢٠٧ وكشف الغمّة ج ٢ ص ١٠٢ ومناقب آل أبي طالب (عليه السلام) ج ١ ص ١٢٩ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٠٢ واللمعة البيضاء ص ٧٥٥ وسفينة النجاة للتكايفي ص ١٢٦.

فإن غلبة علي (عليه السلام) إنما هي من أجل صلته بالرسول عن طريق فاطمة وابنيها (عليهم السلام). ولم يغلبه عليها بالعنف والقهر..

وهذا معناه: أن العباس لم يغلبه بالعمومة..

فإن صح هذا كان دليلاً على صحة ما يذهب إليه الإمامية من توريث بنت دون العم. وقد دلت هذه الرواية أيضاً على أن عمر قد فرق بين فدك وخيبر، وبين صدقته بالمدينة، مع أن الحكم واحد في الجميع، فهلا منعهما عن الجميع، أو أعطاهما الجميع؟! ثالثاً: ذكرنا في موضع آخر: أن قوله: ما تركناه صدقة. حتى لو صح. لا يدل على مطلوب أبي بكر، لأسباب مختلفة، فراجع. شهادتان متعارضتان:

وفي نص آخر: أنه لما شهد علي (عليه السلام) وأم أيمن على أن النبي (صلى الله عليه وآله) وهب فدكاً لفاطمة (عليها السلام):

(جاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمان بن عوف، فشهدا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقسمها. قال أبو بكر: صدقت يا ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله). وصدق علي (عليه السلام)، وصدقت أم أيمن، وصدق عمر، وصدق عبد الرحمن بن عوف. وذلك أن ما لك لأبيك. كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله. فما تصنعين بها؟!

قالت: أصنع بما كما يصنع فيها أبي .

قال: فلك علي الله أن أصنع فيها كما يصنع فيها أبوك .

ثم ذكرت الرواية: أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً (عليه السلام)، كانوا يصنعون بما كما كان يصنع فيها رسول الله .

فلما ولي معاوية أقطع مروان ثلثها، وعمر بن عثمان ثلثها، وولده يزيد ثلثها، وذلك بعد موت الحسن (عليه السلام) (١) .

ونقول:

أولاً: إنها (عليه السلام) قد طلبت فداً من أبي بكر، استناداً إلى أن أباه قد وهبها إياها.. فما معنى قول أبي بكر: إن فداً لم تكن لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟!
ثم ما معنى قوله لها: صدقت يا ابنة رسول الله .

فإن صدقتها يقتضي: أن فداً كانت ملكاً للنبي (صلى الله عليه وسلم)، ولذلك صح أن يهبها لابنته، ومقتضى أن رسول الله كان يقسمها، ويحمل منها في سبيل الله، كونها ليست لرسول الله، وإنما هي من أموال المسلمين (٢) . ولا يجوز للنبي (صلى الله عليه وسلم) . كما في رواية أخرى . أن

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٦ . وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٦ والغدير ج ٧ ص ١٩٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٣ واللمعة البيضاء ص ٧٥٠ و ٨٤٣ .

٢ - راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٤ . وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٢٨ = = ج ٢٩ ص ٣٩٢ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٤ وبيت الأحرار ص ١٥٤ واللمعة البيضاء ص ٧٥٠ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٦٨ .

يملك ابنته أموال المسلمين.

ثانياً: إذا كانت فاطمة (عليها السلام) وأم أيمن وعلي (عليهما السلام) صادقين بادعائهم أن النبي (صلى الله عليه وآله) وهب فاطمة فداً.. فكيف يجتمع ذلك مع صدق عمر وعبد الرحمن، اللذين قالوا: إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقسم فداً بين المسلمين، ويحمل منها في سبيل الله؟! فإن هذا يناقض كونها هبة لها، وصيرورتها ملكاً لها بالهبة.

إلا إذا كان المراد: أنه كان يعطي المسلمين من فداك برضى فاطمة (عليها السلام) وبإذنها. وهذا يؤكد ملكيتها لها، وعدم جواز الاستيلاء عليها.

ثالثاً: قول أبي بكر لها: (وذلك أن مالك لأبيك) لا معنى له أيضاً؛ لأن تصرف الأب في مال ولده، إنما هو لدالته عليه، ولكن ذلك لا يخرج المال عن ملك الولد. ولا يوجب صحة تصرف أي كان من الناس النبي بمال ذلك الولد، كتصرف النبي نفسه، إلا إن كان الإمام المنصوص عليه من الله ورسوله، فإنه له ما للرسول.

رابعاً: ما ذكرته الرواية: من أن عثمان كان يصنع بفداك نفس ما كان يصنعه أبو بكر غير صحيح، فإنه أقطعها مروان، قال المغيرة:

(فلما ولي عمر عمل فيها بمثل ما عملاً، حتى مضى لسبيله. ثم أقطعها

مروان، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز ..)

إلى أن قال: قال الشيخ إنما أقطع مروان فدياً أيام عثمان^(١).

كما أن قتيبة، وأبا الغيداء، وابن عبد ربه قد عدواً مما نقمه الناس على عثمان إقطاعه فدياً

لمروان^(٢).

وقال ابن أبي الحديد أيضاً عن عثمان: (وأقطع مروان فدياً). وقد كانت فاطمة (عليها السلام) طلبتها

بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وسلم) تارة بالميراث، وتارة بالنحلة، فدفعت عنها^(٣).

إقطاع عثمان فدياً لماذا؟!:

قال الأميني ما ملخصه: إن كانت فدياً للمسلمين، كما ادعاه أبو بكر، فما وجه

تخصيصها بمروان دون سائر المسلمين؟!:

١- راجع: سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠١ والغدير ج ٨ ص ٢٣٧ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٥

ص ١٧٩ وتهذيب الكمال ج ٢١ ص ٤٤٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٧ ص ١٩٦.

٢- المعارف ص ١٩٤ و ١٩٥ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٨ والعقد الفريد ج ٤ ص ١٠٣ والغدير ج ٨ ص ٢٣٦ و

٢٣٧ عنهم. ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٤.

٣- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩ والغدير ج ٨ ص ٢٣٧ و ٢٣٨. ومناقب أهل البيت

(عليها السلام) للشيرازي ص ٣٦٠ والنص والاجتهاد ص ٤٠١ والإمام علي بن أبي طالب (عليها السلام) للهمداني ص ٦٧٣.

وإن كانت ميراثاً لآل الرسول، فلماذا منعت عنها الزهراء (عليها السلام)؟!
ولماذا تعطى لغيرهم؟! فإن مروان ليس منهم..
وإن كانت نحلة من النبي (صلى الله عليه وآله) لابنته الزهراء (عليها السلام) كما قالت، وشهد به لها علي،
والحسنان (عليهما السلام) وأم أيمن. فلماذا يأخذها أيضاً مروان دونها (عليها السلام)، وأية سلطة لعثمان عليها؟

الفصل الرابع: أموال بني النضير بين علي (عليه السلام) والعباس في عهد عمر

فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين، فاقض بينهما وأرحهما.

(فقال مالك بن أوس: يخيل إلي: أنهم قد كانوا قدموهم لذلك).

فقال عمر: اتّعدا، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون أن رسول الله

(ﷺ) قال: لا نورث، ما تركناه صدقة؟!!

قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس، وعلي، فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء

والأرض، أتعلمون أن رسول الله (ﷺ) قال: لا نورث، ما تركناه صدقة؟!!

قالا: نعم.

فقال عمر: إن الله جل وعز كان خص رسوله (ﷺ) بخاصة لم يخص بها أحداً غيره، قال:

(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ..)^(١) (ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم

لا)، قال: فقسم رسول الله (ﷺ) بينكم أموال بني النضير فوالله، ما استأثر عليكم، ولا أخذها

دونكم، حتى بقي هذا المال؛ فكان رسول الله (ﷺ) يأخذ منه نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي أسوة

المال.

ثم قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمون ذلك؟

قالوا: نعم.

١ - الآية ٧ من سورة الحشر.

ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك؟
قالا: نعم.

قال: فلما توفي رسول الله (ﷺ) قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله (ﷺ)، فجتتما أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله (ﷺ): ما نورث ما تركنا صدقة؛ فأريتماه كاذباً آثماً، غادراً، خائناً. والله يعلم: إنه لصادق بار، راشد، تابع للحق.

ثم توفي أبو بكر، وأنا ولي رسول الله (ﷺ) وولي أبي بكر، فأريتماني كاذباً، آثماً، غادراً، خائناً. والله يعلم: إني لصادق بار، راشد، تابع للحق، فوليتها، ثم جئتني أنت وهذا، وأنتما جميع، وأمركما واحد، فقلتما: ادفعها إلينا.

فقلت: إن شئتم دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله: أن تعملوا فيها بالذي كان يعمل رسول الله (ﷺ)، فأخذتماها بذلك.

قال: أكذلك؟!

قالا: نعم.

قال: ثم جئتmani لأقضي بينكما؛ فوالله، لا أقضي بينكما بغير ذلك، حتى تقوم الساعة؛ فإن عجزتما عنها؛ فرداها إلي^(١).

١- صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٥١. ١٥٣. وشرح فتح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢١. ٢٢٣. وراجع ٢٢٩. وراجع: جامع البيان ج ٢٨ ص ٢٦ = ٢٧ و تاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٢٠٢. ٢٠٤. وراجع ص ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٨ و ٢٠٩ والصواعق المحرقة ص ٣٥ و ٣٦ وصحيح البخاري ج ٣ ص ١١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٦٤. ٦٦. ومسنند أبي يعلى ج ١ ص ١٣ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٧ ص ٢٣٩. ٢٤١. وراجع: ج ٢ ص ١٢١ ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٦. ٩٩٨. والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٦٩. ٤٧١. وسنن أبي داود ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤٠ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٢٠. ٢٢. وراجع ص ١٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٣. ٢٠٥ و ٢٨٧ و ٢٨٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٦ وعمدة القاري ج ٤ ص ١٨٥ ومسنند أبي عوانة ج ٤ ص ١٣٦. ١٤٠ و ١٣٢ و ١٣٤ والجامع الصحيح للترمذي ج ٤ ص ١٥٨. والأموال ص ١٧ و ١٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٣٥ و ٣٣٦ ولباب التأويل ج ٤ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٩٧ ومسنند أحمد ج ١ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٦٠ وأشار إلى ذلك في الصفحات التالية: ٢٥ و ٤٨ و ٤٩ و ١٦٢ و ١٦٤ و ١٧٩ و ١٩١ وعن عبد بن حميد، وابن حبان، وابن مردويه والدر المنثور ج ٦ ص ١٩٣ عن تقدم وراجع: تلخيص الشافعي ج ٣ ص ١٣٨ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٤٠٣.

زاد في نص آخر قوله: فغلب علي عباساً عليها، منعه إياها، فكانت بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم كانت بيد الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن.

زاد في نص آخر: ثم عبد الله بن الحسن بن الحسن^(١).

قال ابن كثير: (ثم إن علياً والعباس استمرا على ما كانا عليه، ينظران فيها جميعاً إلى زمان عثمان بن عفان؛ فغلبه عليها علي، وتركها له العباس؛ بإشارة ابنه عبد الله (رض) بين يدي عثمان. كما رواه أحمد في مسنده. فاستمرت في أيدي العلويين)^(٢).

ذكر المجلسي (رحمته الله): أنه حين تنازع علي (عليه السلام) والعباس

١- راجع: شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٩ وراجع ص ٢٢١ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧١ والوافي بالوفيات ج ١١ ص ٣١٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٩٨ والطرائف لابن طاووس ص ٢٨٣ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥٧٧ وراجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٥ ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٨ والصواعق المحرقة ص ٣٦ وصحيح البخاري ج ٣ ص ١١ و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٢٥.

وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص ١١١ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٩ وراجع ص ٢٠٧ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و ج ٥ ص ٢٨٨ وفتح الباري ج ٦ ص ١٤٥ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٤٠٢ وعمدة القاري ج ١٥ ص ٢١ و ج ١٧ ص ١٣٠ و ١٣١ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ١٢٠ والدرجات الرفيعة ص ٩٤ واللمعة البيضاء ص ٧٦٦.

٢- السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٧٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٨٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٣٠٩.

لدى عمر، فيما أفاء الله على رسوله، وفي سهمه من خير وغيره، دفعها إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو دفعها إلى علي (عليه السلام) وإلى العباس وقال: اقتصلا^(١) أنتما فيما بينكما، فأنتما أعرف بشأنكما^(٢).

كما أنه قد دفع صدقة النبي (ﷺ) بالمدينة إلى علي (عليه السلام)^(٣).

ونقول:

في هذه الرواية مؤاخذات عديدة، وقد ذكرناها بالتفصيل في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)، ونقتصر هنا على ما يلي:

- ١- قصله: قطعه. راجع: القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٧ وتاج العروس ج ١٥ ص ٦١٨ ومعجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٩٣.
- ٢- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٧١ وأشار محققه في هامشه إلى المصادر التالية: صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٧٧ - ١٣٧٩ و سنن النسائي ج ٧ ص ١٣٦ و ١٣٧ و سنن أبي داود ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٩٦ - ٩٨ و ج ٧ ص ٨١ - ٨٣. وراجع: الغدير ج ٧ ص ١٩٤ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٢٤ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٩.
- ٣- صحيح مسلم (ط دار الحديث . مصر . سنة ١٤١٢ هـ) ج ٣ ص ٣٨٢ وراجع: الوافي بالوفيات للصفدي ج ١١ ص ٣١٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥ وفتح الباري ج ٦ ص ١٤٠.

الآثم الغادر:

ذكرت الرواية وصف العباس لعلي (عليه السلام) بالآثم الغادر، وهذا ما لا يتصور صدوره من العباس، وذلك:

أولاً: لأنه يعلم أن الله جعل علياً (عليه السلام) نفس النبي (صلى الله عليه وآله) في آية المباهلة، وشهدت له آية التطهير بالطهارة، إلى آيات عديدة وروايات كثيرة يعرفها كل أحد..

ثانياً: إن وصف علي (عليه السلام) بالآثم الغادر الخائن يعد من السب، وهو يعلم أن من سب علياً فقد سب الله ورسوله^(١).

١- ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص ٥٢ و ٤٨ و ٢٨٢ و ١٨٧ و ٢٤٧ و ٢٤٦ و (ط دار الأسوة) ج ١ ص ١٥٢ و ج ٢ ص ١٠٢ و ١٥٦ و ٢٧٤ و ٢٧٨ و ٣٩٥ والكواكب الدرية ج ١ ص ٣٩ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ٢٤ و (ط مكتبة نينوى الحديثة - طهران) ص ٩٩ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٢١ والمناقب للخوارزمي (ط تبريز) ص ٨٩ و ٨١ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٦ و ذخائر العقبى ص ٦٦ والبدایة والنهاية ج ٧ ص ٣٥٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٣٩١ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٣٣ وتاريخ الخلفاء ص ٦٧ و جزء الحميري ص ٢٨ والجامع الصغير ج ٢ ص ٥٢٥ و (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٦٠٨ والصواعق المحرقة ص ١٧٤ وأخبار الدول ص ١٠٢ والبيان والتعريف ج ٢ ص ٢١٨ ونظم درر السمطين ص ١٠٥ ومسند أحمد ج ٦ ص ٣٢٣ ومنتخب = = كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٣٠ ونور الأبصار ص ١٠١ والأملاني لابن الشجري ج ١ ص ١٣٦ وفردوس الأخيار ج ٤ ص ١٨٩ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي ص ٣٩٤ وترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ دمشق ج ٢ ص ١٨٤ و ج ٣ ص ٢٦١ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٧٤ و كنز العمال (ط الهند) ج ١٢ ص ٢٠٢ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٥٧٣ و ٦٠٢ وتفسير فرات ص ١٣٨ وفهرست منتجب الدين ص ٣٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٤ ص ١٣٢ و ج ٣٠ ص ١٧٩ و ج ٤٢ ص ٢٦٦ و ٥٣٣ ومناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن مردويه ص ٨١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٤ والأملاني للصدوق ص ١٥٧ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٧٢ ومصباح البلاغة (مستدرک نصح البلاغة) ج ٣ ص ٢٢٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ٢ ص ٥٩٨ و شرح الأخبار ج ١ ص ١٥٥ و ١٥٦ و ١٦٧ و ١٧١ والأملاني للطوسي ص ٨٥ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٠٥ و ٤٢٠ والأربعون حديثاً لابن بابويه ص ٩٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢١ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص ٢٩ والفضائل لابن شاذان ص ٩٦ والعقد النضيد ص ١٨١ والصراف المستقيم ج ٣ ص ٨٥ وعوالي اللآلي ج ٤ ص ٨٧ و كتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٤ و ج ٢٧ ص ٢٢٧ و ج ٣١ ص ٣٣٩ و ج ٣٩ ص ٣١١ و ٣١٢ و ج ٤٠ ص ٧٧ و ج ٤٤ ص ٩١ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ١٦٥ والمراجعات ص ٢٤٥ و ٣٨٣ والنص والإجتهاد ص ٤٩٩ و ٥٠٠ والغدير ج ٢ ص ٣٠٠ = = و ج ٧ ص ١٩٤ و ج ٨ ص ١٦٤ و ٢٦٥ و ج ١٠ ص ٢١٣ و ٢٧٩ و ٣٧١ وتنبية الغافلین ص ١٤١ و ١٨٠ وبشارة المصطفى ص ٣١٣ وترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر ص ٦٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٦٥ و ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٥٠ و ٢٩٤ والنصائح الكافية ص ٩٣.

ثالثاً: في رواية البخاري: أن العباس وعلياً (عليهما السلام) استبأ^(١)، مع العلم بأن سباب المسلم فسوق،
وقتاله كفر^(٢)، فهل فسق علي والعباس؟!

-
- ١- صحيح البخاري ج ٣ ص ١١ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ١٤٦ وفتح الباري ج ٦ ص ١٤٣ وعمدة القاري ج ٢٥ ص ٤١.
- ٢- راجع: نيل الأوطار ج ١ ص ٣٧٥ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٣٠١ و ج ٣ ص ٢٦٥ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٨٥ و ٤١١ و ٤٥٤ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٧ و ج ٧ ص ٨٤ و ج ٨ ص ٩١ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ١ ص ٥٨ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٧ و ج ٢ ص ١٢٩٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٢ ص ٢٨١ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٥٩٨ ومستدرک الوسائل ج ١٨ ص ٢١٥ والألمالي للطوسي ص ٥٣٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٦١٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١ ص ٣٨٦ و ج ٣ ص ٣٢٩ وبحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٤٦ و ج ٧٢ ص ١٦٥ و ج ٧٤ ص ٨٩ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٣٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٣٢٤ و ج ٢٣ ص ١٤٥ و ج ٢٦ ص ١٠٤ والمعجم الأوسط ج ١ ص ٢٢٣ = و ج ٤ ص ٤٤ و ج ٦ ص ٣٧ والمعجم الكبير ج ١ ص ١٤٥ و ج ١٠ ص ١٠٥ و ١٥٧ و ١٥٩ و ١٧٨ و ج ١٧ ص ٣٩ وكتاب الدعاء للطبراني ص ٥٦٦ و ٥٦٧ وصحيح ابن حبان ج ١٣ ص ٢٦٦ وسنن الترمذي ج ٣ ص ٢٣٨ و ج ٤ ص ١٣١ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٢١ و ١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٢٠ وشرح مسلم للنووي ج ٢ ص ٥٣ و ج ١٦ ص ١٤١ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ١٧٢ و ج ٧ ص ٣٠٠ و ج ٨ ص ٧٣ وفتح الباري ج ١١ ص ٤٤٨ و ج ١٣ ص ٢٢ وعمدة القاري ج ١ ص ٢٧٧ و ٢٧٩ و ج ٩ ص ١٩٠ و ج ٢٢ ص ١٢٣ و ج ٢٤ ص ١٨٨ والديباج على مسلم ج ١ ص ٨٤ ومسند الحميدي ج ١ ص ٥٨ ومسند ابن راهويه ج ١ ص ٣٧٩ والأدب المفرد للبخاري ص ٩٧ وكتاب الصمت وآداب اللسان ص ٢٧٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٤٠٨.

مناشدة عمر لمن عنده:

وتذكر الرواية: أن عمر ناشد الحاضرين عنده، وفيهم عثمان، فشهدوا بأن النبي (ﷺ) قال:

لا نورث..

ونقول:

أولاً: روى البخاري عن عائشة: أنها كانت ترد أزواج النبي (ﷺ) حين أرسلن عثمان إلى أبي

بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله (ﷺ)..

فلو كان عثمان يعلم بأن رسول الله (ﷺ) لا يورث لم

يرض بأن يكون رسولاً للأزواج لمطالبة أبي بكر بالميراث.
ثانياً: إنهم يقولون: إن أبا بكر تفرد بحديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وقد استدل الفقهاء
بذلك على صحة الإحتجاج برواية الصحابي الواحد^(١).

فلو أن عثمان، وعبد الرحمان بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير كانوا قد سمعوا من رسول
الله (ﷺ) قوله: لا نورث ما تركناه صدقة.. لم يكن أبو بكر متفرداً بهذا الحديث.. أما علمهم
بهذا الحديث فلعل مستنده نقل أبي بكر نفسه لهم، وهذا لا ينفع عمر في رد العباس وعلي
(عليه السلام) لانهما ينكران على أبي بكر روايته هذه.

إتهام العباس وعلي بتعمد الباطل:

ألف: وقد صرحت الرواية أيضاً: بأن علياً والعباس قد أقرأ لعمر في تلك اللحظة بأتهما يعلمان
بأن النبي (ﷺ) قال: لا نورث، ما تركناه صدقة..
فيرد هنا سؤال: إن كانا يعلمان أن النبي (ﷺ) لا يورث، فكيف جاءا يطلبان ميراثه
(ﷺ)؟!، فإن هذا من الإحتيال

١- شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٧ وراجع ص ٢٤٥ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٧١ واللمعة البيضاء ص ٧٦٥
و ٨٢١ وسفينة النجاة للتنكابني ص ١٦٣ والدرجات الرفيعة ص ٩٣.

والكذب الفظيع، الدال على قلة الدين، والسعي لأكل المال بالباطل.. وهذا اتهام خطير لهما وهو يتناقض مع حكم القرآن بطهارة علي (عليه السلام)..

ب: إذا كان عمر قد تابع أبا بكر في ادعاء أن الأنبياء لا يورثون، وهما يريان: أن أبا بكر كاذب آثم غادر. كما تقول الرواية. فكيف شهدا الآن بأنهما يعلمان بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لا نورث ما تركناه صدقة)؟!!

قسمة الإرث، أم قسمة النظر؟!:

وزعموا: أن اختلاف علي (عليه السلام) والعباس في قسمة الإرث غير متصورة، لأن لعلي سهم امرأته، ولالعباس سهمه، إن كان الأنبياء يورثون، وإن كانوا لا يورثون وقد حسم الأمر أبو بكر، فلماذا يختلف علي والعباس؟! فلا بد أن يكون الإختلاف هو في قسمة النظر بينهما^(١).

ونجيب:

ألف: إن الكلام إنما هو في قسمة الإرث والمال، ولأجل ذلك استشهد عمر. كما صرحت الرواية. عثمان وابن عوف، وسعداً والزبير على ما ادعاه من أن الأنبياء لا يورثون. ولو كان الخلاف في قسمة النظر لم يكن عمر بحاجة إلى المناشدة المذكورة.

١- راجع: نيل الأوطار ج ٦ ص ١٩٧ عن إسماعيل القاضي برواية الدارقطني عنه، وعن سنن أبي داود وغيره. وراجع: فتح الباري ج ٦ ص ١٤٥ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ١٩٤ وعون المعبود ج ٨ ص ١٣١.

ب: لا دليل على أن الخصومة بينهما كانت في قسمة النظر، فإن ذلك مجرد تبرع بلا دليل.
ج: قول الهيثمي: إن الميراث واضح، فإن لعلي سهماً بسبب زوجته، والسهم الآخر للعباس. لا معنى له، لأن العم لا يرث مع وجود البنت، لبطلان التعصيب، الذي نظن أنهم قالوا به لأجل تصحيح موقف أبي بكر هنا من إرث فاطمة (عليها السلام).

فلعل العباس ظن أن له نصيباً في الميراث، فجاء يطالب به..

أو لعلهما أرادا: أن يعرفا عمر بن الخطاب بأن حقهما في ميراث النبي (صلى الله عليه وسلم) ثابت..
أو أرادا أن يعرفا الناس بأن عدم ارجاع فدك إنما هو لإصرار الحكام على حرمانهم منها لا لأجل عدم ثبوت هذا الحق لهم، لأن هذا الحق ثابت لهم بنص القرآن الكريم.. وهذا هو الأقرب والأصوب.

د: قال الشوكاني: لكن في رواية النسائي، وعمر بن شبة، من طريق أبي البختري ما يدل على أنهما أرادا أن يقسم بينهما على سبيل الميراث، ولفظه في آخره: ثم جئتماني الآن تحتصمان، يقول هذا: أريد نصيبي من ابن أخي، ويقول هذا: أريد نصيبي من امرأتي الخ..^(١).

١- نيل الأوطار ج ٦ ص ١٩٨ وفتح الباري ج ٦ ص ١٤٥ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ١٩٤ وراجع: تاريخ المدينة ج ١ ص ٢٠٦ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٧٠ والسقيفة وفدك ص ١١٤ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣٠٧ واللمعة البيضاء ص ٧٦٤.

مانعة خلو:

هذا.. وقد ذكر العلامة الحلبي (رحمته الله) (١): أن عمر بن الخطاب أخبر أن علياً (عليه السلام) والعباس (عليه السلام) كانا يريان أبا بكر وعمر، كاذبين، آثمين، خائنين، غادرين. فان كان ذلك حقاً، فهما لا يصلحان للخلافة..

وإن كان كذباً، لزمه تطرق الدم إلى علي (عليه السلام) والعباس، فكيف استصلحوا علياً للخلافة بعد ذلك؟! كما أن عمر نفسه قد جعله في الشورى.. مع أن الله تعالى قد نزهه من الكذب وطهره..

وإن كان عمر قد نسب إلى العباس (عليه السلام) وعلي (عليه السلام) ما لا أصل له، تطرق الدم إلى عمر نفسه، لأنه ينسب إليهما الباطل. ولم نجد علياً اعترض على عمر في ذلك، ولا وجدنا أحداً من الحاضرين برأ ساحة أبي بكر من هذا الأمر..

بل إن نفس عودة العباس وعلي (عليه السلام) إلى الترافع في هذه القضية مع سبق حكم أبي بكر فيها يدل على أنهما لم يصدقاها فيما نسبه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من نفي إرث الأنبياء.

المعتزلي وحديث الترافع إلى عمر:

وقد علق المعتزلي على حديث: أن العباس وعلياً (عليه السلام)، قد

١- راجع: دلائل الصدق ج ٣ ق ١ ص ٣٣.

ترافعا إلى عمر في موضوع الميراث^(١) ..

بقوله:

(هذا من المشكلات، لأن أبا بكر حسم المادة أولاً، وقرر عند العباس وعلي، وغيرهما: أن النبي لا يورث، وكان عمر من المساعدين له على ذلك. فكيف يعود العباس وعلي بعد وفاة أبي بكر يحاولان أمراً قد فرغ منه، ويئس من حصوله؟!)

اللهم إلا أن يكونا ظنا: أن عمر ينقض قضاء أبي بكر، وهذا بعيد، لأن علياً والعباس كانا في هذه المسألة يتهمان عمر بممالة أبي بكر على ذلك..

ألا تراه يقول: نسبتماي ونسبتما أبا بكر إلى الظلم والحيانة؟! فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبي بكر ويورثهما؟!^(٢).

ونقول:

أولاً: إن هدف علي (عليه السلام) والعباس (عليه السلام) إن كان هو الحصول على فدك، فكلام المعتزلي له وجه، ولكن من قال: إن هذا هو هدفهما من المطالبة.

-
- ١- شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٩ و ٢٢٦ و ٢٢٧ والسقيفة وفدك للجوهري ص ١١٦ والدرجات الرفيعة ص ٩٤ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٢٠٨ واللمعة البيضاء ص ٧٦٦ وسفينة النجاة للتكايا ص ١٦٥.
 - ٢- شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ والدرجات الرفيعة ص ٩٤ و ٩٥ واللمعة البيضاء ص ٧٦٦.

بل الهدف منها هو إبقاء موضوع غاصبية فدك حياً في أذهان الناس.. وتعريفهم، وتعريفنا: بأن سكوت علي (عليه السلام) وبني هاشم عن هذا الأمر طيلة هذه المدة لم يكن عن قناعة بصحة كلام أبي بكر، ولا لأنهما اكتشفا صحة الحديث الذي نسبته أبو بكر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن عدم توريث الأنبياء. كما ربما كان يتوقع من أنصار أبي بكر وعمر أن يروجوا له.

ثانياً: إن عمر قد ناقض نفسه في العديد من الموارد، وخصوصاً في الأحكام.. فلماذا لا يتوقعون، أو لا يحتملون أن يناقض نفسه في هذه القضية أيضاً، بعد أن استحكمت له الأمور، وثبتت دعائم حكمه، فقد يرى: أن من المصلحة التقرب إلى علي (عليه السلام)، وإظهار إنصافه له..

وقد فعل الخلفاء ذلك عبر التاريخ، ولا سيما المأمون حتى قال الشاعر:

أصبح وجه الزمان قد ضحكك برّد مأمون هاشم فدكاً^(١)

غير أن هذه الرواية قد دس فيها الكثير مما يتضمن الطعن على علي

١ - ديوان دعبل الخزاعي (ط الأعلمي) ص ١٤١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٧ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٩ وإحفاق الحق (الأصل) ص ٢٢٥ واللمعة البيضاء ص ٨٣٨ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٤٧ و السقيفة وفدك للجوهري ص ١٠٧ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ١٤٧ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٣ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٧٣٧.

والزهراء (عليها السلام)، فقد تضمنت: أن عمر ناشد علياً (عليه السلام) والعباس إن كانا يعلمان بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لا نورث، ما تركناه صدقة.

فقالا: نعم.

فكيف يعلمان ذلك، ثم يطالبان بالإرث؟!

وكيف يوافق علي فاطمة (عليها السلام) على أن تطالب بما يعلم أنها لا حق لها به؟!
وإذا كانا يعلمان ذلك، فكيف يزعمان: أن أبا بكر وعمر كانا ظالمين فاجزين في هذه القضية؟!

الإنتصار للرسول أم لعمر؟!

قال العقيلي: (سمعت علي بن عبد الله بن المبارك الصنعاني يقول: كان زيد بن المبارك لزم عبد الرزاق، فأكثر عنه، ثم خرق كتبه، ولزم محمد بن ثور، فقبل له في ذلك، فقال: كنا عند عبد الرزاق، فحدثنا بحديث معمر، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان الحديث الطويل؛ فلما قرأ قول عمر لعلي والعباس:

(فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجاء هذا يطلب ميراث امرأته من أبيها).

قال عبد الرزاق: انظروا إلى الأتوك يقول: تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ألا يقول: رسول الله

(ﷺ)؟!.

قال زيد بن المبارك: فقلت، فلم أعد إليه، ولا أروي عنه.

قال الذهبي: (لا اعتراض على الفاروق فيها، فإنه تكلم بلسان قسمة التركات)^(١).

وقال: (إن عمر إنما كان في مقام تبين العمومة والبنوة، وإلا.. فعمر أعلم بحق المصطفى

وتوقيره (ﷺ) وتعظيمه من كل متحذلق متنطع.

بل الصواب أن نقول عنك: انظروا إلى هذا الأنوك الفاعل - عفا الله عنه - كيف يقول عن عمر

هذا، ولا يقول: قال أمير المؤمنين الفاروق؟!^(٢).

ونقول:

١ - إن بيان العمومة والبنوة ليس ضرورياً هنا، وذلك لوضوحهما لكل أحد.

٢ - إن يائهما والتكلم بلسان قسمة التركات لا يمنع من الإتيان بعبارة تفيد توقيير رسول الله

(ﷺ) واحترامه.

١ - راجع: الضعفاء الكبير ج ٣ ص ١١٠ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦١١ وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٥٧٢ ودلائل

الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٧ وتفسير القرآن للصنعاني ج ١ ص ٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٦ ص ١٨٧ ومعجم

البلدان ج ٣ ص ٤٢٩.

٢ - سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٧٢.

٣ . إن التكلم بلسان قسمة التركات في غير محله، لأن العباس لا يرث؛ لبطلان التعصيب ..
٤ . إذا صح: أن النبي (ﷺ) لا يورث، فلا حاجة إلى التحدث بلسان قسمة التركات، لا سيما وأن المطلوب . حسب ما يدعون . هو قسمة النظر، كما زعموا . وقد قلنا لهم نحن: إنه باطل أيضاً .

٥ . إن زيد بن المبارك لا يعود إلى عبد الرزاق، لأنه رآه ينتصر لرسول الله (ﷺ)، ولا يرضى من اقدام عمر على عدم توفير النبي (ﷺ) . وهذا من ابن المبارك عجيب!! وعجيب جداً!!
٦ . وأعجب منه أن الذهبي، وغيره يغضبون لعمر، ويشتمون عبد الرزاق لتوهينه عمر، ولا يغضبون لرسول الله (ﷺ)، ولا يقبلون حتى بانتقاد عمر بسبب إهانتة له (ﷺ) .

٧ . إنهم يطلبون من عبد الرزاق أن يذكر عمر بألقابه، ولا يطلبون من عمر أن يذكر النبي بألقابه التي شرفه الله تعالى بها، مع أن عبد الرزاق تكلم بلسان المنتقد الغاضب، الذي لا يتوقع منه هذا التوفير لمن أهان رسول الله (ﷺ) . بنظره . فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الوقائع ترد الأقوال:

ونلاحظ هنا: أن الوقائع لا تتلاءم مع الأقوال، فإن الوقائع تثبت الإرث، والأقوال الحريصة على تأييد قول أبي بكر تنفيها .. فلاحظ ما يلي:

ألف: إن الحكام بعد رسول الله (ﷺ) قد دفعوا الحجر في مسجد النبي (ﷺ) إلى زوجاته (ﷺ) (١).

كما أن خلفاء بني العباس قد تداولوا البردة والقضيب (٢).

وقد قال ابن المعتز مخاطباً العلويين:

ونحن ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابها

لكم رحم يا بني بنته ولكن بنو العم أولى بها (٣)

فأجابه الصفي الحلبي بقوله:

وقلت ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابها

وعندك لا يورث الأنبياء فكيف حظيتم بأثوابها (٤)

١- راجع: تلخيص الشافعي ج ٣ ص ١٢٩ و ١٣٠ ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٢٩ ونهج الحق ص ٣٦٦.

٢- تلخيص الشافعي ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ١٢٩ وحياة الإمام الرضا (عليه السلام) للقرشي ج ٢ ص ٢٣٣.

وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ٢٦٦ والكامل في التاريخ ج ٧ ص ١٦٧ و ج ٨ ص ٤٢١ والبداية والنهاية (ط) دار إحياء التراث العربي) ج ١١ ص ٢٣٧.

٣- ديوان ابن المعتز ص ٢٩ وراجع: تلخيص الشافعي هامش ج ٣ ص ١٤٨ والغدير ج ٦ ص ٥٢ والوفيات ج ١٧ ص ٢٤٣ وفوات الوفيات للكتبي ج ١ ص ٥٩٥ وأعيان الشيعة ج ٨ ص ٢٣.

٤- راجع: ديوان الصفي الحلبي، وراجع: تلخيص الشافعي هامش ج ٣ ص ١٤٨ والغدير = ج ٦ ص ٥٣ والوفيات ج ١٧ ص ٢٤٤ وفوات الوفيات للكتبي ج ١ ص ٥٩٥ وأعيان الشيعة ج ٨ ص ٢٣.

وقال الشريف الرضي (رحمته الله):

ردوا تراث محمد ردوا ليس القضيبي لكم ولا البرد^(١)

كما أنهم دفعوا آله، وبغلته، وحذائه، وخاتمته، وقضيبه إلى علي (عليه الصلاة والسلام)^(٢).
وعليه فيرد ما أورده المعتزلي الشافعي هنا حيث قال: (إذا كان (عليه السلام) لا يورث؛ فقد أشكل
دفع آله ودابته، وحذائه إلى علي (عليه السلام)، لأنه غير وارث في الأصل، وإن كان إعطاؤه ذلك لأن
زوجته بعرضة أن ترث لولا الخبر، فهو أيضاً غير جائز؛ لأن الخبر قد منع أن يرث منه شيئاً، قليلاً
كان أو كثيراً).

ب: إعترض ابن طاووس على دعوى أن علياً (عليه السلام) قد غلب العباس على أرض بني النضير،
وقال: إن ذلك غير صحيح.

(لا استمرار يد علي (عليه السلام) وولده على صدقات نبيهم، وترك

١ - ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ٤٠٧ وتلخيص الشافعي ج ٣ هامش ص ١٤٨.

٢ - راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٦٢ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٢٤ و ٢١٤ والسقيفة
وفدك للجوهري ص ١٠٣ واللمعة البيضاء ص ٧٥٨ ومعالم المدرستين ج ٢ ص ١٣٨ عن: الأحكام السلطانية للماوردي
ص ١٧١ وراجع: تلخيص الشافعي ج ٣ ص ١٤٧ وفي هامشه أيضاً عن: الرياض النضرة.

منازعة بني العباس لهم، مع أن العباس ما كان ضعيفاً عن منازعة علي، ولا كان أولاد العباس ضعفاء عن المنازعة لأولاد علي في الصدقات المذكورة).

ثم ذكر (عليه السلام) روايتين عن قثم وعن عبد الله ابني عباس، يقرآن فيها: بأن الحق في إرث رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) (١).

ويجب أن لا ننسى مدى حرص الحكام على كسر شوكة علي (عليه السلام)، وإبطال قوله وقول أهل بيته (عليه السلام) في ذلك، سواء في ذلك أولئك الذين استولوا على تركة النبي (صلى الله عليه وآله)، أو الذين أتوا بعدهم من الأمويين أو العباسيين.

علي (عليه السلام) لا يسترد فدكاً، ولا غيرها:

وقد ذكرت الروايات أسباب عدم استرجاع أمير المؤمنين (عليه السلام) أيام خلافته، ما كان قد أخذ منهم، ويمكن تلخيص ما ورد فيها كما يلي:

١ - الطرائف لابن طاووس ص ٢٨٤ و ٢٨٥ وراجع: المستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٢٥ والمراجعات ص ٢٩٩ وأجوبة مسائل جار الله للسيد شرف الدين ص ١٣٦ ونهج السعادة ج ٢ ص ٤٩٦ و ٤٩٧ وخصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي ص ١٠٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٩ ص ٤٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٥٠٩ و ج ٢٣ ص ٣١٧.

١ . إن الظالم والمظلوم كانا قد قدما على الله عز وجل، وأثاب الله المظلوم، وعاقب الظالم؛ فكره أن يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه، وأثاب عليه المغصوب (عن الإمام الصادق (عليه السلام))^(١).

٢ . للإفتداء برسول الله (ﷺ) لما فتح مكة وقد باع عقيل بن أبي طالب داره؛ فقيل له: يا رسول الله، ألا ترجع إلى دارك؟!

فقال (ﷺ): وهل ترك عقيل لنا داراً، إننا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منا ظلماً.

فلذلك لم يسترجع فدكاً لما ولي (عن الإمام الصادق (عليه السلام))^(٢).

لكن هذه الرواية تنسب الظلم إلى عقيل.. وهذا لا يتلاءم مع ما عرف عن عقيل (رضي الله عنه) الذي كان يحبه رسول الله (ﷺ)..

إلا أن يقال: إنه إنما فعل ذلك قبل أن تشمله الألفاظ.. أو أنه فعل ذلك بعد إسلامه، وقبل أن يهتم ويستجيب للهدايات الإلهية بمراعاة أحكام الشريعة والدين. وفي نص آخر: لأننا أهل بيت لا يأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو (يعني:

١ - الطرائف لابن طاووس ص ٢٥١ وعلل الشرائع ص ١٥٤ و ١٥٥ ومستدرک سفینه البحار ج ٧ ص ٣٢٥ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٩٥ واللمعة البيضاء ص ٨٢٩.

٢ - الطرائف لابن طاووس ص ٢٥١ وعلل الشرائع ص ١٥٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٧٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢٣٢ والصوارم المهركة ص ١٦٥ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٩٦ واللمعة البيضاء ص ٨٢٩.

إلا الله)، ونحن أولياء المؤمنين، إنما نحكم لهم، ونأخذ حقوقهم ممن ظلمهم، ولا نأخذ لأنفسنا (عن أبي الحسن (عليه السلام))^(١).

وغير خاف على احد أن مسألة فدك كانت بالغة الحساسية بالنسبة لمناوئي علي (عليه السلام)، فلعل استرجاعها يعطي ذريعة لتعدييات على المدى الطويل، لا حاجة إلى اعطائهم المبرر لها.. وربما يحفز ذلك إلى القيام بحملة إعلامية مسمومة، تحمل في طياتها الكثير من الشبهات والأضاليل، والشائعات الباطلة.. التي لا بد من تجنبها في تلك الظروف الحساسة..

١ - الطرائف لابن طاووس ص ٢٥١ و ٢٥٢ وعلل الشرائع ص ١٥٥ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٩٢ وسنن النبي (صلى الله عليه وآله) للطباطبائي ص ٣٣٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ١٣٦ وفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عقدة ص ٤١ واللمعة البيضاء ص ٨٢٩ وحياة الإمام الرضا للقرشي ج ٢ ص ٦٣.

الفصل الخامس: أحداث وتوقعات.. مسار الأحداث: من حجة الوداع.. إلى غضب فذك..

بداية توضيحية:

هناك سلسلة من الأحداث، تتابعت في غضون أقل من ثلاثة أشهر، كان لكل منها دوره القوي في توضيح معالم الصراع بين خطين: أحدهما يريد حفظ الدين، وتثبيت دعائمه، وتوطيد أركانه، وتشديد بنيانه.. والآخر يريد أن يستفيد من هذا الدين، ويستأثر لنفسه بكل ما يمكنه الحصول عليه، على قاعدة: (احلب حلباً لك شطره). أو: (لشد ما تشطرا ضرعيها)..

وقد بذل النبي والوصي صلوات الله عليهما وعلى آلهما أعظم الجهد في حفظ أساس الدين، وإمارة كل أذى عنه، ولا سيما فيما يرتبط بالإمامة.. التي كانت محور طموح أهل الأطماع الذين يبذلون أقصى الجهد في جلب المنافع، والإستئثار بالمناصب والمواقع..

وكنا قد أشرنا إجمالاً لهذين المسارين، في الجزء الثامن عشر من كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (عليه السلام). وقد رأينا أن نورد هنا مع بعض التقليل، والتطعيم، فنقول:

١. في حجة الوداع:

لقد بذل النبي (صلى الله عليه وآله) وفقاً للتوجيهات والأوامر الإلهية - جهداً يرمي إلى تحصين أمر الإمامة، بالتأكيد والنص عليها بمختلف الأساليب

البيانية: قولاً، وعملاً، وتصريحاً، وتلميحاً، وكناية، وإشارة، وسراً، وجهرًا، وما إلى ذلك..
وكان الفريق الطامع والطامح . وهم قريش . يسعون إلى إحباط هذه المساعي، والتشكيك في تلك البيانات ومحاصرتها، وإبطال آثارها..

وقد اتجهت الأمور نحو التصعيد في الأشهر الثلاثة الأخيرة من حياته (ﷺ)، بصورة قوية وحاسمة. ونحن نذكر هنا سبعة مفاصل أساسية وشاخصة، ظهرت في هذه الفترة بالذات، فنقول:
كان أول مفصل هام وحساس وأساسي، في يوم عرفة، في حجة الوداع؛ حيث بادر النبي (ﷺ) إلى إبلاغ إمامة علي (عليه السلام) للناس، في موسم الحج هذا، الذي يجتمع فيه الناس من كل الأجناس، والفئات والمستويات ومن مختلف البلاد، يجتمعون في صعيد واحد، يظهر التوبة والندم، ويجأرون بالدعاء لله تعالى بأن يتوب عليهم، ويتقبل منهم..

فأراد (ﷺ) أن يخطبهم، ويبلغهم ما أمره الله تعالى بتبليغه، فلما انتهى إلى الحديث عن الإمامة والأئمة، تصدى له الفريق القرشي الطامح، ليفسد عليه تدبيره، وليمنعه من القيام بما أمره الله سبحانه به، فصاروا يقومون ويقعدون، وضجوا إلى حد لم يعد للحاضرين المحيطين به (ﷺ) مجال لسماح كلامه (ﷺ).

ولعلمهم قد ظنوا أنهم نجحوا فيما أرادوه، كما توحى به ظواهر الأمور.
ولكن الحقيقة هي العكس من ذلك تماماً.. فإن النبي (ﷺ)

كان يعلم: أنهم سوف يغتصبون الخلافة على كل حال.. ولكنه يريد أن يعرف الأجيال إلى يوم القيامة ذلك.. وأن لا يمكنهم من التشكيك في أحقية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بها، وفي النص عليه، ونصبه لهذا الأمر من قبل الله ورسوله..

ولأجل ذلك: فإن الخطة النبوية كانت ترمي إلى التأكيد على هذا الأمر، وفضح الذين يريدون أن يتخذوا من التظاهر بالدين والتقوى ذريعة إلى مآربهم..

وقد تحقق ذلك له (صلى الله عليه وسلم) في هذا الموقف بالذات، في أقدس البقاع، وهو عرفة وأجل مناسبة عامة وهي الحج، وأفضل الأزمنة - يوم عرفة - وهم يؤدون فريضة عظيمة، وركناً من أركان الشريعة. وهم محرمون لله تعالى، يجهرون بتلبية النداء الإلهي: (لبيك اللهم لبيك).

ثم يعلنون اعترافهم بوحدانيتته (لبيك لا شريك لك لبيك)، وبمالكيتته، وسلطانه وبنعمته وفواضله (إن الحمد والنعمة لك والملك..). ويقفون في أحد المشاعر المعظمة، ولا هم لهم إلا الدعاء، والإستغفار، وطلب الحاجات من الله تعالى.. والإجتهاد في الحصول على رضاه لكي يستجيب لهم، ويكون معهم.

نعم، وفي هذا الموقف بالذات ظهر للناس جميعاً: أنه رغم أمر الله تعالى لهم بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي (صلى الله عليه وسلم)، لكي لا تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون، صاروا يضحجون إلى حد أنهم أصموا الناس، فلا يستطيع أحد أن يسمع شيئاً من كلامه (صلى الله عليه وسلم)، وصاروا

يقومون ويقعدون الخ..

وحمل الناس، الذين أتوا من كل حي وبلد وقبيلة، في قلوبهم هذه الذكرى المرة، معهم إلى بلادهم، التي يعودون إليها من سفر طويل وشاق، وفيه أخطار الامراض والتعديات، ويتلهف من يستقبلهم ليسألهم عما رأوه أو سمعوه من أفضل البشر، وأكرم الأنبياء (عليه السلام)، وأشرف المخلوقات، الذي لم يره الكثيرون منهم إلا هذه المرة اليتيمة، وسيموت (صلى الله عليه وآله) بعدها، وتبقى ذكراه في قلوب هؤلاء كأعز شيء عليهم، وأثمنه عندهم.

ولا بد أن ينقلوا ذلك للناس دائماً بحزن، وأسى، ومرارة، بعد أن اتضح لهم أمر عجيب وغريب، وهو: أن صحابته (صلى الله عليه وآله) لا يوقرون نبيهم الأعظم، والخاتم، ولا يطيعونه.

٢. غدیر خم:

وربما يمكن لهم أن يعتذروا للناس، ويقولوا لهم: لقد حاسبنا أنفسنا، وندمنا على ما بدر منا، فإنها كانت هفوة عابرة، وقد اعتذرنا، وقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عذرنا..

ثم يزعمون لهم: أنه قد استجدت أمور قبل وفاته (صلى الله عليه وآله) أوجب أن يعدل (صلى الله عليه وآله) عن أمر الإمامة الأئمة، فأعاد الأمر شورى بين المسلمين..

وقد يجدون من طلاب اللبانات، ومن عبيد الدنيا، من يرغب في تصديق مزاعمهم هذه، فجاءت قضية غدیر خم لتقول للناس: لا تقبلوا

أمثال هذه الأعداء .

وذلك لأن رسول الله (ﷺ) بمجرد أن انقضت مراسم الحج، ترك مكة ولم يزر البيت!! وخرج مع الحجيج العائد إلى بلاده قبل أن يتفرقوا في الطرقات إليها.

وكان رؤوس هؤلاء الطامعين والطامحين يرافقونه، ليعودوا معه إلى المدينة، وبقي في مكة والطائف، وفي كل هذا المحيط أنصار هؤلاء ومحبوهم.. وها هم يتعدون شيئاً فشيئاً عن المناطق التي تدين لهم بالولاء، وأصبحوا غير قادرين على الإقدام على أية إساءة للرسول (ﷺ).. لأنهم يعجزون عن مواجهة عشرات الألوف، وهم بضع عشرات من الأفراد، فإن جماهيرهم في مكة وما والاها لم يأتوا، ولن يستطيعوا أن يأتوا معهم..

فلما بلغ (ﷺ) غدير خم، نزلت الآيات الأمرة له بلزوم إنجاز المهمة التي كلفه الله تعالى بها من جديد، ومعها تهديد صريح لأولئك المعاندين: بأن استمرار اللجاج والعناد سوف يعيد الأمور إلى نقطة الصفر (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ..)^(١)، أي أن ذلك يعني أنه مستعد للدخول معهم في حرب طاحنة، كحرب بدر وأحد، أو قد ينزل بهم العذاب، كما جرى لبعض الأمم السالفة.. فاضطر هذا الفريق المناوئ، والطامح، والطامع، إلى السكوت، والانحناء أمام العاصفة، ولو إلى حين.

١ - الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وبلَّغ النبي (ﷺ) إمامة علي (عليه السلام) في غدير خم، وتظاهر ذلك الفريق بالطاعة، وقدم البيعة لعلي (عليه السلام)، حتى قال له أحدهم: بخ يخ لك يا علي، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن.. ولا ندري إن كانت هذه البخبة أيضاً انحاءاً أمام العاصفة؟! أم أنها جاءت لتعيّر عن حسرة وألم، وعن أمور أخرى لا نحب التصريح بها!

٣. تجهيز جيش أسامة:

ولكن الباب قد بقي مفتوحاً أمام هذا الفريق للخروج من هذا المأزق، إذ يمكن أن يقول هؤلاء للناس: صحيح أن النبي (ﷺ) نصب علياً (عليه السلام) في غدير خم، وقد بايعناه، وبخبنا له.. ولكن قد استجدت أمور بعد ذلك جعلته (ﷺ) يعدل عن قراره هذا، والله على ما نقول وكيل، فإننا صحابته المحبون، المطيعون، المأمونون، على ما يأمرنا به.

أو يقولون: إن هذه الأمور جعلت علياً (عليه السلام) نفسه يستقيل من هذا الأمر.. (وقد سرت شائعة بهذا المضمون فعلاً، وتركت لها أثراً حتى على اجتماع السقيفة نفسه كما تقدم).

فجاءت قضية تجهيز جيش أسامة، لتبين بالفعل لا بالقول: أنهم لا يطيعون أمر رسول الله (ﷺ)، حتى مع إصراره عليهم، والتصريح بغضبه منهم، فهو يأمرهم بالخروج في جيش أسامة، ويلعن من يتخلف عن ذلك الجيش، ولكنهم يصرون على رفض الخروج معه، ويتعللون بأنهم يخافون على النبي (ﷺ) من أن يحدث له

حدث في غيبتهم.. وهذا يزيد في يقين الناس بنوايا هؤلاء.
ولكنهم قد يعتذرون عن هذه المخالفة أيضاً: بأنها خطأ فرضته محبتهم له (ﷺ)، وشدة
خوفهم عليه، ولم تكن ناشئة عن روح متمرده، أو غير مبالية.
فجاءت قضية:

٤ . الصلاة بالناس:

فقد اغتتموا فرصة مرض رسول الله (ﷺ)، فاحتلوا مكانه في إمامة الصلاة، ربما ليؤكدوا على
أنهم هم المؤهلون لموقعه (ﷺ) من بعده، وليجعلوا ذلك ذريعة لادعاء أن من يخلف النبي
(ﷺ) في إمامة الصلاة هو الذي ينبغي أن يخلفه في سائر الأمور..
وقد يدّعي بعضهم، أو يدّعي لهم محبوبهم: أن النبي (ﷺ) هو الذي أمرهم بالصلاة، أو أنهم
أخبروه فرضي.

ولكن رسول الله (ﷺ) أبطل تدبيرهم هذا أيضاً، وحوّله إلى إدانة لهم، وصار سبباً عليهم،
وذلك بمجيئه . رغم مرضه . محمولاً على عاتق رجلين، هما: علي (عليه السلام) وشخص آخر . فعزل أبا
بكر عن الصلاة، وصلى مكانه.

فهو (ﷺ) لم يكتف بنفي أن يكون قد أمر أحداً بالصلاة مكانه، أو بالتصريح بعدم الرضا
بصلاة من صلى، بل قرن عدم رضاه هذا، بالفعل والممارسة، حين جاء وعزله بنفسه، وفي وسط
صلاته، وقطعها عليه،

وأبطلها، لأنها كانت صلاة مفروضة على النبي (ﷺ) والناس، ولم يأذن الله ورسوله بها.. ويدلنا على إبطالها نفس تحول الإمامة إلى النبي (ﷺ).. من دون مانع يمنع أبا بكر من الاتمام سوى ما ذكرناه من عزل النبي (ﷺ) له.. لكي لا يعتذر أحد بأن أبا بكر حين رأى النبي (ﷺ) مقبلاً آثره وقدمه..

وبذلك يكون (ﷺ) قد بين أن أبا بكر أقدم على ما لا حق له فيه، إما من حيث فقدانه لشرائط إمامة الصلاة، أو من حيث إن في الأمر سرّاً أعظم من ذلك، وهو الإعلان بأنه ليس له أن يمثل رسول الله (ﷺ) في أي موقع من مواقعه، وأنه لا يحق له التصدي للمقام الذي يرشح نفسه له، بل لا مجال للسكوت والستر عليه لو تصدى، ولو لمثل إمامة جماعة في صلاتهم، حتى لو كان ذلك من موجبات لحوق الضرر به، ولو بأن تنطلق الشائعات والتكهنات في غير صالحه. وذلك يدل على: أن هناك أمراً عظيماً أوجب ذلك، وجردّه من حقوقه، فما هو ذلك الأمر العظيم يا ترى؟!

وبذلك يظهر: أنه لم تعد هناك حاجة إلى تفهيم الناس أن شرائط إمام الجماعة - وهي العدالة، وصحة القراءة، ونحو ذلك - تختلف عن شرائط الخلافة والإمامة، إذ لا تحتاج إمامة الجماعة في الصلاة إلى العلم، ولا إلى العصمة، أو الشجاعة، ولا إلى أن لا يكون بخيلاً أو جافياً. كما أنها لا تحتاج إلى النصب من المعصوم، ولا غير ذلك من أمور كثيرة ذكرتها الآيات والروايات، ونصت على أنها لا بد منها في الإمامة والخلافة لرسول الله (ﷺ)..

٥ . إن الرجل ليهجر:

وربما يعتذرون عن ذلك أيضاً: بأن المبادرة إلى الصلاة من أبي بكر قد جاءت عن حسن نية، وسلامة طوية، وبقصد نيل ثواب الجماعة، ولم يقصد بها الإساءة إلى رسول الله (ﷺ).. ولعل عدم الإستئذان في ذلك منه (ﷺ) هو الذي أغضبته (ﷺ)، ولم يكن أبو بكر يظن أن الأمور تصل إلى هذا الحد، ولا شك في أنه قد استغفر الله تعالى من هذا الخطأ غير المقصود. فجاءت القضية التالية: لتؤكد عدم صحة أمثال هذه الاعتذارات أيضاً، فقد طلب النبي (ﷺ) كتفاً ودواة، لكي يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده، فقال عمر: إن الرجل ليهجر أو غلبه الوجع^(١)..

١- الإيضاح ص ٣٥٩ وتذكرة الخواص ص ٦٢ وسر العالمين ص ٢١ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٦٠ وج ٤ ص ٥ و ١٧٣ وج ١ ص ٢١ و ٢٢ وج ٢ ص ١١٥ والمصنف للصنعاني ج ٦ ص ٥٧ وج ١٠ ص ٣٦١ وراجع: ج ٥ ص ٤٣٨ والإرشاد للمفيد ص ١٠٧ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٩٨ وراجع: الغيبة للنعماني ص ٨١ و ٨٢ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٩٨ وفتح الباري ج ٨ ص ١٠١ و ١٠٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٢٧ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٥٩ والملل والنحل ج ١ ص ٢٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٤٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٩٢ و ١٩٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٢٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٥٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٥١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٦٤ = وصحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٥٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤٤ ونهج الحق ص ٢٧٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٦٢ وحق اليقين ج ١ ص ١٨١ و ١٨٢ ودلائل الصدق ج ٣ ق ١ ص ٦٣ . ٧٠ . والصراط المستقيم ج ٣ ص ٣ و ٦ والمراجعات ص ٣٥٣ والنص والإجتهد ص ١٤٩ و ١٦٣ .

فجاءت هذه الكلمة لتكون أوضح في الدلالة، وأصرح في التعبير عن جرأة هؤلاء على رسول الله (ﷺ)، وعن مدى تصميمهم على تحقيق طموحاتهم، والوصول إلى أطماعهم، وعن المدى الذي يمكن أن تصل إليه تصرفاتهم في هذا الاتجاه.. وعن الحرمات التي يمكن أن تنتهك من أجل ذلك.. حيث إن النبي (ﷺ) حين طلب في مرض موته: أن يأتيه بكتف ودواة، إنما أراد أن يجرهم في اللحظة الأخيرة، ليظهروا للناس على حقيقتهم.. وبعد ذلك، فإن على الناس أنفسهم أن يعدوا للأمر عدته، وأن لا تغرهم الإدعاءات الباطلة، والإنتفاخات الفارغة.

وبذلك يكون (ﷺ) قد فتح باباً يستطيع الداخل فيه أن يصل إلى كنه الأمور، ولو بعد مرور الأحقاب والدهور، التي تنأى بالحدث عن المشاهدة، وتمعن في إبهامه.

٦ . الهجوم على الزهراء (عليها السلام) :

ولعلمهم يعتذرون حتى عن مثل هذا الأمر العصي عن الاعتذار، فيقولون: لقد كانت هذه أيضاً هفوة منا غير مقصودة، في ساعة فوضى مشاعرية غير محمودة، وقد عضنا ناب الندم لأجل ما صدر، وأكلتنا نيران الحسرة بسبب ما بدر، فبادرنا إلى الله بالاستغفار، وللنبي (صلى الله عليه وآله) بالاعتذار، فقبل عذرنا، ومات وهو راض عنا، وحملنا للناس وصاياه، وعرفنا نواياه، وأخبرنا: أن الأمور قد تغيرت، وجاء ما أوجب نقض الهمم، وفسخ العزائم، فيما يرتبط بالبلاغ الذي كان في يوم الغدير.

فجاءت قضية أخرى أوضح وأصرح، وهي هجومهم على بيت الزهراء (عليها السلام)، واقتحامه، وما لحقها (عليها السلام) من إهانة وظلم، واعتداء بالضرب، وإسقاط الجنين، فسقطت كل الأقنعة، بل تلاشت، واهترأت، وتمزقت، وأصبحت أوهى وأكثر حكاية لما وراءها حتى من بيت العنكبوت، لو كان ثمة ما هو أوهى منه..

خصوصاً مع تصريح القرآن بطهارة هذه السيدة المظلومة المعصومة، وبوجوب مودتها، ومع تصريح الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن من آذاها فقد آذى الله، وهي ابنته الوحيدة، وسيدة نساء أهل الجنة.. وقد قاموا بهجومهم هذا عليها في ساعة دفنها لأبيها، وبالتحديد فوق قبره الشريف، وفي مسجده.

ثم منعوها من البكاء على أبيها، وجرعوها الغصص، وساموها أشد الأذى.

فأعلنت (ﷺ) غضبها عليهم وهَجَرَتْهم إلى أن ماتت، وأوصت أن تدفن ليلاً، ولم ترض بحضورهم جنازتها.

٧. غضب فدك:

وقد يعتذر هؤلاء للناس البسطاء، فيقولون: لعن الله الشيطان، إن موت رسول الله (ﷺ) قد أدهش عقولنا، وحير ألبابنا، وأصبحنا نخاف من الذل الشامل، والبلاء النازل. فاندفعنا بحسن نية، وسلامة طوية لتدبير الأمر، ولدفع الفتنة، وللإمساك بزمام المبادرة قبل أن ينفطر العقد، ويضيع الجهد، فوقعنا في الهفوات، وارتكبنا الخطيئات، فها نحن نعتزف ونعتذر، وقد سعينا لاسترضاء الزهراء (ﷺ)، ورمنا طلب الصفح منها، ولكنها لم تقبل.

غير أن ما صدر منا لا يعني أننا لا نصلح للمقام الذي اضطلعنا به، بل نحن أهل له وزيادة، وقادرون على القيام بأعباء المسؤولية فيه..

فجاء غضب فدك، ليكون آخر مسمار يدق في نعش ما يدعونه لأنفسهم من الفلاح والصلاح، لأنه أبدل الشك باليقين، وأسفر الصبح لذي عينين، وصرح الزبد عن المخض، وظهر: أن هؤلاء يفقدون حتى أبسط السمات والمواصفات لمن يتولى شؤون الأمة، وليدل دلالة قاطعة على أن مقام خلافة النبوة قد أخذ عنوة وقهراً.

ولنفترض: أن هؤلاء الطامحين والطامعين، والمعتدين والغاصبين، أنكروا ذلك كله، وزعموا: أنهم أكرموا الزهراء (ﷺ)، ولم يضربوها، ولم يسقطوا جنينها، وزعموا: أن النبي (ﷺ) لم

ينص على علي (عليه السلام)، ولجأوا إلى التشكيك في سند النص المثبت لإمامة علي (عليه السلام)، أو التشكيك في دلالاته، أو حاولوا التشكيك في كل القرائن والدلالات والتصريحات، والكنائيات، والحقائق والمجازات، في الآيات والروايات المثبتة لإمامته (عليه السلام).

نعم.. لنفترض ذلك، فإن باب المعرفة ييقى مفتوحاً على مصراعيه لكل الأجيال، عبر الأحقاب والأزمان، من خلال قضية فدك بالذات.

لقد أراد هؤلاء أن يأخذوا فدكاً، ليقولوا للناس بالفعل قبل القول: إنهم هم الذين يتبوؤون منصب خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأن ما كان له (صلى الله عليه وآله) قد أصبح لهم أيضاً، بحكم كونهم خلفاءه، فلهم الحق في أن يتصرفوا فيما كان يتصرف فيه، والذي كان من شؤونه أصبح من شؤنهم..

واختاروا فدكاً لهذا الأمر؛ لأنها هي الأوضح دلالة، والأعمق أثراً، لأنها في يد بنت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالذات، وزوجة الرجل الذي يناوئونه، ويواجهونه.

فإن مرت هذه المبادرة بسلام، فإن الناس سوف يقولون: إذا كانت سلطة هؤلاء قد طالت

علياً (عليه السلام) نفسه، وبنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة، فماذا عسى يمكن لغيرهم أن يفعل؟!!

فاستولوا على فدك، وأخرجوا عمال الزهراء (عليها السلام) منها، بعد سنوات من تملكها لها،

والتصرف فيها في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله).. متذرعين بحجج واهية، لا تسمن ولا تغني من جوع.

ولم تطالبهم الزهراء (عليها السلام) بما كان منهم من العدوان عليها وضربها، وإسقاط جنينها، لأن غاية ما يمكن أن ينتج عن ذلك هو إزجاؤهم الكلام المعسول، والمديح والثناء الكلامي، وإظهار الأسف، واصطناع حالات من التواضع، وهضم النفس والإستعفاف..

ويرى الناس البسطاء: أنهم بذلك قد أدوا قسطهم للعلى..

وسوف يكون المعتدون سعداء لتحويل القضية برمتها إلى قضية شخصية، تخضع لأمزجة الأفراد وأخلاقياتهم.

وربما لا يخطر على بال الكثير من الناس القضية الأساس التي كانت السبب في اندفاعهم للعدوان.

وقد لا يدور بخلدكم أيضاً أن هذا لا يكفي، بل لا بد من معاقبة المجرم، وأن من يرتكب هذه الفظائع، لا يصلح لمقام الإمامة والخلافة، وأن عليه أن يتخلى عن المقام الذي اغتصبه إلى صاحبه الشرعي، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ولأجل ذلك أبقت الزهراء (عليها السلام) على موضوع العدوان عليها بعيداً عن الأخذ والرد، وعن الحجاج والإحتجاج. ولم تشر إليه في خطبتها في المسجد، كما أنها لم تستجب لاستدراجاتهم لها فيه، بل أبقت على موقفها الغاضب والرافض، لكل بحث ومساومة إلا بعد الإعتراف بالحق، وبعد إرجاعه إلى أهله.

وقد حافظت على هذا الموقف إلى أن لحقت بربها، ليبقى ذلك العدوان ماثلاً في وجدان الناس، بعيداً عن الأيدي العابثة، التي تريد إسقاط تأثيره،

بصورة أو بأخرى.

والذي حصل من خلال قضية فدك: هو دلالتها على الذين اغتصبوها يفقدون إلى آخر لحظة، أبسط الشرائط التي تؤهلهم لأدنى مسؤولية، ومن هذه الشرائط المفقودة، شرط الأمانة، فهم غير مأمونين على دماء الناس، كما أظهره فعلهم بالسيدة الزهراء (عليها السلام).
وغير مأمونين على أعراضهم، كما أوضحه هتكهم لحرمة بيتها، وهي التي تقول: خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل.

وغير مأمونين على أموال الناس، كما أوضحه ما صنعوه في فدك، وفي ميراثها..
وغير مأمونين على دين الناس لأنهم يخالفون أحكامه على رغم تذكيرهم بها، وبيانتها لهم. وغي مأمونين على أخلاقهم، وفي تربيتهم، لأن أفعالهم دلّت على ذلك فيهم. ووشت ببالغ قسوتهم..
حين أرادوا إحراق حتى الأطفال، وأي أطفال!! إنهم الحسنان (عليهم السلام)
فيذا كانوا لا يحفظون أموال ودماء وعرض رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهل يحفظون دماء وأعراض وأموال الضعفاء من الناس العاديين؟!!

وإذا كانوا يجهلون حكم الإرث؛ فقد علمتهم إياه السيدة الزهراء (عليها السلام).
وبعد التعليم، والتذكير، فإن إصرارهم يدل على فقداهم لأدنى درجات الأمانة والعدل.
فهل يمكنهم بعد ذلك كله ادّعاء: أنهم يريدون إقامة العدل، وحفظ

الدماء، والأعراض، والأموال، وتعليم الناس دينهم، وتربيتهم، وبث فضائل الأخلاق فيهم، وغير ذلك؟!!

ومن جهة أخرى: فإنهم يفقدون المعرفة بأبده البديهيّات في الإسلام، ويكفي للتدليل على ذلك أن نذكر الفقرة التالية من خطبتها (عليها السلام)، حين بلغها اجتماع القوم على منعها فدكاً، فدخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، وقالت:

أيها المسلمون، أغلب على إرثي؟!!

يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فريباً!

أفعلى عمدة تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟! إذ يقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ^(١).

وقال: فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) ^(٢).

وقال: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) ^(٣).

وقال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثَيَيْنِ) ^(٤).

١- الآية ١٦ من سورة النمل.

٢- الآيتان ٥ و ٦ من سورة الأحزاب.

٣- الآية ٧٥ من سورة الأنفال.

٤- الآية ١١ من سورة النساء.

وقال: (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) ^(١).
وزعمتم: أن لا حظوة لي، ولا أرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟!
أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟!
أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟!
أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟!
فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة،
وعند الساعة يخسر المبطلون..
ثم قالت (عليها السلام) لأبي بكر: سبحان الله، ما كان أبي رسول الله (ﷺ) عن كتاب الله صادفاً،
ولا لأحكامه مخالفاً! بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره. أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور،
وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً،
يقول: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) ^(٢).
ويقول: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) ^(٣).

١- الآية ١٨٠ من سورة البقرة.

٢- الآيتان ٥ و ٦ من سورة الأحزاب.

٣- الآية ١٦ من سورة النمل.

وبيّن عز وجل فيما وزع من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أراح به علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين. كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون^(١).

وخلاصة القول:

إن الخلافة عن الرسول (ﷺ) تعني: أخذ موقعه، والتصدي لمهامه، التي هي تعليم الأمة دينها، وتربيتها تربية صحيحة وصالحة، وتدبير أمورها، وقيادتها إلى شاطئ الأمان، وحفظها من أعدائها، وقيادة جيوشها، والقضاء والحكم فيما اختلفوا فيه، بحكم الله ورسوله.. وما إلى ذلك.. فإذا كان من يجلسون في موقعه، وينتحلون مقامه، لا يعرفون هذه الأحكام البديهية، فكيف استحقوا إمامة الأمة.. وكيف يعلمونها أحكام الدين، وشرائع الإسلام، وفيها ما هو دقيق وعميق، ولا يعرفه إلا الأقلون، وكان مما يقل الإبتلاء به، وهو بعيد عن التداول؟! وإذا كانوا لا يعرفون هذه الآيات القرآنية، يلهج بها الكبير والصغير،

١- الإحتجاج ص ١٣١ - ١٤٩ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٢٠ - ٢٣٥ ومواقف الشيعة للأحمدي ج ١ ص ٤٥٩ - ٤٦٨ وبيت الأحران ص ١٤١ - ١٥١ والأنوار العلوية ص ٢٩٣ - ٣٠١ واللمعة البيضاء ص ٦٩٤ ومجمع النورين ص ١٢٧ - ١٣٤.

فكيف يعلمون الناس القرآن، ويستخرجون لهم دقائقه وحقائقه؟! وإذا كانوا بعد التعليم والبيان من قبل الزهراء (عليها السلام) في خطبتها هذه بالذات، قد عجزوا عن التعلم، فكيف يمكن لهم التصدي لشرح معاني القرآن، واستكناه أسرارها؟! وإذا كانوا قد عرفوا وأصروا على مخالفة أمر الله تعالى، فأين هي عدالتهم اللازمة لهم في أبسط الأشياء، والمطلوب توفرها في كل مسلم ومؤمن، فضلاً عما يتبوأ منصب خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!!

وأين هي الأمانة على دين الله، وعلى أموال المسلمين، وعلى مصالحهم وشؤونهم؟! وإذا كانوا هم الذين يظلمون الناس في أحكامهم القضائية، فكيف نتوقع منهم أن يحكموا بالعدل في سائر أفراد الأمة؟! وإذا كانوا هم الطرف في الدعوى، والسبب في المشكلات، فكيف يكونون هم الحكام والقضاة فيها؟!!

وإذا كانوا يضربون طرف الدعوى، ويظلمونه قبل إدلائه بالحجة، وقبل سماعها منه، فكيف نتوقع أن يجرؤ أحد سواها على الإدلاء بحجته، ويقدم أدلته؟! وإذا كان هذا الظلم يجري على أقدم إنسان على وجه الأرض، وهو بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والتي يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، فكيف يكون حال الناس العاديين الذين لا قداسة ولا موقع لهم، ولم يخبر النبي (صلى الله عليه وآله) عنهم بأن الله يرضى لرضاها، أو

يغضب لغضبهم؟!..

وإذا كانوا قد فعلوا ذلك لجهلهم بأحكام القضاء، فكيف صح أن يتصدوا لهذا المقام الذي هو للعارف بالقضاء؟!!

وإذا كانوا فعلوا ذلك تجاهلاً وتعدياً لترك ما يجب عليهم، فأين هي العدالة في القاضي؟! ليس اشتراطها فيه من أبده البديهيات، وأوضح الواضحات؟!!

فقضية فدك إذن أوضحت: أن هؤلاء يفقدون الشرائط الأساسية للإمامة والخلافة، ولا يصلحون لتولي شؤون أحد من البشر، حتى أولادهم، فكيف يتولون شؤون الأمة بأسرها؟! وتكون قيمة ذلك هذا العدوان الظاهر والسافر!

واللافت هنا: أن هذه الشرائط التي يفقدونها ليست شرائط معقدة، ولا يحتاج الالتفات إليها، وإدراك صحتها، ولزوم توفرها إلى دراسة وتعمق، ولا إلى أدلة وبراهين، وثقافة ومعارف.

بل يكفي لإدراك لزومها في الحاكم، وكذلك لمعرفة فعلية وجودها فيمن يدعيها، أدنى التفات من أي إنسان، حتى لو كان غير مسلم، بل غير موحد أيضاً؛ لأن من البديهيات الأولية لدى البشر أن من يتصدى لإنجاز أمر، لا بد أن يملك القدرة والخبرة الكافية فيه..

وهو ما نسميه هنا بعلم الشريعة. ولا بد أيضاً أن يكون أميناً على ما أوّمن عليه، فلا يحيف، ولا يخون، ولا يظلم فيه..

وأخيراً: نقول:

لنفترض: أن الإنسان قد يسهو عن بعض الأحكام حتى البديهية، وقد يصدر حكماً جائراً أحياناً بسبب غفلة، أو نزوة هوى عرضت، ولكن حين يعود إلى نفسه، ويتبهاً له من ينقذه من غفلته، ويجد الواعظ القريب، والمؤدب اللبيب الذي خالف هواه، وامتلأ أوامر مولاه، فإنه يثوب إلى رشده، ويستيقظ من غفلته، ويتوب إلى ربه..

ولا يضر ذلك في صفة العدالة، إن لم يكن ذلك الذنب من الكبائر، ولو كان يضر بها، فإن عودته إلى الطريق المستقيم تصلح ما فسد، وتعيد الأمور إلى نصابها..

ولكن هؤلاء القوم ليس فقط لم يستيقظوا من غفلتهم، ان كان ثمة غفلة؛ بل هم أصروا على اتباع الهوى بعد البيانات الواضحة، والحجج اللائحة، والنصيحة والموعظة الصالحة، ولم يراعوا أية حرمة، ولم يقفوا عند أي حد، حتى حدود المراعاة العرفية، والمجاملات العادية، وهذا خلل أخلاقي كبير، لا يبغي مجالاً لإغماض النظر عن الخطأ العارض.

بل هو خطأ مفروض ومحمي بشريعة الغاب، ويقانون القوة الغاشمة، والقهر والظلم.. الأمر الذي يشير: إلى أن عنصر الأخلاق مفقود أو يكاد، وهو عنصر هام وضروري للناس جميعاً، فكيف بمن يكون من جملة وظائفه تطهير النفوس، وتربية الأمة على الأخلاق الحميدة، وغرس الفضائل في النفوس، وهدايتها نحو كمالاتها؟!..

فإن هؤلاء يدعون: أنهم يستحقون أن يكونوا في موقع رسول الله (ﷺ)، وأن يقوموا بوظائفه، ويضطلعوا بمهامه.

وقد بين الله سبحانه طرفاً من وظائف النبي (ﷺ)، فقال: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَنفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ^(١).

وبذلك تكون فدك قد حسمت الأمور، وكشفت الحقيقة . كل الحقيقة . للبشر جميعاً، وبمختلف فئاتهم وطبقاتهم، ومذاهبهم، وأديانهم.

ويبقى الباب مفتوحاً أمام الناس كلهم، ليعرفوا الظالم من المظلوم، والمحق من المبطل، والمحسن من المسيء، حتى لو لم تكن هناك نصوص، أو كانت، وأدَّعوا أنهم لا يؤمنون بها، (وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ^(٢)، والحاقدون، والحاسدون.
فدك.. تعني الخلافة:

وبعد غصب فدك من الزهراء (عليها السلام). تعاقبت عليها الأيدي، وتداولتها الفئات المختلفة وأصبحت من المسائل الحساسة عبر التاريخ، وصارت تمثل ميزان الحرارة، الذي يعطي الإنطباع عن طبيعة العلاقة بين الحكام وبين أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، فكانت تارة تؤخذ منهم، وتارة ترد إليهم..

بل صارت من العناوين الكبيرة لقضية الإمامة، كما تظهره النصوص التالية وغيرها.

١ - الآية ٢ من سورة الجمعة.

٢ - الآية ٣٢ من سورة التوبة.

الإمام الكاظم (عليه السلام) والرشيد:

قال الزمخشري:

كان هارون الرشيد يقول لموسى بن جعفر (عليه السلام): خذ فدكاً حتى أردّها عليك، فيأبى، حتى أُلح عليه.

فقال (عليه السلام): لا آخذها إلا بحدودها.

قال: وما حدودها؟!

قال: يا أمير المؤمنين، إن حددتها لم تردها.

قال: بحق جدك إلا فعلت.

قال: أما الحد الأول فعدن.

فتغير وجه الرشيد، وقال: هيه.

قال: والحد الثاني سمرقند.

فاربد وجهه.

قال: والحد الثالث أفريقية.

فاسود وجهه، وقال: هيه.

قال: والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية.

قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحول في مجلسي.

قال موسى (عليه السلام): قد أعلمتك: أنني إن حددتها لم تردها.

فبعد ذلك عزم على قتله، واستكفى أمره يحيى بن خالد الخ...^(١).

الإمام الكاظم (عليه السلام) والمهدي العباسي:

وقبل ذلك: كان الإمام الكاظم (عليه السلام) قد دخل على المهدي العباسي، فرآه يرد المظالم،

فقال: .. ما بال مظلمتنا لا ترد؟!!

فقال المهدي: وما ذاك يا أبا الحسن؟! ..

إلى أن قال: فقال له المهدي: يا أبا الحسن، حدّها إلي.

فقال: حد منها جبل أحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة

الجنديل.

فقال له: كل هذا؟!!

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنخيل ولا

ركاب.

فقال: كثير. وأنظر فيه^(٢).

١- مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٣٥ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٠٠ و ٢٠١ وج ٤٨ ص ١٤٤ و ١٤٥ ومجمع النورين ص ١٢٤ واللمعة البيضاء ص ٢٩٤.

٢- الكافي ج ١ ص ٥٤٣ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٤٠٥ وبحار الأنوار ج ٤٨ ص ١٥٦ و ١٥٧ والبرهان ج ٢ ص ٤١٤ ومجمع البحرين ج ٥ ص ٢٨٣ والوسائل ج ٩ ص ٥٢٥ ونور الثقلين ج ٣ ص ١٥٤ و ١٥٥ وج ٥ ص ٢٧٦ واللمعة البيضاء ص ٢٩٣.

الباب الثالث: سياسات أفرزتها السقيفة..

الفصل الأول: لا حاجة لنا بمصحف علي (عليه السلام)

علي (عليه السلام) يجمع القرآن:

قالوا:

فلما رأى علي (عليه السلام) غدر الناس، وقلة وفائهم، ونكث العهود والعقود، وعدم وفائهم بمقتضيات البيعة، وذهابهم في التيه، وعصيان أمر الله ورسوله، وعدم اطاعتهم إمامهم المنصوص عليه.. لزم بيته، وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج حتى جمعه كله، فكتبه على تنزيله، وكتب الناسخ والمنسوخ، والتفسير والتأويل، وغير ذلك..

فبعث إليه أبو بكر: أن اخرج فبايع.

فبعث إليه: إني مشغول، فقد آليت بيمين أن لا أرتدي برداء إلا للصلوات حتى أولف القرآن وأجمعه.

(وفي الروايات: أنه أرسل إليه مرتين، فيجيبه بنحو ذلك، فأرسل إليه في الثالثة قنفذاً، ثم ذكرت حديث الإحراق)^(١).

فجمعه في ثوب (واحد)، وختمه.

١- بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٣١ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٣٠٧ ونور الثقلين ج ٣ ص ١٩٩ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٣٧ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٣٤.

ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله (ﷺ)، فنادى (عليه السلام) بأعلى صوته:

(أيها الناس، إني لم أزل منذ قبض رسول الله (ﷺ) مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب، فلم ينزل الله على نبيه آية من القرآن إلا وقد جمعتها كلها في هذا الثوب، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله (ﷺ)، وعلمني تأويلها. فقالوا: لا حاجة لنا به، عندنا مثله.

ثم دخل بيته. (وهو يتلو (فَنَبِّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيِّسَ مَا يَشْتَرُونَ) (١) (٢)).

وفي نص آخر؛ عن أبي ذر الغفاري: أنه (عليه السلام) جاءهم بالقرآن الذي جمعه وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول الله (ﷺ)، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر وقال: يا علي اردد، فلا حاجة لنا فيه، فأخذه (عليه السلام) وانصرف. ثم أحضروا زيد بن ثابت. وكان قارياً للقرآن. فقال له عمر: إن علياً (عليه السلام) جاءنا بالقرآن، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن

١- الآية ١٨٧ من سورة آل عمران.

٢- الإحتجاج ج ١ ص ٢٠٧ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ١٠٧ وكتاب سليم ج ٢ ص ٥٨١-٥٨٣ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ و ج ٨٩ ص ٤٠ و مجمع النورين ص ٩٦ و ٩٧ وغاية المرام ج ٥ ص ٣١٦ وبيت الأحران ص ١٠٦.

نؤلف القرآن، ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتكاً للمهاجرين والأنصار.
فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال لهم: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتهم، وأظهر علي القرآن
الذي ألفه، أليس قد بطل كل ما عملتم؟!
ثم قال عمر: فما الحيلة؟!
قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة.
فقال عمر: ما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم
يقدر على ذلك (وسياقي شرح ذلك).
فلما استخلف عمر، سأل علياً (عليه السلام) أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا
الحسن، إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه.
فقال (عليه السلام): هيهات، ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم،
ولا تقولوا يوم القيامة: إننا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئنا به.
إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي.
فقال له عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم.
فقال علي (عليه السلام): نعم، إذا قام القائم من ولدي، يظهره ويحمل الناس عليه، فتجري السنة به
عليه صلوات الله عليه^(١).

١- الإحتجاج ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٦١ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٢٢٥ و ٢٢٨ = وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٤٢
و ٤٣ والأنوار النعمانية ج ٢ ص ٣٦٠ وكتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٥٨١ و ٥٨٢ والصافي ج ١ ص ٤٣ و ج ٥ ص ١٢٩
و ج ٧ ص ١٠٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٢٢٦ ومكيال المكارم ج ١ ص ٦١. وراجع بصائر الدرجات ص ١٩٦ وبحر الفوائد
ص ٩٩.

علي (عليه السلام) أول من جمع القرآن:

لا شك في أن علياً (عليه السلام) أول من جمع القرآن، جمعه أولاً على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) .. ثم جمعه بعد وفاته (عليه السلام) مباشرة.. وقد ذكرنا ذلك مع مصادره في كتابنا: (حقائق هامة حول القرآن الكريم).

ونحن نذكر هنا طرفاً مما ذكرناه هناك حول جمع علي (عليه السلام) القرآن، فنقول:

قال المعتزلي: إنه (عليه السلام) أول من جمع القرآن^(١).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (ما أحد من هذه الأمة جمع القرآن،

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٧. وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ١ ص ٢٩٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٢٢ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٩ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٢٠٠ والصافي ج ١ ص ١ والقرآن في الإسلام للطباطبائي ص ١٣٧ وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٢٤.

إلا وصي مُحَمَّد (ﷺ) (١).

وكان قد جمعه على ترتيب النزول (٢).

وقال البعض: الصحيح: أن أول من صنف في الإسلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، جمع كتاب

الله جلّ جلاله!! (٣)

وعن أبي جعفر (عليه السلام): (ما ادّعى أحد من الناس: أنه جمع القرآن كما أنزل إلا كذاب. وما

جمعه، وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب، والأئمة بعده) (٤).

١- تفسير القمي ج ٢ ص ٤٥١ وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٤٨ عنه، والوفاي ج ٥ ص ٢٧٤ عنه أيضاً، والصرط المستقيم ج ١ ص ٣٦٦ (الهامش). وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٠٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٧٢٧.

٢- راجع: الإتقان للسيوطي ج ١ ص ٧٢ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٧١ و ١٩٥ عن ابن أبي داود، وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٣٥ وتاريخ الخلفاء ص ١٨٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ (الذيل ص ٢٨ و ٢٩ هامش) وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٣١٧ و ٣١٦ وفتح الباري ج ٩ ص ٤٧ والصافي ج ١ ص ١ والقرآن في الإسلام للطباطبائي ص ١٣٤ و ١٣٧ والميزان ج ١٢ ص ١٢٨.

٣- معالم العلماء ص ٢ و (ط قم) ص ٣٨ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٢٣٣ ومراة الكتب للتبريزي ص ٢٥ و ٣٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ و ج ٤ ص ٥٩٨.

٤- بصائر الدرجات ص ١٩٣ والكافي ج ١ ص ٢٠ و ١٥ = وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ٣١٢ والصافي ج ١ ص ٢٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٤٦٤ والبيان لآية الله الخوئي ص ٢٤٢ و ٢٤٣ و (ط دار الزهراء سنة ١٣٩٥) ص ٢٢٣ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج ١ ص ٢٣٩ والوفاي ج ٢، كتاب الحجة، باب ٧٦ ص ١٣٠. وراجع: كنز العمال ج ٢ ص ٣٧٣، وفواتح الرحموت (بهامش المستصفي) ج ٢ ص ١٢.

علي (عليه السلام) جمع القرآن في عهد النبي (صلى الله عليه وآله):

ومما يدل صراحة على أنه (عليه السلام) كان قد جمع القرآن في عهد الرسول، ما روي عنه (عليه السلام):
(.. ما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها، وأملاها علي؛ فكتبتها بخطي. وعلمي تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها إلخ..)^(١).

١- كتاب سليم بن قيس ص ٩٩ و (ط النجف) ص ١٠٦ و (ط أخرى) ص ١٨٣ وبصائر الدرجات ص ١٩٨ و (منشورات الأعلمي سنة ١٤٠٤) ص ٢١٨ والكافي ج ١ ص ٦٤ والخصال ص ٢٥٧ وكمال الدين ج ١ ص ٢٨٤ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٧ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و (ط دار الإسلامية) ج ١٨ ص ١٥٢ و ١٥٣ وتحف العقول ص ١٩٦ والمسترشد ص ٢٣٥ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٢٣٠ وج ٣٦ ص ٢٧٥ وج ٤٠ ص ١٣٩ وج ٨٩ ص ٤١ و ٩٩ والإحتجاج ج ١ ص ٢٢٣ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٤٨ والوافية للتوني ص ١٣٨ والأصول الأصلية ص ٢٧ والفوائد المدنية والشواهد المكية ص ٢٢٢ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٥٣ والصافي ج ١ ص ١٩ ونور الثقلين ج ١ ص ٣١٨ وكنز = الدقائق ج ٢ ص ٢٧ والبرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٦ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٢٧ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٥٨ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار ص ٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٦ و ١٤٣ ونهج السعادة ج ٧ ص ١٤٤ والمعيار والموازنة ص ٣٠٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٠٩ وشرح أصول الكافي ج ٢ ص ٣٠٦ والتمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٢٢٩ عنه، وأكذوبة تحريف القرآن، عن بعض من تقدم.

وعن علي (عليه السلام): لو ثبت لي الوسادة؛ لأخرجت لهم مصحفاً، كتبته، وأملاه عليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١).

علي (عليه السلام) يجمع القرآن بعد الرسول (صلى الله عليه وآله):
ومن النصوص الدالة على جمعه فور وفاته، ما رواه أبو العلاء العطار، والموفق خطيب خوارزم، في كتابيهما، بالإسناد: عن علي بن رباح: (أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر علياً (عليه السلام) بتأليف القرآن؛ فألفه، وكتبه) (٢).

بل قد يدل هذا النص على أن ذلك كان في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه.

١- مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٢٠ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥ وج ٨٩ ص ٥٢.

٢- مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٢٠ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥ وج ٨٩ ص ٥٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ وج ٤ ص ٥٩٨.

هذا.. وقد أمره النبي (ﷺ) بأن يتسلم القرآن الذي عنده، وأن يجمعه، وقد كان في الصحف، والجريد، والقرطاس، في بيته (ﷺ) خلف فراشه، حتى لا يضيع، كما ضُيِّع التوراة، والإنجيل.

فجمعه علي (عليه السلام) في ثوب أصفر، ثم ختم عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتى أجمعه..
قال: (.. كان الرجل ليأتيه؛ فيخرج إليه بغير رداء، حتى جمعه..)^(١).
زاد البعض: (فكان أول مصحف جمع فيه القرآن من قلبه..)^(٢).

١- راجع: بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٤٨ وراجع ص ٥٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٥١ والصافي ج ١ ص ٤٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٧٢٦ ومقدمة تفسير البرهان ص ٣٦ والمحنة البيضاء ج ٢ ص ٢٦٤ ومجمع البحرين ج ١ ص ٣٩٩. وراجع: الإتيقان ج ١ ص ٥٧، والوافي ج ٥ ص ٢٧٤، وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٤ و ٤٥ و ٦٤ وتاريخ القرآن للأبياري ص ٨٤ و ١٠٦ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ١٦ وأكذوبة تحريف القرآن ص ١٧ عنه، وعن المصاحف للسجستاني. وراجع: فتح الباري ج ٩ ص ١٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١.

٢- راجع: شواهد التنزيل ج ١ ص ٣٦ والبيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص ٥٠٣ وتاريخ القرآن للأبياري ص ٨٤ والفهرست لابن النديم ص ٣٠ وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٣١٧ و ٣١٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٧ ص ٥٢٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ و ج ٤ ص ٥٩٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للنجفي ج ١ ص ٧.

وقيل: إنه جمعه بعد موت النبي (ﷺ) بستة أشهر^(١).

وهذا بعيد.. فهناك أحداث عديدة جرت في تلك الفترة كان علي (عليه السلام) حاضراً وناظراً، ومؤثراً فيها.

وحلفه (عليه السلام): أن لا يرتدي رداء حتى يجمع القرآن، ثم تخلفه ليجمعه، ثم عتاب عمر له علي تخلفه عن بيعة أبي بكر، قد ذكر في مصادر أخرى أيضاً^(٢).

-
- ١- المناقب لابن شهرآشوب ج ٢ ص ١٤٠ و ١٤١ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥ وج ٨٩ ص ٥١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ وج ٤ ص ٥٩٨.
 - ٢- المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٤٥٠ وفي هامشه عن أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٨٧ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٧ و ٣٨ وراجع: والإستيعاب ج ٣ ص ٩٧٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٩٨ و ٣٩٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٧ والوفاي بالوفيات ج ١٧ ص ١٦٧ ونجح الإيمان ص ٥٧٩ وينابيع المودة ج ٢ ص ٤٠٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ و ٥٩٧ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٣٥٥ وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٧ وكنز العمال ج ٢ ص ٣٧٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ٢ ص ٥٨٨ وج ١٣ ص ١٢٨ وتاريخ الخلفاء ص ١٨٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٤١ عن أبي نعيم، وعن الخطيب في الأربعين، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٣١٧ و ٣١٦ وراجع: الإحتجاج ج ١ ص ٩٨ و ٢٨١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٣٨ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٩١ وج ٢٩ ص ٤١٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٧ ص ٥٢٧ وج ١٨ ص ٢٥٤.

وهذه الروايات تفسر لنا بشكل واضح ما ورد: من أنه صلوات الله وسلامه عليه، قد جمع القرآن بعد وفاة النبي (ﷺ) بثلاثة أيام^(١).

فإن المقصود: أنه بدأ جمعه في الأيام الثلاثة الأولى، أو أنه الف القرآن الذي كان خلف فراش النبي (ﷺ) ورتبه ونسقه ونظمه، وجمعه في خيط واحد.. وكان فيه النسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.. وغير ذلك مما تضمنه مصحف علي (عليه السلام)..

إذ يبعد أن يكون المقصود: أنه (عليه السلام)، قد كتب القرآن في ثلاثة أيام، إلا على سبيل الاعجاز، ولا يمكن أن يكون المقصود: أنه حفظه، كما يقوله البعض^(٢)، لأنه كان حافظاً له منذ بدء نزوله.

١- الفهرست لابن النديم ص ٣٠ والأوائل للعسكري ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥ وتاريخ القرآن للأبياري ص ٨٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ وج ٤ ص ٥٩٨ ومقدمة تفسير البرهان ص ٣٧ وتفسير فرات ص ٣٩٩. وأكذوبة تحريف القرآن ص ٦٢ عن بعض من تقدم، وعن المصنف لابن أبي شيبه ج ١ ص ٥٤٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للنجفي ج ١ ص ٧ وعلوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم ص ٢١. وراجع: بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٤٩.

٢- راجع: أكذوبة تحريف القرآن ص ١٦ عن تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين ص ٧١.

مواصفات مصحف علي (عليه السلام):

وقد صرحت الروايات والنصوص بميزات كانت لمصحف علي (عليه السلام)، فقد قال المفيد (رحمته الله) وغيره: إن علياً كتب في مصحفه تأويل بعض الآيات، وتفسيرها بالتفصيل^(١). وقال هذا الشيخ الجليل حول المصحف الموجود، ومقايسته بمصحف أمير المؤمنين (عليه السلام). (..ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام)، من تأويله، وتفسير معانيه، على حقيقة تنزيله. وذلك كان ثابتاً، منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى، الذي هو القرآن المعجز، وقد سمي تأويل القرآن قراناً. قال تعالى: **(وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)**^(٢)؛ فسمى تأويل القرآن قراناً)^(٣). وقال المفيد أيضاً: قدم المكّي على المدني، والمنسوخ على الناسخ، ووضع كل شيء منه في محله^(٤).

١ - عن المفيد في الإرشاد، والمسائل السروية، راجع: تاريخ القرآن ص ٤٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩، عن عدة الرجال للأعرجي.

٢ - الآية ١٤٤ من سورة طه.

٣ - أوائل المقالات ص ٥٥ و (ط دار المفيد) ص ٨١ وبحر الفوائد ص ٩٩ عنه، وتفسير شير ص ١٧.

٤ - عدّة رسائل للمفيد ص ٢٢٥ والمسائل السروية ص ٧٩ وبحر الأنوار ج ٨٩ ص ٧٤.

وعن علي (عليه السلام): (ولقد أحضروا الكتاب كَمَلاً، مشتتلاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ، والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف، ولا لام؛ فلما وقفوا على ما بينه الله، من أسماء أهل الحق والباطل، وأن ذلك إن أظهر نقص^(١)، ما عهدوه، قالوا: لا حاجة لنا فيه..)^(٢).
وقال الأبياري: (ويروي غير واحد: أن مصحف علي، كان على ترتيب النزول، وتقديم المنسوخ على الناسخ..)^(٣).

وقال الشيخ الصدوق: (قال أمير المؤمنين (عليه السلام)، لما جمعه؛ فلما جاء به؛ فقال لهم: هذا كتاب الله ربكم، كما أنزل على نبيكم، لم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف.

١ - لعل الصحيح: نقض.

٢ - الإحتجاج ج ١ ص ٣٨٣ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٣٨٣ وبحار الأنوار ج ٩٠ ص ١٢٥ ومجمع البيان ج ٦ ص ٥٤ وكنز الدقائق ج ٢ ص ٣١٢ ونور الثقلين ج ١ ص ٤٢١ والصافي ج ١ ص ٤٧ والبيان في تفسير القرآن ص ٢٤٢ وبحر الفوائد ص ٩٩.

٣ - تاريخ القرآن للأبياري ص ٨٥ عن تاريخ القرآن للزنجاني ص ٢٦. وراجع: أعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ عن السيوطي في الإتيقان، عن ابن أبي داود، وراجع: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٣١٧ والمدخل إلى فقه الإمام علي لمحمد عبد الرحيم مُجَد (ط دار الحديث - القاهرة) ص ٣٨.

فقالوا: لا حاجة لنا فيه، عندنا مثل الذي عندك.

فانصرف، هو يقول: (فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً؛ فبئس ما يشترون)^(١).
وتقدم: أن أول صفحة فتح عليها أبو بكر، وجد فيها فضائح القوم، أعني: المهاجرين
والأنصار؛ فخافوا فأرجعوه إليه، ثم أمروا زيد بن ثابت بجمع القرآن لهم..
وقال ابن سيرين: إن علياً كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ.
وعنه: تطلّبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة؛ فلم أقدر عليه^(٢).
وعنه أنه قال: فبلغني: أنه كتبه على تنزيله؛ ولو أصيب ذلك الكتاب

١- الإعتقادات في دين الإمامية للصدوق، باب: الإعتقاد في مبلغ القرآن ص ٨٦ وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٤١ وبصائر الدرجات ص ٢١٣ والكافي ج ٢ ص ٦٣٣ وج ٦ ص ٢٢١ وتهذيب الأحكام ج ٩ ص ٤ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٤ ص ١٣٨ و (ط دار الإسلامية) ج ١٦ ص ٣٣٧ والإحتجاج ج ١ ص ٣٨٣ وبحار الأنوار ج ٩٠ ص ١٢٦.
٢- الإتيقان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٨ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٦٢ ومناهل العرفان ج ١ ص ٢٤٧ وتاريخ القرآن للزنجاني ص ٤٨ والصواعق المحرقة ص ١٢٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط صادر) ج ٢ ص ٣٣٨ وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٣١٧ وأعيان الشيعة ج ٤ ص ٥٩٧.

لوجد فيه علم كثير^(١).

أو قال: لو أصيب ذلك الكتاب؛ لكان فيه العلم^(٢).

وعن ابن جزي: لو وجد مصحفه (عليه السلام)؛ لكان فيه علم كثير^(٣).

وعن الزهري: لو وجد لكان أنفع، وأكثر علماً^(٤).

هذا.. ولا نستبعد: أن يكون هذا المصحف هو نفس المصحف، الذي دفعه أبو الحسن الرضا

(عليه السلام) إلى البنزطي، وقال له: لا تنظر فيه.

١- الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٢٥٣ و (ط دار الجليل) ج ٣ ص ٩٧٤ والتمهيد ج ٨ ص ٣٠١ والوافي بالوفيات ج ١٧ ص ١٦٧ وراجع: الصواعق المحرقة ص ١٢٦.

٢- راجع: تاريخ الخلفاء ص ١٨٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٠١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ والبرهان (المقدمة) ص ٤١ عن سمط النجوم العوالي. وكنز العمال ج ٢ ص ٣٧٣ عن ابن سعد، والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٢٥٣. وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٣١٦ وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه للسيد مير محمد زرندي ص ١٢٨ و ١٤٠.

٣- التمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٢٢٦ عن التسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ٤ وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ١٤٠.

٤- فواتح الرحموت، بهامش المستصفي ج ٢ ص ١٢.

قال: ففتحتة، وقرأت فيه: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(١)؛ فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش، بأسمائهم، وأسماء آبائهم.

قال: فبعث إلي: أن ابعث إليّ بالمصحف^(٢).

وليس في رواية الكشي: أنه قال له: لا تنظر فيه.. وهو الصواب؛ إذ لا معنى لأن يعطيه إياه، ثم يمنعه من القراءة فيه، إلا إذا كان يريد أن يختبره بذلك.. فيكون البنزطي قد سقط في الإختبار!! وفي أخبار أبي رافع: أن النبي ﷺ قال في مرضه، الذي توفي فيه لعلي: (يا علي، هذا كتاب الله خذه إليك).

فجمعه في ثوب، فمضى إلى منزله؛ فلما قبض النبي ﷺ جلس علي؛ فألفه كما أنزل الله، وكان به عالماً^(٣).

١- الآية ١ من سورة الكافرون.

٢- البرهان (المقدمة) ص ٣٧ ومناهل العرفان ج ١ ص ٢٧٣ والكافي ج ٢ ص ٦٣١ والصافي ج ١ ص ٤١ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٤٢ ومسند الإمام الرضا (عليه السلام) للطاردي ج ١ ص ٣٨٥ وج ٢ ص ٤٢٧ وشرح أصول الكافي ج ١١ ص ٨٢ والمحنة البيضاء ج ٢ ص ٢٦٢. ٢٦٣. وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٥٤ وإختيار معرفة الرجال ص ٥٨٩ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٨٥٣ والوافي ج ٥ ص ٢٧٣.

٣- مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٥ وج ٨٩ ص ٥٢ عنه، وأعيان الشيعة ج ١ ص ٨٩ وج ٤ ص ٥٩٨.

أين هو مصحف علي (عليه السلام)؟!:

قد يمكن أن نستظهر من رواية البنزطي السابقة: أن ذلك المصحف، الذي دفعه إليه الإمام الرضا (عليه السلام)، كان هو مصحف علي (عليه السلام).

ولكن ذلك لا يكفي لإثبات ذلك، كما هو ظاهر..

ولكن ثمة نصوص أخرى، تفيد: أن هذا المصحف موجود الآن عند الإمام الحجة المنتظر، قائم آل محمد (صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطاهرين)، وسيخرجه حين ظهوره، إن شاء الله تعالى..^(١).

ولعله هو القرآن الذي ورد في الروايات: أنه يعلمه للناس، وأنه يخالف التأليف المعروف للمصحف..

خصائص مصحف علي (عليه السلام):

ويتضح من النصوص الآنفة الذكر: أن مصحف علي (عليه السلام)، يمتاز بما يلي:

١- الكافي ج ٢ ص ٤٦٢ وبصائر الدرجات ص ١٩٣ والإحتجاج ج ١ ص ٢٢٨ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٢٢٥ وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٤٢. ٤٣. وراجع: المحجة البيضاء ج ٢ ص ٢٦٣، ومصباح الفقيه (كتاب الصلاة) ص ٢٧٥ والصافي ج ١ ص ٤٣ وج ٥ ص ١٢٩ وج ٧ ص ١٠٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٢٢٦ ومكيال المكارم ج ١ ص ٦١.

- ١ . إنه كان مرتباً على حسب النزول .
ففتح عن ذلك ان :
 - ٢ . قَدّم فيه المنسوخ على الناسخ .
 - ٣ . كتب فيه تأويل بعض الآيات بالتفصيل .
 - ٤ . كتب فيه تفسير بعض الآيات بالتفصيل، على حقيقة تنزيهه . ولعله كتب فيه التفاسير المنزلة تفسيراً من قبل الله سبحانه على حد الأحاديث القدسية .
 - ٥ . فيه المحكم والمتشابه .
 - ٦ . لم يسقط منه حرف ألف، ولا لام . ولم يزد فيه حرف، ولم يسقط منه حرف .
 - ٧ . فيه أسماء أهل الحق والباطل .
 - ٨ . كان بإملاء رسول الله (ﷺ) وخط عليّ (عليه السلام) .
 - ٩ . كان فيه فضائح القوم . أعني: المهاجرين والأنصار . من الشخصيات التي لم تتفاعل مع الإسلام، كما يجب . ومنه ذكر المنافقين بأسمائهم ونحو ذلك .
أمران لا بدّ من التنبيه عليهما :
- الأول: إن ما ذكر من خصائص وميزات في مصحف عليّ (عليه السلام)، يوضح لنا السر في صعوبة تعلمه في زمن ظهور الحجة (عليه السلام) ؛ فقد روي عن أبي جعفر (عليه السلام)، قوله:

(إذا قام القائم من آل مُحَمَّد (ﷺ)، ضرب فساطيط لمن يعلم الناس القرآن على ما أنزله الله عزّ وجلّ، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنه يخالف فيه التأليف)^(١).

الثاني: اتضح: أن مصحف عليّ (عليه السلام)، لا يفترق عن القرآن الموجود بالفعل، إلا فيما ذكر.. وقد اعترف بهذه الفوارق، علماء أهل السنة، ومؤلفوهم، ومحدثوهم، كما يظهر من ملاحظة النصوص المتقدمة، ومصادرها..

فمحاولة البعض اعتبار ذلك من المآخذ على الشيعة، على اعتبار: أن قرآناً آخر، يخرج الإمام الحجة (عليه السلام)، يختلف عن القرآن الفعلي..^(٢).

إن هذه المحاولة بعيدة عن الإنصاف، وليس لها ما يبررها على الإطلاق؛ فالقرآن هو القرآن، وإضافة بعض التفسير والتأويل، وترتيبه حسب النزول، لا يوجب اختلافاً في أصله وحقيقته..

١- روضة الواعظين ص ٢٦٥ وراجع: الغيبة للنعماني ص ٣١٨ و ٣١٩ والإرشاد للشيخ المفيد ص ٣٦٥ وبحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٩ والأنوار البهية ص ٣٨٤ ونور الثقلين ج ٥ ص ٢٧ وكشف الغمة ج ٣ ص ٢٦٥ واليزام الناصب ج ٢ ص ٢٤٧ ومكيال المكارم ج ١ ص ٦٠.

٢- راجع: الشيعة والسنة ص ١٣٨.

وراجع: كذبوا على الشيعة للسيد محمد الرضي الرضوي ص ١٩ ووركت السفينة لمروان خليفات ص ٦٠٤ عن كتاب دفاع عن العقيدة والشريعة.

ما كتبه الرسول (ﷺ) من القرآن لم يصل إلى الخلفاء:

إن الروايات السابقة، وكذلك حديث جمع زيد للقرآن من العسب واللخاف، وصدور الرجال، يؤكد: على أن زيدا لم يكتب مصحفه، اعتماداً على المصحف الذي كتب بحضرة رسول الله (ﷺ)، كما يدعى البعض، ويُدعى أيضاً: أنه كان في بيت عائشة^(١).

بل هو قد كتب مصحفاً للخليفة وأعوانه، ولم يذكر فيه المحكم والمتشابه، ولا غير ذلك مما هو في مصحف علي (عليه السلام) الذي تسلّمه بأمر من النبي (ﷺ) نفسه، كما أسلفنا. وتقدم: أنه (عليه السلام) قد جاءهم به، فلما رأوا أنه قد كتب فيه، ما لا يروق لهم؛ رفضوه، واكتفوا بجمع مصحف لهم، من عسب، ورقاع أخرى، ومن صدور الرجال، حسبما صرحت به رواياتهم.

١- صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٦ ص ٩٨ وج ٨ ص ١١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٤١ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ١٦ وج ٢٤ ص ٢٦٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٧ والبيان في تفسير القرآن ص ٢٤٠ والبرهان للزركشي ج ١ ص ٢٣٣ و ٢٣٨ الإتيان في علوم القرآن ج ١ ص ٥٥ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٦١ وإكليل المنهج في تحقيق المطلب للكرباسي ص ٥٤٤ وإمتاع الأسماع ج ٤ ص ٢٤٤ وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص ١٨٠ ومناهل العرفان ج ١ ص ٢٤٢ وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ١٣٣.

المراد بالتنزيل:

وتقدم قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (..ولقد أحضروا الكتاب كَمَلاً، مشتتماً على التنزيل والتأويل)^(١).

والظاهر: أن المراد بالتنزيل: هو نفس القرآن..

أو: شأن نزول الآيات، كذكر أسماء المنافقين، ونحو ذلك..

أو: التفاسير، التي أنزلها الله تعالى على رسوله؛ شرحاً لبعض الآيات، مما لا سبيل إلى معرفته، إلا بالوحي، والدلالة الإلهية، كما هو الحال في بيان كيفية الصلاة، ومقادير الزكاة.. ومعاني كثير من الآيات، التي تحتاج إلى توقيف منه تعالى؛ فينزل الله ذلك على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ ولا يكون ذلك قرآناً، بل هو من قبيل الأحاديث القدسية، التي هي وحي إلهي أيضاً.

ولعل ما ورد في بعض الروايات، التي سُجِّلت فيها بعض الإضافات، وقول الإمام (عليه السلام): (هكذا أنزلت). يهدف إلى الإشارة إلى نزول تفسيرها من قبل الله سبحانه.

١ - الإحتجاج ج ١ ص ٣٨٣ و (ط دار النعمان) ج ١ ص ٣٨٣ وبحار الأنوار ج ٩٠ ص ١٢٥ ومجمع البيان ج ٦ ص ٥٤ وكنز الدقائق ج ٢ ص ٣١٢ ونور الثقلين ج ١ ص ٤٢١ والصافي ج ١ ص ٤٧ والبيان في تفسير القرآن ص ٢٤٢ وبحر الفوائد ص ٩٩.

ويمكن أن يكون قد مزج هذا التفسير النازل بالآية، على سبيل البيان والتوضيح. باعتماد طريقة يتميز معها ما هو قرآن منزل عما هو تفسير منزل.

وكان التفسير المزجي معروفاً آنئذ، فقد جيء عمر بقرآن كتب على سبيل التفسير المزجي، فدعا بالمقراضين، وصار يفصل به الآية عن تفسيرها^(١).

أما التأويل، فالمراد به ما تنتهي إليه الأمور، من حيث تحقق مداليلها. قال آية الله الخوئي (رحمته الله): (ليس كل ما نزل من الله وحياً، يلزم أن يكون من القرآن؛ فالذي يستفاد من الروايات في هذا المقام: أن مصحف عليّ (عليه السلام)، كان مشتملاً على زيادات: تنزيلاً، أو تأويلاً.

ولا دلالة في شيء من هذه الروايات؛ على أن تلك الزيادات هي من القرآن. وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء المنافقين في مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فإن ذكر أسمائهم لا بد وأن يكون بعنوان التفسير.

ويدل على ذلك: ما تقدم من الأدلة القاطعة، على عدم سقوط شيء من القرآن. أضف على ذلك: أن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) مع المنافقين تأبى ذلك، فإن دأبه تأليف قلوبهم، والإسرار بما يعلمه من نفاقهم. وهذا واضح لمن له أدنى اطلاع على سيرة النبي (صلى الله عليه وآله)، وحسن أخلاقه؛ فكيف يمكن أن يذكر أسماءهم في القرآن، ويأمرهم بلعن أنفسهم، ويأمر سائر المسلمين بذلك، ويحثهم عليه، ليلاً ونهاراً؟! وهل يحتمل ذلك؟! حتى

١- راجع: المصنف لابن أبي شعبة ج ٧ ص ١٨٠ وكنز العمال ج ٢ ص ٣١٥.

ينظر في صحته وفساده!! (١).

ولكن لا يخفى أن السيد الخوئي يحتاج إلى بيان، فإن المنافقين وأهل المعاصي على أقسام:
الأول: أولئك الذين ظهرت منهم القبائح، وأذوا رسول الله، في نفسه وفي عترته من أمثال
الحكم بن أبي العاص.. وغيره ممن سعوا في إضلال الناس، وإطفاء نور الله.
وقد لعن الله هذا الصنف، وأمر بلعنهم، ونهى عن قبول صدقاتهم، وعن الاستغفار لهم، وعن
الصلاة عليهم، والقيام على قبورهم.. وغير ذلك.. ولا ضير في ذكر أسماء هؤلاء وفضحهم. وقد
ذكر النبي (ﷺ) أسماء بعض المنافقين لحذيفة بن اليمان.
الثاني: أولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. ثم تابوا، فأولئك عسى الله أن يتوب
عليهم.

الثالث: أولئك الذين هم مرجون إلى أمر الله، إما أن يعذبهم، وإما يتوب عليهم.
والقسمان الثاني والثالث يحسن الستر عليهما، امتثالاً لأمر الله بالرفق بهم. أما القسم الأول
فيحسن التبرؤ منه، والتحاشي عنه وسائر ما ذكرناه آنفاً، ولا ينافي ذلك حسن الخلق. بل محبوب
ومطلوب لله تعالى.

١ - البيان في تفسير القرآن ص ٢٤٤ . ٢٤٥ وراجع: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ٣١٣ و ١٥١ .

وهذا بالذات يوضح لنا: كيف أن في سورة الأحزاب فضائح الرجال والنساء، من قريش، وغيرهم، حسبما روي عن الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه)، حيث أضاف قوله: (يا ابن سنان، إن سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب، وكانت أطول من سورة البقرة، ولكن نقصوها، وحرفوها)^(١).

فإن المراد: أنهم حذفوا منها التفسير النازل، الذي جاء ليبين المراد منها، فهو من قبيل تحريف المعاني، كما تقدم بيانه.

ولكن آية الله السيّد الفاني (رحمته الله)، قد أورد على هذه الرواية: بأنه ليس من اللائق التحدث عن مساوئ النساء في القرآن^(٢).
ونقول:

المراد بمساوئ النساء ما هو من قبيل حديث الله سبحانه عن تظاهر بعض نساء النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وعن موضوع الملاعنة في الزنى، وغير ذلك..

١- راجع: ثواب الأعمال ص ١٣٧ و (منشورات الشريف الرضي - قم) ص ١١٠ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٣٥ وج ٨٩ ص ٥٠ و ٢٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٥ ص ١٠٥ والصافي ج ٤ ص ٢٠٩ وج ٦ ص ٧٦ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٣٣ ومقدمة تفسير البرهان ص ٣٧ وراجع: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ٣١٥ عن البرهان، ومناهل العرفان ج ١ ص ٢٧٣.

٢- آراء حول القرآن ص ١٨٤.

فما ذكره (ﷺ)، لا يصلح مانعاً.

فلعل المراد بكونها فضحت نساء قريش: أنه قد نزل في تفسير سورة الأحزاب بعض ما فعلته بعض نساء قريش تماماً، كما تحدث تعالى عن امرأة أبي لهب، حمالة الحطب، وعن امرأة نوح، وامرأة لوط، وغيرهن، وذكر بعض ما فعلن..

لو قرئ القرآن كما نزل:

وأخيراً.. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قوله: لو قرئ القرآن كما أنزل، لألفينا (لألفيتمونا) فيه مسمين^(١).

أي أن أسماءهم (ﷺ)، قد أنزلها الله سبحانه، تفسيراً لبعض الآيات.. كما هو الظاهر..

ويلاحظ: أن علياً (عليه السلام)، قد كتب القرآن كما أنزل، وعرضه عليهم، ورفضوه..

والرواية الآنفة الذكر تقول: لو قرئ القرآن كما أنزل، أُلّفينا فيه مسمين..

وعن رسول الله (ﷺ): (لو أن الناس قرؤوا القرآن كما

١ - تفسير البرهان ج ١ ص ٢٢ وعدة رسائل للمفيد ص ٢٢٥ والمسائل السروية ص ٨٠ وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٧٤ ونور الثقلين ج ٤ ص ١٢ والبيان في تفسير القرآن ص ٢٣٠ وتفسير العياشي ج ١ ص ١٣ وراجع هامشه.

أنزل، ما اختلف اثنان^(١) .

فنستفيد من ذلك:

أولاً: إن معرفة الناس بالتفسيرات التي أنزلها الله سبحانه، وفيمن نزلت الآية، ومتى نزلت و..
و.. إلخ.. من شأنه أن يعرف الناس على المخلص، والمزيف، وعلى الصحيح والسقيم، ويقطع
الطريق على المستغلين، وأصحاب الأهواء، من النفوذ إلى المراكز الحساسة، ثم التلاعب بالإسلام،
وبمفاهيمه، وقيمه.

وثانياً: إننا نجد الكثير من الروايات، التي زخرت بها المجاميع الحديثية والتاريخية لأهل السنة،
تشير إلى حدوث بعض الاختلافات في قراءة القرآن. مع أن القرآن . كما روي عن أبي جعفر
وسياقي . واحد، من عند الواحد، ولكن الإختلاف يجيء من قبل الرواة.
فلو أن القرآن قرئ كما أنزل، لما اختلف اثنان حقاً، وإنما نشأ الإختلاف؛ لأن كل راو أراد أن
يقرأ بلهجته، ويدخل تفسيراته، وتأويلاته، أو نحو ذلك..

١ - الوافي ج ٥ ص ٢٧٤ وبحار الأنوار ج ٨٩ ص ٤٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٥١ ونور الثقلين ج ٥ ص ٧٢٦.

الفصل الثاني: يقتلوها.. ويسترضونها..

علي (عليه السلام) يتوسط لأبي بكر وعمر:
ومرضت السيدة الزهراء (عليها السلام) فجاء أبو بكر وعمر يعودانها، فلم تأذن لهما.
فجاء ثانية من الغد، فأقسم عليها أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأذنت لهما.
فدخلها عليها، فسلما.
فردت رداً ضعيفاً، (وفي غير هذه الرواية: أنها لم ترد عليهما) ثم قالت لهما: سألتكما بالله الذي
لا إله إلا هو، أسمعتما قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقي: من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني
فقد آذى الله.
قالا: اللهم نعم.
قالت: فأشهد أنكما آذيتما^(١).

١- بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٥٧ وفي هامشه عن: مصابيح الأنوار ص ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٥ والغدير ج ٧ ص ٢٢٩
وعن إحقاق الحق ج ١٠ ص ٢١٧ وغيرهما.
وراجع: دلائل الإمامة ص ١٣٤ و ١٣٥ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٠ و ١٨١ و ١٥٧ والإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٠
والدر النظيم ص ٤٨٤ واللمعة البيضاء ص ٧٧٥ و ٨٥٢ و ٨٦١ و ٨٦٢ وعوالم العلوم ج ١١ ص ٤١١ و ٥٠٤
والمناقب لابن = = شهر آشوب ج ٣ ص ٣٦٢ وشرح نخب البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٨١ وأعلام النساء ج ٤ ص ١٢٣
و ١٢٤.

ونقول: هنا أمور تحتاج إلى إيضاح:

لماذا يتوسط لهما علي (عليه السلام)؟!:

١ . لقد كان من الحق أن تمتنع الزهراء (عليها السلام) عن قبول هذين الرجلين، لكي يعرف الناس

كلهم: أنهما لم يفعلوا شيئاً لتلافي ما بدر منهما..

وأن ما يصدر عنهما من كلام طيب، وودود إنما هو على سبيل المجاملة، وذر الرماد في العيون، دون أن يكون وراءه أي فعل يؤكد أو يؤيده.. بل هم يريدون به الحصول على البراءة أمام أعين الناس ليتخلصوا بذلك من سلبات ما فعلوه.

٢ . ثم كان من اللازم: أن يتوسط لهما علي (عليه السلام)، لكي يسمعا، ويسمع الناس كلمات

الزهراء (عليها السلام) لهم، وموقفها منهم.

٣ . ثم يأتي دفن الزهراء (عليها السلام) ليلاً، تنفيذاً لوصيتها، ليكون الدليل القاطع على استمرار هذا

الغيظ منهما؛ وليكون إرغاماً لمعاطس المحرفين والمزورين، حين لا بد لهم من الإقرار بأنهما (عليهما السلام)

ماتت وهي واجدة على أبي بكر، ومهاجرة له.

هل أذنت الزهراء (عليها السلام) لهما؟!:

وقد ذكرت الرواية السابقة: أن الزهراء (عليها السلام) أذنت للشيخين

بعيادتها بعد أن أقسم عليها أمير المؤمنين (عليه السلام).
ونقول:

إن ذلك موضع ريب كبير، فقد ذكرت الروايات: أن الزهراء (عليها السلام) بعد إصرار أمير المؤمنين (عليه السلام)، قالت له: البيت بيتك، والحرمة زوجتك، إفعل ما تشاء^(١).

وفي نص آخر: أن عمر توسط لدى علي ليدخل أبا بكر على الزهراء (عليها السلام)، بعد أن أتياها مراراً، فكانت تأبى أن تأذن لهما، فكلهما، فلم تأذن.

فقال: فإني ضمننت لهما ذلك.

قالت: إن كنت قد ضمننت لهما شيئاً، فالبيت بيتك، والنساء تتبع الرجال، ولا أخالف عليك، فأذن لمن أحببت.

ثم ذكر أنها (عليها السلام) لم ترد السلام عليهما. فراجع^(٢).

وهذا معناه: أنها لم تأذن، لأن البيت بيت علي (عليه السلام)، وهو حر

١- بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٠٣ وج ٤٣ ص ١٩٨ وكتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٦٩ واللمعة البيضاء ص ٨٧١ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ١ ص ١٩١ والأنوار العلوية ص ٣٠١.

٢- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٠٣ واللمعة البيضاء ص ٨٧٤ وعلل الشرايع ج ١ ص ٢٢١ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٨٥هـ) ج ١ ص ١٧٨ والدر النظيم ص ٤٨٤ ومجمع النورين للمرندي ص ١٤٣ وبيت الأحران ص ١٧٢.

في أن يأذن لمن يشاء.

وقد حاولت بعض نصوص الرواية تلطيف الموضوع، فبعد أن ذكرت أن الزهراء (عليها السلام) لم تأذن لهما، قالت: فأتيا علياً، فكلماه، فأدخلهما عليها^(١).

هل رضيت الزهراء (عليها السلام) عن الشيخين؟!:

صرحت بعض روايات هذه الحادثة: بأنه بعد أن هدأت تلك الفورة مشى أبو بكر إلى فاطمة (عليها السلام) فشفع لعمر، وطلب إليها، فرضيت عنه^(٢).

ونقول:

أولاً: قال المعتزلي: (الصحيح عندي: أنها ماتت وهي واجدة على أبي

١- الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٢٠ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ٣١ والغدير ج ٧ ص ٢٢٩ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٥٧ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٨ ومصباح الهداية ص ٢١٨ وبيت الأحران ص ٨٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٢١٧ وج ٢٥ ص ٥٤١ وج ٣٣ ص ٢٧٥ و ٣٥٩.

٢- راجع: بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٢٢ وتشبيد المطاعن ج ١ ص ٤٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٤٩ والرياض النضرة ج ١ ص ١٥٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٨٩. والسقيفة وفدك للجوهري ص ٧٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٥٧ و ١٥٨ وغاية المرام ج ٥ ص ٣٢٦ وبيت الأحران ص ١١٣.

بكر وعمر، وأنها أوصت أن لا يصلها عليها..^(١).

ثانياً: راوي هذا الحديث هو عامر الشعبي.. وقد روى العشرات من الحفاظ والرواة: أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر على حد سواء^(٢).

١- شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٥٠. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص ١٥٧ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٢٢ وبيت الأحران ص ١١٣.

٢- راجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ٤٢ و ج ٥ ص ٨٢ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٥٤ ومسند أحمد ج ١ ص ٦ و ٩ ومشكل الآثار ج ١ ص ٤١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ و ٣٠١ وعمدة القاري ج ١٥ ص ١٩ و ج ١٧ ص ٢٥٨ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٥٣ و ٥٧٣ ومسند الشاميين للطبراني ج ٤ ص ١٩٨ ونصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٣٦٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٢٨ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ٣١٥ ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٩٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٠٦ و ٢٨٥ وكنز العمال ج ٧ ص ٢٤٢ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ٥ ص ٦٠٤ وتاريخ المدينة لابن شبة النميري ج ١ ص ١٩٦ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١٣ ص ١٥٩ والسير النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٦٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ٤٦ والسير الحلبية ج ٣ ص ٣٦١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٧٤ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١١٢ و ج ٣٠ ص ٣٨٦ وفتح الباري ج ٦ ص ١٩٧ و ج ٧ ص ٤٩٣ و (ط دار المعرفة) ج ٦ ص ١٣٩ والجامع الصحيح = للترمذي ج ٤ ص ١٨٥ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٢٠ و (تحقيق الشيرازي) ج ١ ص ٣١ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢١ وشرح النووي لصحيح مسلم ج ١٢ ص ٧٧. والإكمال في أسماء الرجال ص ١٦٨ وأبو هريرة لشرف الدين ص ١٣٨ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٢١٨ و ٤٠٥ والعمدة لابن البطريق ص ٣٩٠ و ٣٩١ والطرائف لابن طاووس ص ٢٥٨ ووصول الأخبار إلى أصول الأخبار ص ٦٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٢٢ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٤١٢ والنص والإجتهد ص ٥١ و ٥٩ والغدير ج ٧ ص ٢٢٧ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٧٤٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للحنفي ج ٨ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ واللمعة البيضاء ص ٧٥٨ ومجمع النورين للمرندي ص ٢٣٨ وفلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي ص ١٥٧ ونهج الحق للعلامة الحلي ص ٣٥٩ وإحقاق الحق (الأصل) للسندي ص ٢٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٤٧٨ و ج ٢٥ ص ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٨ و ج ٣٣ ص ٣٥٦.

ثالثاً: إن ثمة نصاً آخر لهذه القضية يقول: (فلما وقع بصرهما على فاطمة عليها السلام)، فلم تردّ عليهما، وحولت وجهها عنهما، فتحولاً، واستقبلاً وجهها حتى فعلت ذلك مراراً.
وقالت: يا علي، جاف الثوب.
وقالت للنسوة حولها: حولن وجهي، فلما حولن وجهها حولاً إليها

الخ...).

إلى أن تقول الرواية: (ثم قالت: اللهم أشهدك . فاشهدوا يا من حضرنى . أنهما قد آذيانى فى حياتى وعند موتى . والله لا أكلمكما من رأسى حتى ألقى ربي) .
وهى تقول: والله لأدعون عليك فى كل صلاة أصليها^(١) .
عدم رد السلام:

قد صرحت هذه الرواية: بأنها (ﷺ) لم ترد السلام على أبى بكر وعمر .
ومن الواضح: أن رد السلام على المسلم واجب .. والزهراء (عليها السلام) أتقى وأبر من أن تخالف حكماً شرعياً فى أى من الظروف والأحوال، كما دلت عليه آية التطهير .
فلا بد أن تكون قد رأت فى الجراة التى أظهرها على رسول الله (ﷺ)، ورميه بالهجر ونحوه .
ثم فى عدم الاكتراث بنص القرآن الكريم فى موضوع الإرث، وما

١ - راجع: علل الشرائع الباب ١٤٨ ص ٢٢٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٨٦ والغدير ج ٧ ص ٢٢٩ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٠٣ واللمعة البيضاء ص ٨٧٤ وبيت الأحزان ص ١٧٢ . وراجع: الإمامة والسياسة ص ٢٠ وأعلام النساء ج ٤ ص ١٢٣ و ١٢٤ ورسائل الجاحظ ص ٣٠١ .

أفأءه الله على رسوله من دون أن يوجف عليه بخيل ولا ركاب. رغم تذكرها لهم به.
ثم في نسبة أحكام إلى رسول الله (ﷺ)، لم يقلها جزمًا.
ثم في قتل النفس المحرمة، بإسقاط جنينها المحسن وسواه.
إنما رأيت في ذلك كله. ما يجعل رد السلام على من فعل ذلك غير ذي موضوع..
الإستدراج للإعتراف:

ويلاحظ القارئ هنا: الأسلوب البديع الذي انتهجته لاستدراجهما إلى الإعتراف بصدقها^(١).
ثم الإعتراف بما ترويه لهما عن رسول الله (ﷺ)؛ لتسجيل موقفها المستند إلى ذلك الإعتراف،
لكي يبقى نوراً يهدي إلى الحق على مَرِّ الدهور وكَرِّ العصور.

١- راجع على سبيل المثال: اللمعة البيضاء ص ٨٣٦ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٤ و ٨٧٥ وكتاب سليم بن قيس
جص ٨٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٠٣ و ٣٠٣ و ٢٠٤ و ج ٢٩ ص ٣٩٠ و ج ٤٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ وعلل الشرايع ج ١
ص ٢٢١ و ٢٢٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٨٦ و ١٨٧ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٨١ والأنوار
العلوية ص ٣٠١ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٤ والشافي في الإمامة ج ٤ ص ١١٥ والأسرار الفاطمية
للمسعودي ص ٤٦٧.

رواية دلائل الإمامة صحيحة:

روى مُجَّد بن جرير بن رستم الطبري، عن مُجَّد بن هارون بن موسى التلعكبري، عن أبيه، عن مُجَّد بن همام، عن أحمد البرقي، عن أحمد بن مُجَّد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الله بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

قبضت فاطمة (عليها السلام)، في جمادى الآخرة، يوم الثلاثاء، لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة. وكان سبب وفاتها: أن قنفذاً - مولى عمر - لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها.

وكان الرجال من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سألوا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - أن يشفع لهما إليها، فسألها أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلمَّا دخلا عليها قالوا لها: كيف أنتِ يا بنت رسول الله؟! قالت:

بخير بحمد الله، ثمَّ قالت لهما: ما سمعتمَا النبي يقول:

(فاطمة بضعةٌ مِنِّي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟).

قالا: بلى.

قالت: فوالله لقد آذيتماي..

قال: فخرجا من عندها (عليها السلام)، وهي ساخطة عليهما [انتهى].

وسند هذه الرواية صحيح كما ترى..

ولكن بعضهم اعترض بقوله:

ذكرتم في السند (عبد الله بن سنان)، وليس (ابن سنان) كما هو موجود في البحار.
والغريب في الأمر أن عبد الله بن مسكان يروي عن عبد الله بن سنان، وليس العكس، كما
هو مذكور في كتب الرجال.

والذي يروي عن عبد الله بن مسكان، هو مُجَّد بن سنان، وليس عبد الله بن سنان.. وروايات
مُجَّد بن سنان عن ابن مسكان كثيرة في الكتب الأربعة..

فهل ترون أن عبد الله بن سنان يروي أيضاً عن ابن مسكان؟!
وهل عثرت على روايات أخرى؟! أم أن هذه الرواية هي الوحيدة التي يرويها عبد الله بن سنان
عن ابن مسكان؟!!

وأجبنا بما يلي:

لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

١ - إنهم يقولون: إن ابن سنان يروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)..

وقيل: إنه يروي عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، ولم يثبت..^(١)

مع أنهم يذكرون أنه كان خازناً للمنصور، والمهدي، والهادي،

١ - راجع: بهجة الآمال ج ٥ ص ٢٣٨ عن النجاشي، والخلاصة، وابن داود. وجامع الرواة للأردبيلي ج ١ ص ٤٨٧

وراجع: رجال الخاقاني ص ٣٤٧

والرشيد..^(١) والرشيد تولى الخلافة في سنة ١٧٠ للهجرة، فابن سنان إذن قد مات بعد ابتداء خلافة الرشيد أي بعد سنة ١٧٠ هـ..

وإذا كان الإمام الصادق (عليه السلام) قد استشهد في سنة ١٤٨ للهجرة، فلماذا لم يرو عن الإمام الكاظم (عليه السلام) مع أنه قد عاصره هذه السنين الطويلة؟! هل لأنه كان (عليه السلام) في المدينة، وهو كان في بغداد مع الخلفاء، يعمل لهم خازناً، ولا يستطيع أن يلتقي بالإمام بسبب ذلك؟!.. أم أن السبب غير ذلك؟!..

٢ . ومن جهة أخرى، فقد عد الشيخ في رجاله: ابن مسكان من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام)، وعدّه المفيد من فقهاء أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (عليه السلام)..^(٢) وعدّوه من أحداث أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً..

فابن مسكان قد عاصر الإمامين الصادق والكاظم (عليه السلام)، على حد سواء، ولكنه لم يرو . كما يقولون . عن الإمام الصادق (عليه السلام) سوى حديث واحد، هو: من أدرك المشعر، فقد أدرك الحج ..

١- راجع: بحجة الآمال ج ٥ ص ٢٣٨ عن النجاشي، والخلاصة، وابن داود. وجامع الرواة للأردبيلي ج ١ ص ٤٨٧.

٢- راجع: تنقيح المقال ج ٢ ص ٢١٦. وراجع: قاموس الرجال للتستري ج ١١ ص ١٢٦.

مع أنه كان من أروى أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام) ..
ويذكرون في سبب ذلك: أنه كان لا يدخل على أبي عبد الله (عليه السلام) شفقة من أن لا يوفيه
حق إجلاله، وكان يسمع من أصحابه، ويأبى أن يدخل عليه إجلالاً وإعظماً له..^(١)
وابن مسكان أيضاً قد مات في زمن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قبل الحادثة..^(٢)
والظاهر: أن المقصود بالحادثة هو نكبة البرامكة التي حصلت في سنة ١٨٦ للهجرة.

١- راجع: بحجة الآمال ج ٥ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ عن الكشي، وأبي داود، والخلاصة. واختيار معرفة الرجال للطوسي ج ٢ ص ٦٨٠ والإختصاص ص ٢٠٧ وخلاصة الأقوال للعلامة الحلبي ص ١٩٤ والرواشح السماوية ص ١١٠ وبحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٩٤ وخاتمة المستدرک ج ٤ ص ٤٣٠ والحبل المتين (ط.ق) للبهائي العاملي ص ٣٥ وجواهر الكلام ج ١٣ ص ٥٣ والتحرير الطاووسي ص ٣٣٦ وجامع الرواة ج ١ ص ٥٠٧ والرسائل الرجالية لأبي المعالي الكلباسي ج ٢ ص ٤٣ و ٤١٠ وج ٤ ص ٢٣١ ومستدرکات علم رجال الحديث ج ٥ ص ١٠٨ والكنى والألقاب ج ١ ص ٤٠٨.
٢- رجال النجاشي ص ٢١٥ وبحجة الآمال ج ٥ ص ٢٨٥ عنه، ورجال ابن داود ص ١٢٤ والفوائد الرجالية للكجوري الشيرازي ص ١٦٥ وتوضيح المقال للملا على كني ص ١٦٤ والرسائل الرجالية لأبي المعالي الكلباسي ج ٢ ص ٥٣ و ٢٨٣.

لكن المامقاني قال: أراد حادثة حمل الإمام من الحجاز عن طريق البصرة وحبسه، أو وقوع الوقف بعد موته.. (١).

وما ذكرناه لعله الأقرب..

٣ . مما تقدم يظهر: أن ابن سنان، وابن مسكان، كانا متعاصرين. وأنهما قد عاصرا الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام)، وكانا في خلافة الرشيد، قبل استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام)، على قيد الحياة..

وقد صرحت الروايات بموت ابن مسكان قبل استشهاد الإمام الكاظم (عليه السلام) ولم تصرح بذلك عن ابن سنان..

ولكن رغم هذه المعاصرة، فإن ابن سنان لم يرو عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، وابن مسكان لم يرو عن الإمام الصادق (عليه السلام) مباشرة..

وقد صرحت بعض النصوص بأن سبب عدم رواية ابن مسكان عن الإمام الصادق (عليه السلام) هو تهميه من الدخول عليه، خوفاً من أن لا يوفيه حقه، ولكنها لم تصرح بشيء بالنسبة لسبب عدم رواية ابن سنان، عن الإمام الكاظم (عليه السلام)..

٤ . إن ملاحظة أسماء الذين يروون عن ابن سنان، وعن ابن مسكان، تعطي أن عدداً منهم يروي عن هذا تارة، وعن ذاك أخرى..

٥ . إن مراجعة كلمات الذين يذكرون من يروي عن هذا أو عن ذاك،

١- راجع: تنقيح المقال ج ٢ ص ٢١٦.

تعطينا أيضاً: أن الإحصائيات التي يوردونها ناظرة غالباً إلى خصوص الكتب الأربعة: الكافي،
والتهذيب، والإستبصار، ومن لا يحضره الفقيه..^(١).

٦ . إحصائياتهم المشار إليها لا تمتع بالدقة في التتبع، فيقعون في الخطأ أحياناً.. وقد وقعوا في
الخطأ حتى في نفس هذا المورد الذي نحن بصدده.
فقد قالوا: إن ابن مسكان لم يرو عن الإمام الصادق (عليه السلام)، إلا حديث: من أدرك المشعر
فقد أدرك الحج..

مع أن ابن مسكان قد روى عن الإمام الصادق (عليه السلام)^(٢) في نفس الكتب الأربعة. وقد جاء
حديثه بلفظ: سمعت أبا عبد الله يقول.. فراجع الكافي، باب طلب الرياسة..

وبلفظ: سألت أبا عبد الله في باب السعي بين الصفا والمروة في كتاب التهذيب..
وبلفظ: عن أبي عبد الله.

وبلفظ: قال أبو عبد الله، كثير في الكافي والتهذيب..

وقال الوحيد البهبهاني في التعليقات:

قال جدي في شرح الفقيه: قد تقدم قريباً من ثلاثين حديثاً من الكتب الأربعة وغيرها عنه،
عن أبي عبد الله (عليه السلام).

إلا أن يقال: إن ذلك كله ليس صريحاً في روايته وسماعه المباشر من

١ - راجع كتاب: معجم رجال الحديث.

٢ - دلائل الإمامة ص ٢٨٤.

الإمام الصادق (عليه السلام) .. (١) .

ولكن هذا مرفوض بعد تصريحه بالسماع منه (عليه السلام) في الكافي في باب طلب الرياسة،
وتصريحه بسؤاله الإمام (عليه السلام) في باب السعي بين الصفا والمروة، كما في كتاب التهذيب ..
والقول بوقوع الاشتباه من قبل العلماء في هذا الأمر هو الأولى بالقبول والاعتماد ..
هذا على الرغم من أن هذا النفي يحتاج إلى إثبات تتبعهم التام للأحاديث، وأن تتبعهم يشمل
حتى غير الكتب الأربعة .. وهو موضع شك أكيد ..

٧ . إن العلماء حين يذكرون من يروي عن ابن سنان، وعن ابن مسكان، أو من يرويان عنه
يُتَّبِعُونَ كلامهم بكلمة: وغيرهم .. (٢) .

٨ . قال المامقاني وهو يعدد من يروي عن عبد الله بن مسكان: (والحسن بن الجهم، وابنه مُحَمَّد
بن عبد الله بن مسكان، وعبد الله بن سنان، وعلي بن رثاب، ومُحَمَّد بن علي، وغيرهم عنه ..) (٣) .
وقال المولى أحمد الأردبيلي وهو يتحدث عن عبد الله بن مسكان: (عنه

١ - راجع في ما تقدم: بحجة الآمال ج ٥ ص ٢٨٧ وتنقيح المقال ج ٢ ص ٢١٦ و ٢١٧ وتعليقة على منهج المقال
للوحيد البهبهاني ص ٢٣١ .

٢ - راجع: تنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٦ و ٢١٧ .

٣ - راجع: تنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٦ و ٢١٧ .

عبد الله بن سنان في باب من اشترط في حال الإحرام الخ..^(١).

٩ . ما المانع من أن يروي عبد الله بن سنان عن ابن مسكان خصوص هذه الرواية، حتى لو لم يرو عنه أية رواية أخرى..

بل حتى لو كان عبد الله بن سنان في مرتبة الشيخ بالنسبة لابن مسكان، فإن رواية الأكاير عن الأصاغر ليست بالأمر المستهجن..

١٠ . يلاحظ أن الطبري قد أورد هذه الرواية بنفس هذا السند في كتابه في موردتين أحدهما ص ٧٩ فقال:

(.. وحدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام، قال: روى أحمد بن محمد البرقي، عن أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الله بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام)^(٢).

والآخر في صفحة ١٣٤، قال: (حدثني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو علي محمد بن همام بن سهيل، قال: روى أحمد بن محمد بن البرقي، عن أحمد بن محمد الأشعري القمي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الله بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام)، قال:

١ - جامع الرواة ج ١ ص ٥١٠.

٢ - دلائل الإمامة ص ٧٩.

الخ..^(١).

فذكره للرواية في الموردین بطریقین إلى مُحَمَّد بن همام، ثم بسند واحد إلى أبي بصير يؤكد: أنه متعمد للتصريح بالاسم، وأنه لا يوجد اشتباه في السند..

وقد نقلها في البحار عنه، لكنه اختصر السند كعادته، وتصرف فيه، فقال: عن مُحَمَّد بن هارون بن موسى التلعكبري، عن أبيه، عن مُحَمَّد بن همام، عن أحمد البرقي، عن أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير..^(٢).

ونقل الحديث الأول متصرفاً فيه، ومختصراً له أيضاً فقال: عن أبي المفضل الشيباني، عن مُحَمَّد بن همام، عن أحمد بن مُحَمَّد البرقي، عن أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير..^(٣).

١١ . وبعد.. فإنهم حين يقولون: ابن سنان، فالمتبادر هو عبد الله، إلا إذا دلت قرينة على أن المراد به مُحَمَّد بن سنان. ويشير إلى ذلك: اختصار البحار لكلمة عبد الله بن سنان، وابن مسكان، في الموردین بقوله: ابن سنان، وابن مسكان..

١ - دلائل الإمامة ص ١٣٤.

٢ - راجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٠.

٣ - بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٩.

وقد وردت رواية ابن سنان عن ابن مسكان، من دون تصريح في الكافي..^(١).
وَحَمَلُهَا عَلَى أَنْ الْمُرَادَ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، لَا عَبْدَ اللَّهِ، مَجْرَدَ اسْتِحْسَانٍ، إِذْ إِنَّ الرَّجُلَيْنِ كَانَا
مُتَعَاَصِرَيْنِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ رِوَايَةِ كُلِّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ.. وَالْعَدُولُ عَمَّا شَاعَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ لَيْسَ لَهُ مَا
يُبَيِّرُهُ، إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى عَدَمِ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ ابْنِ مَسْكَانٍ أَصْلًا..
وَمَجْرَدُ كَثْرَةِ رِوَايَةِ مُحَمَّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْكَانٍ، لَا تَرْجِحُ كَوْنَهُ هُوَ الْمُرَادُ، وَلَا تُوجِبُ الْعَدُولُ عَمَّا هُوَ
شَائِعٌ فِي طَرِيقَةِ تَعْبِيرِهِمْ.

على أن رواية مُحَمَّدٍ عن ابن مسكان ليست بهذه الكثرة التي تمنع من إرادة غيره..
١٢ . إننا نعود فنكرر ونلخص: أنه حتى لو لم يرو عبد الله بن سنان عن ابن مسكان إلا هذه
الرواية، فإنه يؤخذ بها مع هذا التصريح المتعمد بالاسم في موردين من موارد النقل، الأمر الذي
يبيد احتمال الخلط، والاشتباه في الأسماء.. لأن رواية الأكابر عن الأصاغر هي بطبيعتها مبنية
على الندرة والقلة، وذلك حين يلفت نظره أمر لم يصل إليه عن غير هذا الطريق، فيبادر إلى نقله
عمن لا يضارعه في السن، ولا في المقام والمرتبة، ولا يعد من أقرانه..

١- راجع الكافي ج ١ ص ٢٦ باب: الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وعليه وج ٥ ص ٨٤ باب: كراهية النوم
والفراغ.

فكيف إذا كان لم يثبت ذلك، بل كانت القرائن تشير إلى أنه من أقرانه، كما تقدم!! وقد عدّوه من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ..

وأما الإشكال على الرواية بعدم إمكان رواية البرقي، وهو من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)، عن ابن سنان، وهو من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ..

فهو مردود.. لأن ابن سنان كان خازناً للرشيد، فهو من أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام)، وقد روى البرقي عن أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) كثيراً..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن الروايات لا تنحصر في الكتب الأربعة، فحتى لو لم يرد في الكتب الأربعة أية رواية لابن سنان، عن ابن مسكان، فإن ذلك لا يدفع رواية دلائل الإمامة، ولا يسقطها عن درجة الاعتبار..

الفصل الثالث: إستشهاد الزهراء (عليها السلام) أحداث وتفاصيل

يا سيدتي ما يبكيك؟!

عن جعفر بن محمد، عن آباءه (عليه السلام)، قال: لما حضرت فاطمة الوفاة بكت؛ فقال لها أمير المؤمنين: يا سيدتي ما يبكيك؟!

قالت: أبكي لما تَلَقَى من بعدي.

فقال لها: لا تبكي، فوالله، إن ذلك لصغير عندي في ذات الله^(١).

وفي هذا النص إشارة إلى العديد من الأمور الهامة، نقتصر منها على الأمرين التاليين:

يا سيدتي:

إن أمير المؤمنين (عليه السلام) يخاطب الزهراء بـ (يا سيدتي) وهذا أعلى درجات الإحترام والتقدير، من إنسان هو الغاية في الكمال وهو معدن الفهم، والعلم والمعرفة. ولديه وعنده، وإليه ترجع المعايير والقيم، التي على أساسها، ومن خلالها يكون الاحترام للناس، أو لا يكون.

١ - بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٨ عن مصباح الأنوار ص ٢٦٢ واللمعة البيضاء ص ٨٩٠ والأنوار البهية ص ٦٠ ومجمع النورين للمرندي ص ١٤٨ وبيت الأحزان ص ٢٧ و ١٧٧ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٣٣٠.

وهو يعيش مع الزهراء (عليها السلام) لسنوات عديدة تكفي لأن تكشف ما يسعى الناس للتستر عليه عادة.. وليست حياته معها قشرية وظاهرية، بل هي نافذة إلى الأعماق، تعطيه القدرة على الإطلاع على جميع الجهات والأحوال والأوضاع، وليس من المفروض أن تقف عند حد بعينه، سوى ما حدده الشرع الشريف..

وهي زوجته التي يعتاد عليها، وتسقط الكلفة معها، ولا يبقى فيها مجال للمجاملة، أو التظاهر بخلاف الواقع. وحاشاه وحاشاه!!

فيذا ظهر أن هذا الرجل بالذات يصل به الأمر في احترام امرأته إلى حد يخاطبها بـ: (يا سيدتي)، مع أنه قد عاشها طيلة هذه السنوات كزوجة، ورآها في صحتها، وفي مرضها، وفي حزنها وفرحها، وفي جميع أحوالها.

إن هذا إن دلّ على شيء، فهو يدل على عظمة تلك المرأة من جهة، وأنها قد فرضت عليه احترامها إلى هذا المستوى..

ويدل أيضاً: على تقوى وورع هذا الرجل، وعلى ما يتمتع به من كريم المزايا، وحميد الخصال.. أبكي لما تلقى بعدي:

وليس من المستهجن على أي كان من الناس إذا حضره الموت، أن يبكي لهول المطلع، ورهبة الموقف، أو خوفاً من أن يكون قد قصر في الإعداد والإستعداد لهذا الأمر..

ولكن الأهم والأعظم قيمة، والأكثر دلالة على استحقاق سيدتنا

الزهراء (عليها السلام) لأن يخاطبها سيد الأوصياء بـ (يا سيدي): هو أنها لم تكن تبكي عند حضور أجلها من أجل نفسها، بل كانت تبكي لأجل سيدها وإمامها (صلوات الله وسلامه عليه وعليها).

وذلك إن دلّ على شيء، فهو يدل أيضاً على معرفتها بحقيقة علي (عليه السلام)، كفر، وكأمة، وكإمام!! ويشير إلى عمق ثقته به، ويدل أيضاً على معرفتها بزمانها، وبأهلها وبأطماعهم، وبأساليبهم، ومدى بعدهم عن الإلتزام بأحكام الله، وشرائعه.

ثم هو يدل على وقوفها على حجم التحديات التي ستواجهه (عليه السلام)، كفر، وكأمة، وكإمام!! وعلى مستويات التحمل التي يحتاج إليها في تصدده لها..

ويدل أيضاً: على رهافة حسها، وطبيعة اهتماماتها، وسمو أهدافها.

ويدل أخيراً: على أنها واثقة بما أعد الله لها من نعيم مقيم، ومن روح وريحان وجنة نعيم.. فهي كزوجها لو كشف لها الغطاء ما ازدادت يقيناً.

وجاء جوابه (عليه السلام) بلسماً لجراحها، وسكينة على قلبها، ورضاً لروحها، حين طمأنها بقوله: (إن ذلك لصغير عندي في ذات الله)^(١).

١- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٨ عن مصباح الأنوار ص ٢٦٢ واللمعة البيضاء ص ٨٩٠ والأنوار البهية ص ٦٠ ومجمع النورين للمرندي ص ١٤٨ وبيت الأحزان ص ٢٧ و ١٧٧ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٣٣٠.

تجهيز الزهراء (عليها السلام) ودفنها:

١ - روي: أن فاطمة الزهراء (عليها السلام) قالت لعلي (عليه السلام): إن لي إليك حاجة يا أبا الحسن!
قال: تقضى يا بنت سول الله (صلى الله عليه وآله).

فقلت: نشدتك بالله، وبحق محمد رسول الله أن لا يصلي علي أبو بكر وعمر؛ فإني لا كتمتك حديثاً، قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة! إنك أول من يلحق بي من أهل بيتي، فكنت أكره أن أسوءك.

قال: فلما قبضت أتاها أبو بكر وعمر، وقالوا: لم لا تخرجها حتى نصلي عليها؟!
فقال: ما أرانا إلا سنصبح.

ثم دفنها ليلاً. ثم صور برجله حولها سبعة أقبور.

قال: فلما أصبحوا أتوه، فقالوا: يا أبا الحسن! ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم نحضرها؟!
قال: ذلك عهدا إليّ..

قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: هذا والله شيء في جوفك!

فثار إليه أمير المؤمنين، فأخذ بتلابيبه، ثم جذبه، فاسترخى في يده، ثم قال: والله، لولا كتاب سبق وقول من الله!!

والله لقد فررت يوم خيبر، وفي مواطن، ثم لم ينزل الله لك توبة حتى الساعة.

فأخذه أبو بكر، وجذبه، وقال: قد نهيته عنك^(١).

٢ . وذكر نص آخر: أنها (عليها السلام) أوصت علياً (عليه السلام) بما أهمها من أمر أولادها، وغسلها، ونعشها، وغيرها من الأمور الخاصة، ثم أوصت بأن لا يشهد أحد جنازتها من الذين ظلموها، فإنهم عدوها وعدو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن لا يصلي عليها أحد منهم، ولا من أتباعهم، وأن يدفنها بالليل، إذا هدأت العيون، ونامت الأبصار.

فلما توفيت (عليها السلام) صاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة، وكادت أن تتزعزع المدينة من صراخهن. واجتمع الناس.

وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخرجها في هذه العشية. فقام الناس وانصرفوا.

فدفنها (عليها السلام) في الليل، وحضرها وصلى عليها: علي، والحسنان (عليهما السلام)، وعمار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبو ذر، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم. وسوى علي (عليه السلام) حوالي قبرها قبوراً مزورة سبعة، حتى لا

١ - مصباح الأنوار ص ٢٥٩ و ٢٦٠ و بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١١٢ و ١١٣ و اللمعة البيضاء ص ٨٦٢ وراجع: كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٨٧٠ و ٨٧١.

يعرف قبرها^(١).

٣ - وفي نص آخر: أخرجها إلى البقيع، ومعه الحسن والحسين (عليهما السلام)، وصلى عليها^(٢).

٤ - ويقال: أصبح في البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبراً جدداً، وإن المسلمين جاؤوا إلى البقيع فوجدوا فيه أربعين قبراً، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور.

(فضج الناس، ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لم يخلف نبيكم فيكم إلا بنتاً واحدة، تموت وتدفن، ولم تحضروا وفاتها، والصلاة عليها، ولا تعرفون موضع قبرها)؟!.

وقد حاول ولاة الأمر منهم أن يأتوا بنساء لنبش قبر الزهراء، والصلاة عليها، (ورؤية أو) زيارة قبرها.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فخرج مغضباً، وقد احمرت عيناه، ودرت أوداجه، وعليه قبأؤه الأصفر، الذي كان يلبسه في كل كربة،

١ - اللعة البيضاء ص ٨٦٨ و ٨٦٩ وروضة الواعظين ص ١٥١ و ١٥٢ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩٢ و الأنوار البهية ص ٦٢ والأنوار العلوية ص ٣٠٤ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥٠ وبيت الأحزان ص ١٨١ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٣٣٦.

٢ - دلائل الإمامة لابن رستم الطبري ص ١٣٦ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧١ واللعة البيضاء ص ٨٥٢.

وهو متوكئ على سيفه ذي الفقار، حتى ورد البقيع، وهو يقسم بالله: لئن حوّل من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الآخر..

فلما بلغهم خبر مجيئه على هذا الحال، تلقاه عمر، ومن معه من أصحابه، وقال له: ما لك يا أبا الحسن! والله لننبش قبرها.

فضرب علي (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوبه، ثم ضرب به الأرض، وقال له: يا بن السوداء، أما حقي فقد تركته، مخافة أن يرتد الناس عن دينهم. وأما قبر فاطمة، فوالذي نفس علي بيده، لئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم. فإن شئت فأعرض يا عمر. فلتقاه أبو بكر، فقال: يا أبا الحسن، بحق رسول الله، وبحق من فوق العرش إلا ما خلقت عنه، فإنّ غير فاعلين شيئاً تكرهه.

قال: فخلي عنه، وتفرق الناس، ولم يعودوا إلى ذلك^(١).

٥ . وفي دلائل الإمامة: دفنها في الروضة، وحضر دفنها الحسنان، وزينب، وأم كلثوم، وفضة، وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى البقيع وصلى عليها، ولم يعلم بها ولا حضر وفاتها، ولا صلى عليها أحد من سائر

١- راجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧١ و ١٧٢ و راجع ص ٢١٢ ودلائل الإمامة ص ١٣٦ و ١٣٧ واللمعة البيضاء ص ٨٥٢ و ٨٥٣ والأنوار العلوية ص ٣٠٥ و ٣٠٦ و مجمع النورين للمرزدي ص ١٥٧ و ١٥٨ و بيت الأحزان ص ١٨٦ و ١٨٧ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٩ ص ١٧١. و راجع: علل الشرايع ج ١ ص ١٨٦ باب ١٤٩.

الناس غيره^(١).

٦ . عن علي (عليه السلام): أنه أخذ في أمرها، وغسلها في قميصها، ثم حنطها من فضلة حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكفنها.

قال: فلما هممت أن أعقد الرداء، ناديت: يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينه، يا فضة، يا حسن، يا حسين. هلموا تزودوا من أمكم، فهذا الفراق، واللقاء في الجنة.
فلما أقبل الحسنان (عليهما السلام)، وكلماها، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): إني أشهد الله أنها قد حنّت، وأنت، ومدّت يديها، وضمتها إلى صدرها ملياً. وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعهما عنها، فلقد أبكيا. والله. ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب.
قال: فرفعتها عن صدرها.

ثم ذكر (عليه السلام): أنه عقد الرداء، ثم حملها على يده، وأقبل بها إلى قبر أبيها.
ثم عدل بها إلى الروضة، فصلى عليها في أهلها ومواليه، وأصحابه، وأحبائه، وطائفة من المهاجرين والأنصار. ثم واراها، وألحدها في ألحدها^(٢).

١- دلائل الإمامة ص ١٣٦ وراجع: بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧١ والهداية الكبرى ص ١٧٨ واللمعة البيضاء ص ٨٥٢ ومجمع النورين للمرندي ص ١٤٦.

٢- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٩ . ١٨٠ باختصار، واللمعة البيضاء ص ٨٥٩ و ٨٦٠ = وراجع: الأنوار البهية ص ٦٢ وعن العوالم ج ٦ ص ٢٦١ والأنوار العلوية ص ٣٠٥ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥٣ وبيت الأحران ص ١٨٢.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات عديدة، نكتفي منها بما يلي:

علي (عليه السلام) لم يسأل الزهراء (عليها السلام) عن حاجتها:

جاء في الرواية المتقدمة: أن علياً (عليه السلام) تعهد بقضاء حاجة فاطمة، دون أن يسألها عنها، وما ذلك إلا لثقته (عليه الصلاة والسلام) بأنها (صلوات الله عليها) لا تطلب إلا ما هو خير وصلاح، ومشروع ومقدور ويرضى الله، ويقربها إلى الله؛ لأنها مطهرة، ومعصومة؛ ولأنها من حجج الله تبارك وتعالى ..

أعداؤها وأعداء الرسول (صلى الله عليه وآله):

وقد صرّحت الرواية المتقدمة: بأنها (عليها السلام) تعتبر ظالمياً أعداءً لها، وأعداءً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) .. رغم أن أبا بكر قد تظاهر لها بالكثير من المحبة والتودد في كلماته المعسولة حين جاء هو وعمر لعيادتها واسترضائها، وكذلك حين خطبت خطبتها المعروفة في المسجد في قصة فدك، التي بينت فيها عظيم ظلمهم لها، وعدوانهم على حقوقها.

وهذا يدل على: أنها (عليها السلام) تعتبر أن ما يظهره أبو بكر من كلام ودود ليس له حقيقة، بل

هو يدخل في سياق السياسة، والتمويه على

الناس لامتصاص حالة التشنج، والتخفيف من وقع ما ارتكبه في حقها.
فمثله كمثل الذي كان يعاني من مرض في عينيه، التي لا يزال يسيل الدمع منها، فصاد
عصفوراً، وهو مشغول بذبحه ودموعه تسيل، فرآه عصفوران كانا على الشجرة، فقال أحدهما
لصاحبه: انظر إلى هذا الصياد ما أرق قلبه، فهو يبكي رقة ورحمة للعصفور.
فقال له رفيقه: لا تنظر إلى دموع عينيه، بل انظر إلى فعل يديه.
وبذلك يقول أحد الشعراء:

فلا تنظري ليلى إلى العين وانظري إلى الكف ماذا بالعصافير تصنع
والخلاصة: إن الزهراء (عليها السلام) تعرف أن عمر قد قال لرسول الله (ﷺ) في مرض موته: إن
النبي ليهجرج، ولم تنس بعد هجوم هؤلاء الناس على بيتها، وضربها، وإسقاط جنينها، وإضرار النار
على بابها. إلى آخر ما هنالك مما يدل على عداوتهم لها، وعدم رعايتهم أية حرمة لأبيها.. فكيف
تصدق أنهم يحبونها وهم لم يغيروا شيئاً مما صنعوه، ولا أعادوا الحق الذي اغتصبوه؟! ولا.. ولا.
يا سكينه.. يا فضة:

وتقدم: أن علياً (عليه السلام)، نادى قبل أن يعقد الرداء بنات وأبناء الزهراء (عليها السلام)، بالإضافة إلى
فضة: أن هلموا فتزودوا من أمكم..
ونريد نحن هنا أن نشير إلى عدة نقاط:
الأولى: ذكر سكينه في جملة البنات اللواتي ناداهن.. يشير إلى وجود

بنت للزهراء (عليها السلام) بهذا الإسم أيضاً..

وقد ذكرنا ما يدل على ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب حين ذكرنا أولاده (عليها السلام).
فليراجع.

الثانية: ذكر فضة في جملة البنات اللواتي ناداهن، مع أنها لم تكن من بناتها (عليها السلام).. يؤكد
نظرة الإسلام الأصيل إلى الموالي، وأنه يراهن بمثابة الأخوة والأبناء..

الثالثة: يلاحظ هنا: أنه (عليها السلام) قد صرح بأسماء الجميع، مع أنه كان يمكنه أن يناديهم بواسطة
عنوان جامع، كأن يقول: يا أهل البيت، أو: أيها الحاضرون، هلموا إلى التزود من أمكم..
ولكنه (عليها السلام) أراد أن لا يتوهم متوهم: أنه أطلق الكلام على نحو التغليب، فانطباق الوصف
على فضة مثلاً قد لا يكون على نحو الحقيقة. فإذا صرح بالأسماء يكون قد أشعرهم جميعاً، بما
فيهم فضة بالإعزاز، والمحبة، بصورة مباشرة، وغير قابلة للتأويل..

ويزيد في تأكيد هذا المعنى: التنصيص على أمومة الزهراء لهم جميعاً، وبلا تمييز..
الرابعة: إنه (عليها السلام) قد نادى البنات أولاً، ثم نادى الحسنين (عليهما السلام)، وهي لفظة رائعة
وسديدة، جاءت منسجمة مع الموقف العاطفي، في أكثر اللحظات إثارة، وهي لحظة الفراق للأم،
التي يكون شعور بناتها بالحاجة إليها، وبعشق العلاقة معها أشد من شعور غيرهن.. وهكذا كان..

حَنَّتْ، وَأَنْتَ، وَمَدَّتْ يَدَيْهَا:

ونحن لا نستطيع أن نغفل الإشارة إلى أن ما ذكر في بعض الروايات من أنها (ﷺ) حَنَّتْ وَأَنْتَ.. ليس بالأمر الباطل، ولا المستجهن على أولياء الله سبحانه، ولا هو بعيد عن قدرة الله، إذ لا تستلزم نسبته إليه تعالى محذوراً عقلياً، يجعل الاعتقاد به في دائرة الباطل، علماً بأن علاقة الروح بالجسد، وإن كانت قد ضعفت بالموت بصورة كبيرة، ولكنها لم تنقطع بصورة نهائية وتامة. يدلنا على ذلك: وجود حساب القبر.. واستحباب زيارة القبور، وقراءة القرآن عندها وغير ذلك..

فلا مانع من أن يكون لبعض الأمور تأثير في زيادة العلاقة، وتقويتها لدى الأنبياء والأصفياء، أو بطلب منهم.. ولذلك نلاحظ: أن بعض الأموات يرجعون إلى الحياة بسبب طلب نبي، وبعضهم يتكلمون، أو يجيبون على بعض الأسئلة التي توجه إليهم من قبل نبي أو وصي نبي. وقصة بقرة بني إسرائيل التي ذبحوها، وضربوا ببعضها ذلك الميت فأحياه الله، وأخبرهم بما سألوه عنه، معروفة، ومصرح بها في القرآن.

قال تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) ^(١).

١ - الآية ٧٣ من سورة البقرة.

هل هذه الرواية مكذوبة؟!:

عن ورقة بن عبد الله الأزدي، عن فضة (رحمها الله) (التي كانت عند السيدة الزهراء (عليها السلام)) قالت في رواية مطولة: (فأقبل الحسن والحسين (عليهما السلام)، وهما يناديان: وا حسرتاه، لا تنطفئ أبداً.. فقدنا جدنا مُجداً المصطفى، وأمنا فاطمة الزهراء، يا أم الحسن، يا أم الحسين، إذا لقيت جدنا المصطفى فاقرئيه منا السلام، وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.. فقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): إني أشهد الله أنها قد حنت وأنت، ومدت يديها، وضمتهما إلى صدرها ملياً. وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن، ارفعهما عنها، فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب.

قال: فرفعتهما عن صدرها، وجعلت أعقد الرداء..^(١)

وقريب من ذلك ما روي عن أسماء بنت عميس..^(٢) أيضاً.

وهذه الرواية، وإن كانت لا تملك سنداً صحيحاً، ومعتبراً، لكن ذلك

١- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٤ . ١٨٠ . واللمعة البيضاء ص ٨٥٤ . ٧٦١ والأنوار العلوية ص ٣٠٢ . ٣٠٦ ومجمع النورين ص ١٥١ . ١٥٤ .

٢- راجع: الزهراء بحجة قلب المصطفى ص ٥٧٩ .

لا يعني لزوم ردها، والحكم ببطلانها، فإنه ليس بالضرورة أن يكون الحديث الضعيف مكذوباً.. وإنما تردُّ الرواية بصورة قاطعة.. إذا اشتملت على ما يخالف القرآن، أو المسلّمات الدينية بصورة عامة، أو ما يخالف ما تحكم به العقول.. أو ما يخالف الواقع العيني الخارجي. وليس الأمر في الرواية المشار إليها كذلك.. بل هي قد تضمنت أمراً يتصل بالغيب، وبالكرامة الإلهية للمصطفين من عباده الأكرمين..

وأمثال هذه الأمور مما تجوّز العقول وقوعها، ولا تحيلها.. غاية الأمر: أن إثبات حصولها يحتاج إلى الدليل المقنع والمعتبر، وحيث لا يوجد مثل هذا الدليل، فلا يصح ردها بصورة قاطعة، بل توضع في بقعة الإمكان، حتى يزود عنها قاطع البرهان..

ما أَرانا إلا سنصبح:

وقد اجاب علي (عليه السلام) أبا بكر وعمر حين طلبا منه إخراج الزهراء (عليها السلام) ليصليا عليها: (ما أَرانا إلا سنصبح).

وهذا من مفردات التورية البديعة، فإنه إنما أخبرهم عن ميله إلى الإعتقاد ببقائه حياً حتى الصباح. ولم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى ما سيفعله في موضوع دفن الزهراء، والصلاة عليها، وأين سيكون ذلك، ومتى.

كما أن كلمة أبي ذر لا تدل على أن تأخير التشييع سيستمر إلى اليوم

الثاني؛ لأنه إنما ذكر لهم: أن تشييعها سيتأخر في تلك العشية. ولم يحدد مقدار هذا التأخير.
علي (عليه السلام) يلمح لعمر باستحقاقه للقتل:
بالنسبة لقول علي (عليه السلام) لعمر: لقد فررت يوم خيبر وفي موطن، ثم لم ينزل الله لك توبة حتى
الساعة.

نقول: إنه تضمن تلميحاً أو تلويحاً بما أزعج عمر وأبا بكر بشدة، فهو يشير:
أولاً: إلى جبن عمر، وضعفه البالغ..
وثانياً: إن عدم إنزال الله له توبة يعني: أن الله تعالى لم يرض على عمر لأجل ذلك، ولأنه لم
يفعل ما يستحق به التوبة عليه..

وثالثاً: لعله يشير إلى أن ذلك يسوّغ مواجهته بما يستحقه من عقوبة الفارين من الزحف..
الذين شيّعوا جنازة فاطمة:

وقد ذكرت إحدى الروايات المتقدمة الزبير في جملة الذين حضروا دفن فاطمة.. وربما يكون
ذلك من إضافات الرواة، فإنها أوصته أن يدفنها سرّاً، ولا ندري إن كان الزبير يؤتمن على سر.
وتقدم عن دلائل الإمامة وغيره: أنه لم يعلم بها، ولا حضر وفاتها، ولا صلى عليها أحد من سائر
الناس غيره..

إِتخاذ النعش:

وقد أوصت الزهراء (عليها السلام): علياً (عليه السلام) بأن يتخذ لها نعشاً صوّرتة لها الملائكة، ووصفته له، فاتخذها لها^(١).

وهي أول من جعل لها النعش، كما رُوي عن الإمام الصادق (عليه السلام)^(٢).

١- مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٦٢ و (ط المطبعة الحيدرية) ج ٣ ص ١٣٧ واللمعة البيضاء ص ٨٦١ و ٨٦٨ و ٨٧٥ وروضة الواعظين ص ١٥١ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٨٨ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٨٢ و ١٩٢ و ٢٠٤ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٩٦ والأنوار العلوية ص ٣٠٣ ومجمع النورين ص ١٥٠ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٣٣٣.

٢- الكافي ج ٣ ص ٢٥١ وتهذيب الأحكام ج ١ ص ٤٦٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٢٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٨٧٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٦٤ و (ط المطبعة الحيدرية) ج ٣ ص ١٣٨ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٢ عن التهذيب، وج ٧٨ ص ٢٤٩ عن فقه الرضا، وراجع ص ٢٥٠ و ٢٨٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣٦٧ وراجع ص ١٦٢ و ٢٠٨ و ٢٧١ و ٢٩١ و ٣٥٦. وفقه الرضا ص ١٨٩ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٩٤ وراجع: دعائم الإسلام ج ١ ص ٢٣٣ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٩٦ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٦٢ وعون المعبود للعظيم آبادي ج ٨ ص ٣٣٨ والذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص ١٥٣ وناسخ الحديث ومنسوخه ص ٥٨٨ والطبقات الكبرى لابن = سعد ج ٨ ص ٢٨ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ١٣٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص ٩١ واللمعة البيضاء ص ٨٦٥ وشرح إحقاق الحق ج ١٠ ص ٤٧١ و ٤٧٥ وج ١٩ ص ١٧٧ وج ٢٥ ص ١٤ و ٥٤٨ وج ٣٣ ص ٣٨٢.

وروي أنها قالت لأسماء: استرني سترك الله من النار، يعني بالنعش^(١).
ولكن ثمة من يدعي: أن أسماء هي التي أشارت على الزهراء (عليها السلام) باتخاذ النعش، وأنها قد
رأته في بلاد الحبشة.
وروي ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً^(٢).
غير أن ذلك قد اقترن بطلب الزهراء (عليها السلام) منها: أن لا تحملها على سرير ظاهر.
فقلت أسماء: لا، لعمرى ولكن أصنع نعشاً كما رأيت يصنع بالحبشة.

١- مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٦٤ و (المطبعة الحيدرية) ج ٣ ص ١٣٨ والحدائق الناضرة ج ٤ ص ٨٩ ومستدركات
علم رجال الحديث ج ٨ ص ٥٤٨ وبيت الأحزان ص ١٧٣ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٤٧٥
وج ٢٥ ص ٥٤٩.
٢- تهذيب الأحكام ج ١ ص ٤٦٩ وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٢٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٢
ص ٨٧٦ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ٣٦٠ واللمعة البيضاء ص ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٦٥ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٢
وج ٧٨ ص ٢٥٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣٦٧ و ٣٦٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليها السلام) للنجفي ج ٨
ص ٢٥٣.

فقالت: أرنيه.

فأرّتها إياه^(٨).

وسبب طلب الزهراء، هذا هو: أنها (استقبحت ما يُصنع بالنساء: أنه يطرح على المرأة الثوب، فيصفها لمن رأى)^(٩).

مفارقة تحتاج إلى تفسير:

وفي حديث إصرار أبي بكر وعمر على الصلاة على فاطمة (عليها السلام) مفارقة تحتاج إلى تفسير، وهي: أنه إذا قورن موقفهم هذا بموقفهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين استشهادها، حيث غابوا عن جنازته، وأوكلوا أمر غسله، وتكفينه، والصلاة عليه ودفنه إلى أهله، وانصرفوا إلى العمل على الفوز بالخلافة، مغتتمين فرصة انشغال علي (عليه السلام) بجزارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ..

ولكن موقفهم في وفاة الصديقة اختلف إلى حدّ التناقض، حيث كانوا يريدون نبش القبور، واستخراج جسد الزهراء (عليها السلام)، رغم ما

١- راجع: وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٢٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٨٧٦ وج ٤٣ ص ١٨٩ وج ٧٨ ص ٢٥٠ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٥ واللمعة البيضاء ص ٨٦٥ عن كشف الغمة ج ٢ ص ١٢٦ والذرية الطاهرة ص ١٥٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣٦٨ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ١٠٨.

٢- راجع الهامش السابق.

يتضمنه ذلك من هتك حرمتها (صلوات الله وسلامه عليها).
إن هذا يجعلنا ندرك: أن السياسة هي التي أملت عليهم هذا الموقف وذاك على حد سواء،
فقضت بتجاهل جنازة رسول الله (ﷺ) هناك، ونش قبر الزهراء (عليها السلام) هنا، ولا نريد أن نقول
أكثر من ذلك.

الناس يلوم بعضهم بعضاً:

ولا ندري لماذا يتلهّف الناس على ما فاتهم من الصلاة على البنت الوحيدة لنبئهم، وهم الذين
خذلوا بالأمس، ولم ينصروها على من هاجمها، وضربها وحاول احراق بيتها عليها وعلى زوجها
وابنائها، وخالفوا بذلك وصية أبيها فيها؟!!

وماذا ينفع هذا التظاهر بالإعزاز والمحبة للزهراء (عليها السلام)، وكيف نفسره من أناس كانوا هم الذين
آذوها، وقتلوها.. أو سكتوا عما يجري عليها..

فما أحرى هؤلاء بقول عبید بن الأبرص:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي^(١)

١- راجع: خزنة الأدب للبغدادي ج ١١ ص ٢٧٣ ودرر السمط في خبر السبط لابن الأبار ص ٨٣ وتنزيل الآيات على
الشواهد من الأبيات ص ٣٦٧ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٦٥ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٢١٥.

ولاة الأمر ونبش قبر الزهراء (عليها السلام)؟!:

ثم إننا لم نجد أي اندفاع أو حتى تفكير لدى عامة الناس في نبش قبر الزهراء (عليها السلام)، للصلاة عليها، ولم نجدهم شجعوا عمر على موقفه.. بل اكتفوا بإظهار الأسف لعدم تمكنهم من حضور جنازتها، ولام بعضهم بعضاً.

بل جاءت الفكرة من قبل ولاة الأمر أنفسهم، حيث ظهر اندفاعهم الشديد لتنفيذ هذا الأمر، لولا أن سيف ذي الفقار حال بينهم وبين ذلك.

ومن حقنا أن نفهم سبب هذا الاندفاع القوي نحو هذا الأمر القبيح، الذي لا يرضاه أي ملتزم بالشرع، أو من يحترم نفسه، وإنسانيته..

ولعل الإجابة الأقرب للاعتبار هي: أنهم أدركوا، أن ما جرى سوف يسجله التاريخ.

ليكون إدانة صريحة لهم، ووصمة لا مجال لمحوها، ولا للتشكيك فيها. ولن يتضاءل تأثيرها مهما طال الزمن.

وأدركوا أيضاً: أنه لن يكون لهم في ظل هذه الإدانة أية قداسة، أو احترام، أو مقبولية لهم، أو ارتياح وجداني لدى الكثيرين ممن يطلعون على ما جرى، سواء أكانوا من المسلمين أو من غيرهم، من عقلاء الناس.. وإلى يوم القيامة..

تھافت في بعض الخصوصيات:

وقد يلمح الباحث تھافتاً في بعض الخصوصيات في الروايات، حيث

ذكر بعضها: أن المسلمين وجدوا في البقيع أربعين قبراً جدداً^(١). ولم يرش قبرها^(٢)، فأشكل عليهم الأمر، ولم يعرفوا قبر الزهراء (عليها السلام).

مع أن بعضها الآخر يقول: إنه (عليها السلام) خط برجله سبعة قبور فقط^(٣). إلا أن يكون قد خط أولاً سبعة، ثم أكملها إلى أربعين.

ولعل المسلمين قد وجدوا أولاً أربعين، ثم ذهبت علامات أكثرها

١- راجع: دلائل الإمامة ص ١٣٦ واللمعة البيضاء ص ٨٣٦ و ٨٥٢ و ٨٨٧ و ٨٦٤ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٩٠ ج ٣٠ ص ٣٤٩ وج ٤٣ ص ١٧١ و ١٨٣ و ٢١٢ و شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٨١ ومجمع النورين ص ١٤٧ والهداية الكبرى ص ١٧٩ و عيون المعجزات لابن عبد الوهاب ص ٤٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٤ والشافي في الإمامة ج ٤ ص ١١٥ وبيت الأحران ص ١٨٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٩ ص ١٧٠ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٣٣٧ و ٤٦٧.

٢- شرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٨١ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣٩٠ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٤ واللمعة البيضاء ص ٨٣٦ والشافي في الإمامة ج ٤ ص ١١٥ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٤٦٧.

٣- اللمعة البيضاء ص ٨٨٧ و ٨٦٤ و ٨٦٩ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٨٣ و ١٩٣ وروضة الواعظين ص ١٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨ والأنوار البهية ص ٦٣ والأنوار العلوية ص ٣٠٤ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥١ وبيت الأحران ص ١٨٣ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٣٣٧.

بسبب كثرة المترددين، وبقي أثر سبعة، فجاءت جماعة السلطنة، فوجدت هذه البقية، فأشكل الأمر عليها.

غضب علي (عليه السلام):

وأما غضب علي (عليه السلام) في محاولة نبش قبر الزهراء (عليها السلام)، فإنما كان غضباً لله تعالى.. لأنه يريد أن يمنعهم من هتك حرمة سيدة نساء العالمين (عليها السلام).

ولو أنهم أصروا على ذلك، وحدث الأسوأ من الإحتمالات، فإن كل الناس سوف يتفهمون صوابية موقف علي (عليه السلام)، إذ لا مبرر لنبش قبر، واستخراج شخص من قبره لمجرد أن فلاناً من الناس يريد الصلاة على ذلك الميت.. لا سيما إذا كان الميت امرأة، لها مقامها العظيم عند الله تعالى، وفي نبش قبرها هتك لحرمتها.. مع عدم وجود أي داعٍ لهذا الأمر، بعد أن دُفنت وفق أحكام الشرع الشريف، وأجريت جميع المراسم المطلوبة لذلك..

فكيف إذا كانت تلك المرأة المتوفاة لا ترضى بحضورهم جنازتها، ولا بالصلاة عليها، وقد تم استبعادهم بطلبٍ منها. لا سيما مع سوابقهم في توجيهه الإساءات الخطيرة إليها، التي بلغت حد ضربها، وإسقاط جنينها، وكون موتها بسبب ذلك الضرب بالذات.. وما يمثل ذلك من إساءة للدين تتجاوز كل حدّ.

وبذلك يتضح الفرق بين هذه الحالة التي لا يأبى فيها علي (عليه السلام) من المبادرة إلى أي تصرف رادع لمن يريد الإساءة للزهراء (عليها السلام) في قبرها.. وبين ما نشهده من وقوفه الصارم عند حدود لا

يتجاوزها في موضوع التصدي لغاصبي مقام الخلافة.

وذلك لكي لا يعرض الدين للخطر. ويكتفي بمجرد الإحتجاج، ويتحمل جميع أنواع الأذى لأجل حفظ الدين..

إن منعمهم من نبش قبر الصديقة الزهراء (عليها السلام)، هو عين الصواب حتى لو تفاقمت الأمور وبلغت إلى ما لا تحمد عقباه.

ويدل على ذلك: ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام)، من أنه قال: (إن الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر، لم يمنع أمير المؤمنين (عليه السلام) من أن يدعو إلى نفسه إلا نظراً للناس، وتخوفاً عليهم أن يرتدوا عن الإسلام، فيعبدوا الأوثان، ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وكان الأحب إليه أن يقرهم على ما صنعوا من أن يرتدوا عن الإسلام، وإنما هلك الذين ركبوا ما ركبوا.

فأما من لم يصنع ذلك، ودخل فيما دخل فيه الناس، على غير علم ولا عداً لأمر المؤمنين (عليه السلام)، فإن ذلك لا يكفره، ولا يخرج من الإسلام.

فلذلك كتّم علي (عليه السلام) أمره، وبايع مكرهاً، حيث لم يجد أعواناً^(١).

١ - الكافي ج ٨ ص ٢٩٥ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٥٥ و ٥٥ وج ٢٩ ص ٤٦٨ وج ٣٣ ص ١٥٤ وج ٤٤ ص ٢٣ وج ٦٩ ص ١٥٦ ومستدرك الوسائل ج ١١ = ص ٧٥ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٣ ص ٧ وج ٤ ص ٢٣٨ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص ١٣٧ و ٢١٥ و ٣٠٥ و ٤٥٩ والإحتجاج ج ٢ ص ٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٦٥ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤١٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤١ ومجمع النورين للمزني ص ٩٠ وغاية المرام ج ٢ ص ١٠٥ وج ٥ ص ١٩٧ وج ٦ ص ١٧ و ٢٥.

الفصل الرابع: خارج أجواء السياسة..

زمان وفاة الزهراء (عليها السلام):

وكانت وفاتها (عليها السلام) في السنة الحادية عشرة^(١).

١- مصباح المتجهد ص ٧٩٣ ودلائل الإمامة ص ٧٩ و ١٣٤ وذخائر العقبى ص ٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٤٠ وبحار الأنوار ج ١٦ ص ٧٨ وج ٤٣ ص ٩ و ١٨٨ و ٢١٥ وج ٩٥ ص ١٩٦ والأنوار البهية ص ٥٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) للنحفي ج ٨ ص ٢٥٣ وج ٩ ص ١٩٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١١ وفتح الباري ج ٧ ص ٨١ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٢٥٠ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٦٦ والذرية الطاهرة النبوية ص ١٥٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٤٠٠ والإستيعاب ج ٤ ص ١٨٩٩ وخلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ٤٩٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٦٢ وج ١٤ ص ٢٥٦ وتذهيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٥٢ والإصابة ج ٨ ص ٢٦٨ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص ١٨ وترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) لابن عساكر ص ٤٤١ والعدد القوية ص ٢٢٠ والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٩ ومجمع النورين للمرندي ص ٥١ وبيت الأحرار ص ١٨٩ وشرح إحقاق الحق = (الملحقات) ج ١٠ ص ٤٥٥ وج ١٩ ص ١٧٥ و ١٧٦ وج ٢٥ ص ٥٥٦ و ٥٥٩ و ٥٦١ و ٥٦٢ ونظم درر السمطين ص ١٨١.

- وفي رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام): أنها توفيت في السنة العاشرة^(١).
وقد اختلفت الروايات أيضاً في تحديد تاريخ ذلك ومقدار بقائها بعد أبيها على أقوال، هي:
١. أربعون يوماً^(٢).
 ٢. شهران (ستون يوماً)^(٣).

١- اللمعة البيضاء ص ٨٨٤ و ٨٨٥ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٥ ح ٤٥ وعن مقاتل الطالبين ص ٥٩.
٢- مقاتل الطالبين (ط المكتبة الحيدرية) ص ٣١ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٩٧ ح ٤٣ ص ٧ و ٢١٥ واللمعة البيضاء ص ٨٨٥ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥٥ و ١٥٧ و عيون المعجزات ص ٤٧ وتاريخ الأئمة (المجموعة) لابن خشاب البغدادي ص ١٠ ونظم درر السمطين ص ١٨١ وبيت الأحزان ص ١٨٩.
٣- مجمع النورين للمرندي ص ١٥٧ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ١٣٤ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٧ ح ٧٨ ص ٢٣٣ جامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ١٣٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٧٨ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٥٨ ومجمع النورين ص ١٤٨ و ١٥٥ و ١٥٧ وبيت الأحزان ص ١٦٩.

٣ . سبعون يوماً^(١) .

٤ . اثنان وسبعون يوماً^(٢) .

٥ . خمسة وسبعون يوماً^(٣) .

-
- ١ - مناقب أهل البيت (عليه السلام) للشيرازي ص ٢٣٢ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٢٣٢ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٦١ وبحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٨٢ جامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣٦٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٢٥٢ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٥٨ والإستيعاب ج ٤ ص ١٨٩٤ و ١٨٩٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٤ والتنبيه والإشراف ص ٢٤٩ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٥ .
- ٢ - السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١١ ومناقب أهل البيت (عليه السلام) للشيرازي ص ٢٣٢ ومجمع النورين ص ١٥٧ .
- ٣ - تاج المواليد (المجموعة) للشيخ الطبرسي ص ٢٢ ومناقب أهل البيت (عليه السلام) للشيرازي ص ٢٣٤ وتاريخ الأئمة (المجموعة) لابن خشاب البغدادي ص ١٠ وتاريخ الأئمة (المجموعة) للكاتب البغدادي ص ٦ وعيون المعجزات ص ٤٧ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٢٥ و ٥٢٦ والمختصر ص ٥٨ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٥ وينابيع المعاجز ص ١٣١ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٤٥ وج ٢٦ ص ٤١ وج ٣٦ ص ٣٠٨ وج ٤٣ ص ٧ و ٧٩ و ١٥٦ و ١٩٥ و ٢١٢ وج ٧٨ ص ٢٥٤ وج ٩٧ ص ٢١٦ وبصائر الدرجات ص ١٧٣ والكافي ج ١ ص ٢٤١ و ٤٥٨ وج ٣ ص ٢٢٨ وج ٤ ص ٥٦١ وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ٣٤١ وج ٧ ص ٢١٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٢٤ وج ١٤ ص ٣٥٦ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٨٧٩ وج ١٠ ص ٢٧٩ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٠٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ٩ و ١٣٥ وج ٣ ص ٣٥٣ و ٥٣١ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٠٥ وج ٨ ص ٢٤٢ ومسند الإمام الرضا ج ١ ص ١٣٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) للنجفي ج ٢ ص ٣٧٥ وج ٨ ص ٢٤٩ وج ١٠ ص ٣٠١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٧٨ ومنتقى الجمان ج ١ ص ٣٠٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٣١ والخصائص الفاطمية ج ٢ ص ٣٦٢ واللعة البيضاء ص ١٩٧ ومجمع النورين ص ١٦ و ١٥٦ و ١٥٧ ومجمع البحرين ج ٢ ص ٥٨٨ وج ٣ ص ٤١٤ وبيت الأحران ص ١٦٨ .

٦ . خمسة وتسعون يوماً (ليلة)^(١) .

٧ . مئة يوم^(٢) .

٨ . ثلاثة أشهر^(٣) .

١ - السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١١ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٢٥ وراجع: كفاية الأثر ص ٦٥ ونظم درر السمطين ص ١٨١ وبيت الأحران ص ١٨٩ .

٢ - بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٨٩ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٢٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٦٩ .

٣ - مقاتل الطالبين (ط المكتبة الحيدرية) ص ٣١ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٥ و ١٨٨ واللمعة البيضاء ص ٨٨٥ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥٥ و ١٥٧ = = وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٦٥ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٢٣٢ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٦٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٧٨ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٥٨ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٤ والتنبيه والإشراف ص ٢٤٩ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٥ .

٩ . أربعة أشهر^(١) .

١٠ . ستة أشهر^(٢) .

١ - السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١١ وتنبيه الغافلين لابن كرامة ص ٤١ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٩٠ .
٢ - السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٨٥ وج ٤ ص ٥٦٧ و ٦١١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٣٦٥ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣١٢ و ٣٥٣ و ٣٩٧ و ٣٩١ وج ٢٩ ص ١١٢ و ٢٠٢ و ٣٣٠ و ٣٨٩ و ٣٩١ وج ٤٣ ص ١٨٣ و ١٨٩ و ٢٠٠ وج ١٠٠ ص ١٨٤ و مناقب أهل البيت (عليه السلام) للشيرازي ص ٢٣٢ و ٢٣٤ و ٤١٢ والنص والإجتهد ص ٥١ و ٥٩ و مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ والعمدة لابن البطريق ص ٣٩٠ و ٣٩١ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٠٣ و ١٢٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٦٩ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥٧ والطرائف للسيد ابن طاووس ص ٢٣٨ و ٢٥٨ وكشف المحجة لابن طاووس ص ٧٧ وذخائر العقبي ص ٥٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٥٠ و ٥٢٢ والغدير ج ٧ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم = السلام) للنجفي ج ٨ ص ٢٥٥ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٢٥٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٤٩ و ٣٧١ واللمعة البيضاء ص ٧٥٦ و ٧٧٦ و ٨٣٥ و ٨٣٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ١٤١ وج ١٩ ص ١٠٥ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٧٤٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٤٨٨ و ٤٨٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٧٨ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٥٨ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٤ والتنبيه والإشراف ص ٢٤٩ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٥ وبيت الأحزان ص ١٨٩ .

١١ . ثمانية أشهر^(١) .

ونحن هنا نستميح القارئ عذراً عن الخوض في بحث تحديد أي واحد منها، ما دام أن هذا الإبهام أيضاً من موجبات تجديد ذكرها مرات عديدة في كل عام، ومن ثم تعريف الناس بمظلوميتها، واستفادة الدروس والعبر منها.

١ - السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١١ ومقاتل الطالبين (ط المكتبة الحيدرية) ص ٣١ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١٥ واللمعة البيضاء ص ٨٨٥ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٦٥ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ٢٣٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٦٨ وذخائر العقبى ص ٥٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٧٨ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٥٨ والإستيعاب ج ٤ ص ١٨٩٤ و ١٨٩٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٩ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٥.

مكان دفن الزهراء (عليها السلام):

اختلفت الرويات أيضاً في تحديد مكان دفن الزهراء (عليها السلام)، هل هو في البقيع؟! أو في الروضة؟! أو في بيتها؟!

ونحن وإن كنا نرجح أنها قد دفنت في بيتها، ولكننا نزيد على ذلك: أن الظاهر هو أنها قد دفنت مع النبي (صلى الله عليه وآله) في قبره فإن النبي مدفون في بيتها كما هو معلوم. ونستند في هذا الترجيح إلى ثلاثة أمور، هي:

١. إن ذلك أبعد عن احتمالات القوم، الذين سوف يصرون على معرفة مكان دفنها.. لأنهم يرون أن بقاءه مخفياً، يضر بهالة القداسة التي يريدونها لأنفسهم، بل هو يثبت ضدها، من حيث إنه يذكر الناس بمظلوميتها، واغتصابهم حقها، وعدوانهم عليها..

٢. أشارت بعض الروايات إلى: أن علياً (عليه السلام) حين صار بها إلى القبر المبارك خرجت يد فتناولتها، وانصرف^(١).

٣. إن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) التي خاطب بها رسول الله في تلك اللحظات تضمنت إشارة إلى ذلك، فهي تقول:

١- راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٦٥ و (ط دار النعمان) ج ٣ ص ١٣٩ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٨٤ واللعة البيضاء ص ٨٦٤ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥٦ و ١٥٨.

(السلام عليك يا رسول الله عني. والسلام عن ابنتك وزائرتك، والبائنة في الثرى بيقعتك)^(١).
٤ . سئل الإمام الهادي (عليه السلام): أهى في طيبة؟! أو كما يقول الناس في البقيع؟!
فقال (عليه السلام): هى مع جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٢).

١ - دلائل الإمامة ص ١٣٧ و ١٣٨ والأمالى للمفيد ص ٢٨١ والأمالى للطوسي ج ١ ص ١٠٩ واللمعة البيضاء ص ٨٦٠ وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٤٣٢ والكافي ج ١ ص ٤٥٨ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ٢١٥ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٧١٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) للنجفي ج ٨ ص ٢٥٠ وج ١١ ص ١٣ وج ١٢ ص ١٣٧ ونور الثقلين ج ١ ص ٣٣٧ وج ٤ ص ٢٥٦ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٢١٣ وكنز الدقائق ج ٢ ص ٨٥ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٤ وبشارة المصطفى ص ٣٩٦ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥١ و ١٥٦ وبيت الأحزان ص ١٨٣ والأسرار الفاطمية للمسعودي ص ٣٣٧.
٢ - إقبال الأعمال لابن طاووس ج ٣ ص ١٦١ وبهج الصباغة ج ٥ ص ٣٠٣، ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ١٩٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٠ ص ٢١٠ وبحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٢٦٢.

وأما بالنسبة للقبور التي خطها الإمام (عليه السلام) في البقيع، فلعله ليصرف أوهام القوم إلى أنها قد دُفنت في ذلك المكان.

وإنما نذكر ذلك كله على سبيل الإحتمال والترجيح، لا على سبيل الجزم والتصحيح.. ولا نرى داعياً لتجريد البحث في هذا الموضوع، ما دام أنها هي التي أرادت أن يبقى قبرها مخفياً، ليكون ذلك شاهد صدق على محتتها، وما جرى عليها، وسبيل رشاد، ومنار هداية. عبر الأيام والشهور، والأحقاب والدهور.

علي (عليه السلام) في وداع الزهراء (عليها السلام):

و عن الإمام الحسين (عليه السلام) قال: مرضت فاطمة (عليها السلام) ووصت إلى علي (عليه السلام) أن يكتب أمرها، ويخفي خبرها، ولا يؤذن أحداً بمرضها، ففعل ذلك. وكان يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس، على استسرار بذلك كما وصت به.

فلما قبضت فاطمة (عليها السلام) دفنها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعفى على موضع قبرها، ثم قام وحول وجهه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال:

(السلام عليك يا رسول الله..)

إلى أن قال: (قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، وأخلصت الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء!)

يا رسول الله، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، وهم لا يبرح من

قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم.
كمد مقبح، وهم مهيج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى الله أشكو.
وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها؛ فأحفظها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من
غليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بته سبيلاً. وستقول، ويحكم الله، وهو خير الحاكمين.
سلام مودع، لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد
الله الصابرين.

واه، واه، والصرير أيمن وأجمل.

ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً، ولأعولت إعوالم الثكلى على جليل
الرزية.

فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً؟! وتهضم حقها، وتمنع إرثها، ولم يتباعد العهد، ولم يُخلق منك
الذكر؟! الذكر!

وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء، وصلى الله عليك، و ﷺ
والرضوان^(١).

١- راجع المصادر التالية: نصح البلاغة (بشرح عبده) الخطبة رقم ٢٠٠ و (ط مطبعة النهضة . قم سنة ١٤١٢) ج ٢
ص ١٨٢ وشرح نصح البلاغة للمعزني ج ١٠ ص ٢٦٥، والكافي ج ١ ص ٤٥٨ ودلائل الإمامة ص ١٣٧ و ١٣٨ والمناقب
لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٦٤ و ٣٦٥ والأُمالي للشيخ الطوسي ج ١ ص ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ وروضة الواعظين
ص ١٥٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نصح البلاغة) ج ٢ = ص ٢١٥ و مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٩ والأُمالي
للمفيد ص ٢٨١ و ٢٨٣ والأنوار البهية ص ٦٤ والغدير ج ٩ ص ٣٧٣ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني
ص ٧١٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت (عليه السلام) للنجفي ج ٣ ص ١٣٦ و ٢٥٠ وج ١١ ص ١٣ وج ١٢ ص ٣٧
وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٢٤ وبشارة المصطفى ص ٣٩٧ وكشف الغمة للإربلي ج ٢ ص ١٢٧ والأنوار
العلوية ص ٣٠٤ ومجمع النورين للمرندي ص ١٥١ وبيت الأحران ص ١٨٤ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين
ص ١٥٤ ونصح السعادة ج ١ ص ٧١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٠ ص ٤٨١ وج ٢٥ ص ٥٥٠ وج ٣٣ ص ٣٨٥
وبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢١١ و ١٩٣ و ١٨٤ عن أمالي الشيخ، وعن الكافي، وعن الأحكام الشرعية للحسن الخزاز
القمي، وتذكرة الخواص، وكشف الغمة، والوافي ج ٣ ص ٧٤٨ وغير ذلك.

غليل لم تجد إلى بته سبيلاً:

وقد تضمنت كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه في مخاطبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، الكثير مما يحتاج إلى الوقوف عنده، واستفادة العبر والعظات والدروس منه. ولأن ذلك غير متيسر لنا الآن.. فقد آثرنا الإكتفاء بتذكير القارئ بأمر هام أشار إليه (صلوات الله وسلامه عليه) في كلماته تلك، حيث قال:

(فكم من غليل معتلج بصدرها، لم تجد إلى بته سبيلاً).
فما هي هذه المفردات سبب كثرة الغليل في صدرها، والتي لم تجد

الفرصة أو السبيل إلى بثه، والإفصاح عنه؟!..
إن من يقرأ النصوص المتوفرة يَحْتَل إليه: أنه (عليه السلام) قد تحدث أو أشار بالتخصيص أو التعميم
إلى جميع الأحداث التي واجهتها، ووصلت إلينا أنباؤها. وإن ثمة ما لم تتمكن من بثه واطهاره.
إن هذا الأمر يستحق الوقوف عنده، والبحث عنه، والتماس السبل إليه..
هل ماتت الزهراء (عليها السلام) بلا إمام؟!:
وصرحت الروايات: بأن الزهراء (عليها السلام) أوصت أن تدفن سراً، وأن لا يحضر جنازتها أبو بكر،
ولا عمر، ولا غيرها ممن ظلموها، وأن يُعَفِّي علي (عليه السلام) موضع قبرها.
كما أنها لم تأذن لهما بعيادتها.. وإنما دخلا عليها بعد ذلك لأن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو
الذي أدخلهما بيته. وقد صرحت لهما حينئذ: بأنها غاضبة عليهما.. وصرحت الروايات أيضاً:
بأنها (عليها السلام) قد ماتت واجدة عليهما..
من هو إمام الزهراء (عليها السلام):
وهنا سؤال يحتاج إلى جواب، وهو: من كان إمام الزهراء (عليها السلام) بعد وفاة أبيها؟! إذ لا شك
في أنها لم تعترف لأبي بكر بالإمامة، بل كانت تراه ظالماً لها، معتدياً على حرمة الله تعالى!!
وماتت واجدة عليه، هاجرة له، تدعو عليه بعد كل صلاة و...

أم يعقل أن تكون قد ماتت بغير إمام؟! مع أن النبي (ﷺ) يقول: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.. أو نحو ذلك!!^(١).

١- راجع: مسند أحمد ج ٤ ص ٩٦ وج ٣ ص ٤٤٦ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٢١٨ و ٢٢٣ و ٢١٩ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٧٥ و شرح التفتازاني لعقائد النسفي (ط سنة ١٣٠٢ هـ) وسنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٦ وتيسير الوصول ج ٢ ص ٤٧ وعن صحيح مسلم ج ٤ ص ١٢٦ و ١٢٤ و ١٢٥ و شرح السير الكبير ج ١ ص ١١٣ والعثمانية ص ٢٩ و (ط دار الكتاب العربي - مصر) ص ٣٠١ والمحلى ج ٩ ص ٣٥٩ والوفاي بالوفيات ج ٩ ص ٦٣ و ١١٠ والمعيار والموازنة ص ٢٤ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٤٨٩ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤٣٤ و ٤٣٥ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٣ ص ٣٦١ وج ٦ ص ٧٠ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٠ ص ٢٨٩ وج ١٢ ص ٣٣٧ وج ١٩ ص ٣٣٨ ومسند الشاميين للطبراني ج ٢ ص ٤٣٨ وج ٣ ص ٢٦٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١٥٥ وج ١٣ ص ٢٤٢ وكنز العمال ج ١ ص ١٠٣ و ٢٠٧ و ٢٠٨ وج ٦ ص ٦٥ ومسند أبي يعلى ج ١٣ ص ٣٦٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٥١٧ وإزالة الخفاء ج ١ ص ٣ والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٧٧ و ١١٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٢٥٩ وراجع: المحاسن للبرقي ج ١ ص ٩٢ والكافي ج ١ ص ٣٧٧ وج ٢ ص ٢٠ و ٢١ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٢٥ و ٢٧ وثواب الأعمال للصدوق ص ٢٠٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) = ج ٢٨ ص ٣٥٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١٨ ص ٥٦٧ ومستدرك الوسائل ج ١٨ ص ١٨٣ وكتاب الغيبة للنعماني ص ١٢٩ والإفصاح للمفيد ص ٢٨ والفصول المختارة للمرئضي ص ٣٢٥ والثاقب في المناقب ص ٤٩٥ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٢١٢ وبحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٢ و ٣٦٨ وج ٢٣ ص ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٨٥ و ٨٩ و ٩٤ وج ٢٧ ص ٢٠١ وج ٣٢ ص ٣٣١ وج ٣٧ ص ٢٧ وج ٤٩ ص ٣٤١ وج ٦٥ ص ٣٣٧ و ٣٣٩ و ٣٨٧ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٢٣ و ٢٢٦ و ٤٠١ ونور الثقلين ج ١ ص ٥٠٣ و ٥٠٤ والميزان ج ٣ ص ٣٨١ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ٨٠ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٥٢ ونبايح المودة لذوي القربى ج ١ ص ٣٥١ وج ٣ ص ٤٥٦.

المراد بالميتة الجاهلية:

وقد يسأل سائل هنا فيقول:

فقد فسرت الروايات ميتة الجاهلية بميتة الضلال..

فقد روي عن ابن أبي يعفور، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول رسول الله

(ﷺ): (من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية).

قال: قلت: ميتة كفر!

قال: ميتة ضلال الخ^(١)..

١ - الكافي ج ١ ص ٣٧٦ و ٣٧٧ وإلزام الناصب ج ١ ص ١٢ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ٣٥٤.

فلماذا عدل الإمام (عليه السلام) عن مية الكفر إلى مية الضلال، مع أن أهل الجاهلية يموتون على الكفر؟!^(١)

ونجيب بما قاله المجلسي (رحمته الله): (لعله (عليه السلام) عدل عن تصديق كفرهم إلى إثبات الضلال لهم، لأن السائل توهم أنه يجري عليهم أحكام الكفر في الدنيا كالنجاسة، ونفي التناكح، والتوارث وأشبه ذلك، فنفي ذلك، وأثبت لهم الضلال عن الحق في الدنيا، وعن الجنة في الآخرة، فلا ينافي كونهم في الآخرة ملحقين بالكفار، مخلدين بالنار، كما دلت عليه سائر الأخبار. ويحتمل أن يكون التوقف عن إثبات الكفر، لشموله من ليس له إمام من المستضعفين؛ إذ فيهم احتمال النجاة من العذاب الخ..)^(١).

١- مرآة العقول ج ٤ ص ٢٢٠.

الفهرس

١	الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)
٥	الفصل السادس:
٢٩	الفصل السابع:
٦٥	الباب الثاني:
٦٧	الفصل الأول:
١١٧	الفصل الثاني:
١٥٥	الفصل الثالث:
١٨٧	الفصل الرابع:
٢١٣	الفصل الخامس:
٢٣٩	الباب الثالث:
٢٤١	الفصل الأول:
٢٦٩	الفصل الثاني:
٢٩١	الفصل الثالث:
٣١٧	الفصل الرابع:
٣٣٤	الفهرس